

المحتويات

- ١- سياسة الاحتواء البريطانية - الفرنسية وتطبيقاتها في العراق وسوريا
(١٩١٨ - ١٩٣٠) دراسة مقارنة
ا.د. صباح مهدي رميض
- ٢- سياسة ايران تجاه الحركة الكردية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٨
م.د. كافي سلمان مراد
- ٣- التعاون العربي المشترك في حرب تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣
" مصر وسوريا نموذجا " " دراسة تاريخية "
ا.م.د. عبد الرحمن جدوع سعيد التميمي
- ٤- موقف تركيا من حرب الخليج الأولى والثانية
م.د. لقاء جمعه عبد الحسن الطائي
- ٥- التوجه الإيراني تجاه لبنان وأثره على المشرق العربي بين عامي
١٩٧٩-١٩٩٠
ا.د. بشرى محمود الزوبعي
- ٦- سياسة مصر في عهد الرئيس محمد حسني مبارك تجاه حرب الخليج الثانية
م.د. ليث أحمد علي
- ٧- الموقف الإقليمي والدولي من تجربة الوحدة اليمنية (١٩٩٠-١٩٩٤)
ا.م.د. سمير عبد الرسول العبيدي
- ٨- البعد الجيوستراتيجي الدولي للمشرق العربي بعد عام ٢٠٠١
ا.د. نوار محمد ربيع الخيري
- ٩- الصراع والتعاون الأمريكي - الروسي حول منطقة الشرق الاوسط بعد
الحرب الباردة: المنطقة العربية أنموذجا (دراسة في الاهداف والوسائل والآليات)
أ.م.د. خلود محمد خميس
أ.م.د. اسراء احمد جيايد
- ١٠- الموقف التركي من قضية كركوك بعد عام ٢٠٠٣
د. ندى عليوي العبودي
- ١١- موقف تركيا من القضية الفلسطينية
أ.م.د. منى حسين عبيد

١٢- الإطماع (الاسرائيلية) في الجنوب اللبناني

أ.م.د. لمياء احمد محسن

١٣- موقف ايران من الحرب الاسرائيلية - اللبنانية عام ٢٠٠٦

ا.م.د. سؤدد كاظم مهدي

١٤- المشرق العربي في الاستراتيجيات الدولية العراق انموذجاً

م.د. منار عبد المجيد عبد الكريم

١٥- مخطط المستشرق برنارد لويس وأثره في منطقة المشرق العربي بعد عام ٢٠١١م

م.د. ضمياء عبد الرزاق خضير

سياسة الاحتواء البريطانية — الفرنسية وتطبيقاتها في العراق وسوريا (١٩١٨ — ١٩٣٠) دراسة مقارنة

ا.د. صباح مهدي رميض

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

المقدمة :

يُعدُّ مصطلح الاحتواء containment ، من المصطلحات الأساسية في دراسات علم النفس التحليلي ، والذي يُعبّر عن حاجة الإنسان إلى إنسان آخر كي يُساعدَه في وضع حلول لمشكلاته الخاصة ، وقد تكون هذه الحاجة مُستمرة ، إلا أنها تتراجع بسبب تراكم الخبرة وزيادة الوعي المعرفي ، في تجاوز صعوبات الحياة ومشكلاتها اليومية .

أمّا سياسة الاحتواء في مفهومها العام ، فهي وضع الخطط والاستراتيجيات لمواجهة الأخطار المُحدقة ، وهذه السياسة قديمة بقدّم وجود الجماعات والمُجتمعات والدول وليست سياسة مُبتدعة ، إلا أنها تحتاج إلى مُستوى عالٍ من التطبيق على وفق آليات ووسائل مُتعدّدة ، وتُخطّط في جميع الأوقات والظروف (السلم والحرب) ، (الاختلاف والتوافق) ، وعلى المُستويات كافة ، الداخليّة والإقليمية والدولية ، نفذتها القوى الغربية بموجب اتجاهات نظرية ميكافيللي (الغاية تُبرّر الوسيلة) ، لذا فهم يتلونون بأيّ لون ويرتدون أيّ ثوبٍ بغيّة تحقيق ما يريدون ، ومن ثمّ الوصول إلى أهدافهم بأقلّ الخسائر والنّضحيات .

ويرى عدد من مُنظري الفكر السياسي بأنّ سياسة الاحتواء ارتبطت بأطروحة المؤرّخ والدبلوماسي الأمريكي جورج كيان George Cayan ، الذي أطلقها في نهاية عقد الأربعينيات من القرن العشرين في عهد الرئيس الأمريكي هاري ترومان Harry Truman ، عندما نشر مقالته الشهيرة في مجلة الشؤون الدولية (international Affairs journal) ، إذ أوضح فيها سبب مواجهة السلوك السوفيتي في الشرق الأوسط ، وهذا في الواقع هدف إستراتيجي دفاعي ، على خلاف سياسة الرئيس أيزنهاور Dwight David Eisengower ، في ملء الفراغ في الشرق الأوسط ، وهذا التوجّه ذو نزعة هجوميّة هدفها فرض هيمنة الغرب الأوربيّ على آسيا وإفريقيا وحماية مصالحهم فيهما .

أكدت هذه الدّراسة التي نحنُ بصددِها حقيقة أنّ سياسة الاحتواء ، نفذتها بريطانيا وفرنسا في المشرق العربي في العقدين الثاني والثالث من القرن الماضي ، وبذلك سبقت أطروحة المؤرّخ والدبلوماسي الأمريكي كيان ، ومن هنا تنطلق أهميّة الدّراسة في وصفها التاريخي ، من طريق عرض الوقائع التاريخية وتحليلها .

حدّد الإطار الزمني لموضوع الدّراسة عام ١٩١٨ ، في العراق بعد انتهاء العمليّات العسكريّة البريطانيّة واحتلاله عسكرياً ، وفي سوريا شكّلت الحكومة الفيصليّة برئاسة فيصل بن الحسين ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، وعام ١٩٣٠ انتهاء مدّة الدّراسة ، ففي العراق عقدت معاهدة عام ١٩٣٠ (معاهدة الاستقلال) وهي في حقيقتها صورة مُجسّدة لسياسة الاحتواء البريطانيّة ، أمّا في سوريا فأعلن الدّستور الذي كان في حقيقته امتثالاً لرغبات فرنسا وهو وجه آخر من أوجه سياسة الاحتواء .

وظفَ الباحث المنهج الإشكالي في دراسة الموضوع ، وعزّزه بالمقارنة والاستنتاج ، لا سيّما أنّ النموذجين سوريا والعراق يُشكّلان واجهتين مُتقدّمتين في المشرق العربي ، ولكن هذا لا يمنع أبداً من الإشارة إلى أنّ مناطق بلاد الشام الأخرى (شرق الأردن وفلسطين ولبنان) ، فضلاً عن مصر ، شهدت هي الأخرى تطبيقات سياسة الاحتواء ويُمكن تسليط الضوء عليها بدراسة مُستقلة أخرى .

والله وليّ التوفيق .

إشكالية الدراسة :

تنطلق اشكالية الدراسة من أنّ بلدان المشرق العربي عامّة ، والعراق وسوريا (أنموذجي الدراسة) على نحو خاص ، قد عانتنا من آثار وتداعيات سياسية الاحتواء ، وقد طبقتنا بأجلى صورها ، سواء كان ذلك في مرحلة النشوء والتأسيس والارتقاء ، أو في اشكالية ما تواجهه اليوم من مرحلة التراجع الخطير ولا سيّما بعد أحداث الربيع العربي منذ عام ٢٠١١ وحتى اليوم .

الأهمية :

تؤسّر أهمية الدراسة على أن آليات تطبيق سياسة الاحتواء في أنموذجي الدراسة ، بأنّها تتركز على توصيفين مهمّين ، الأوّل الثوابت ، الممثلة بالشعوب العربية وتبادل أدوار الحكومات المحليّة (الوطنيّة) المرتبطة بواقعها العربي أحياناً ، وأحياناً أخرى وهي الغالبة هو الارتباط بالأحداث الإقليمية والدولية ، أمّا التوصيف الثاني فهو المتغيرات في سياق احتواء الدول الكبرى ذات المصالح الإستراتيجية في المنطقة والتي تبادلت الأدوار عبر توصيف (تدوير المواقع) فرنسيّة — بريطانيّة في مرحلة التأسيس ، وأمريكيّة — روسيّة في مرحلة التغيير والاحتواء ، لذا فإنّ مهمّة الدراسة البحث في القواسم المشتركة في تغيير أبعاد هذه المعادلة .

الفرضية :

وَضَعَ الباحث فرضية قائمة على رؤيتين ، الأولى إيجابية مطمئنة ، مضمونها ، أن المستقبل سيكون محسوماً لإرادات الشعوب في أنموذج الدراسة (العراق وسوريا) وبإمكانهما مواجهة سياسة الاحتواء أيّ كان شكلها وتوصيفها ، منطلقة من حقيقة أن إرادة الشعوب فوق كلّ الإرادات .

أمّا الرؤية السلبية ، القلقة ، فمفادها أن مجال تطبيق سياسة الاحتواء وإلغاء الآخر ستكون حاضرة بقوة في نموذج الدراسة (العراق وسوريا) إذا ما تمّ تجاهل إرادة الشعوب ، وعدم إشراكها في تحقيق طموحاتها المستقبلية ، وبالنتيجة فإنّ تداعيات تدخل القوى الإقليمية والدولية ستكون حاضرة بعمق ، وتعزيزاً لهذه الفرضية وَضَعَ الباحث الأسئلة الآتية :

- ما حدود التوافق والاقتراب في تطبيق إستراتيجية سياسة الاحتواء البريطانية في العراق ، والفرنسيّة في سوريا ، خلال مُدّة الدراسة ١٩١٨ — ١٩٢٠ ؟

- كيف تعاملت الإدارة الفرنسيّة في احتواء أنشطة وفعاليات الحركة الوطنيّة في سوريا ؟

- هل نجحت الإدارة البريطانية في العراق في احتواء ردود الفعل تجاه تطبيقات الانتداب ١٩٢٠ — ١٩٣٠ ؟

- ما موقف النخبة المثقفة في العراق وسوريا تجاه تطبيقات سياسة الاحتواء البريطانية والفرنسيّة في المنطقة ؟

- هل كانت الخطط البريطانية — الفرنسيّة في تنفيذ سياسة الاحتواء مُرتبطة بظروفها أو أنّها ذات إستراتيجية بعيدة المدى ؟

منهجية البحث :

تطلبت طبيعة معالجة الموضوع ، استعمال الباحث المنهج الإشكالي في توظيف المادة التاريخية على أن يتوافق مع هيكلة توزيع مباحث الدراسة وأحياناً تتم المداخلة في حدود المنهج المقارن ، كما حاول الباحث جهده تضمين الدراسة خطوات المنهج الوصفي .
هيكلية الدراسة :

وزعت مادة الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسة ، ملحقه بالاستنتاجات والتوصيات ، ومباحث الدراسة هي الآتية :

أولاً : مشتركات سياسة الاحتواء البريطانية — الفرنسية تجاه الولايات العربية في أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها حتى إعلان الانتداب .

ثانياً : سياسة الاحتواء الفرنسية تجاه سوريا وموقفها من الحكومة الفيصلية إلى إعلان الدستور ١٩١٨ — ١٩٣٠ .

ثالثاً : سياسة الاحتواء البريطانية في العراق خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها حتى عقد معاهدة الاستقلال عام ١٩٣٠ .

أولاً : مشتركات سياسة الاحتواء البريطانية — الفرنسية تجاه الولايات العربية في أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها حتى إعلان الانتداب :

أعلنت الدولة العثمانية موقفها إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا والمجر) في ٥ تشرين الأول عام ١٩١٤ ، الأمر الذي دعا بريطانيا للتحرك السريع لحماية مصالحها في قناة السويس والخليج العربي (١) ، فأرسلت حملة عسكرية بالتعاون مع حكومة الهند لإحتلال مناطق جنوب العراق (٢) ، وأما الفرنسيون فقد وجدوا فرصة إعلان الحرب مشروعاً ملائماً لتحقيق طموحاتهم في السيطرة على سوريا ومناطق بلاد الشام الأخرى ، مطمئنة من الموقف البريطاني والمتوافق معها ، وأكد ذلك وزير الخارجية السير إدورد جراي Sir Edwerd Grey (٣) ، بأن بلاده مسلمة بالمطالب والطموحات الفرنسية (٤)

في أوائل عام ١٩١٥ ، بدأت مشاريع التنسيق البريطانية — الفرنسية لتحديد مستقبل الولايات العربية التابعة للإدارة الفرنسية ، في الوقت ذاته بدأت مطالبات روسيا بالقسطنطينية ومضيق البسفور والدردينيل ، ففي ١٤ آذار ١٩١٥ ، أعلنت فرنسا بضم سوريا مع خليج الإسكندرونة وكليكا حتى طوروس إلى مملكتها ، وأما الجانب البريطاني ، فلم يظهر بداية سقف مطالبه ، بل أشار إلى أن مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية (الأماكن المقدسة) يجب أن تكون تحت حكم إقليم إسلامي مستقل (٥)

وضعت بريطانيا تصوراتها لمستقبل المنطقة ، وبدأت الخطوة الأولى في سياسة الاحتواء Containment Policy بالتحرك تجاه زعامات الجزيرة العربية ، وفي المقدمة منهم الشريف حسين ، إذ بدأت الخطوة الأولى في الحوار عن طريق المندوب السامي البريطاني في القاهرة السير هنري مكماهون Sir henry McMahon ، وأوضحت بريطانيا من جانبها بأنها حريصة على مستقبل الشريف حسين السياسي وذلك بإقامة دولة عربية كبرى موحدة تحت زعامته (٦) ، وبذلك جرت سلسلة من المراسلات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون عرفت باسم (مراسلات حسين — مكماهون) عن مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الطرفين ، فيها إيضاحات وأسئلة وأجوبة ، وباختصار شديد فإن المضمون هو أن الجانب البريطاني أراد احتواء الشريف حسين وإظهار حالة الاطمئنان له ، على الرغم من الوقائع أشارت إلى عدم جدية الجانب البريطاني في ذلك ، ولا سيما أن أساليب

المُراوغة والمُماظلة والتسوية كانت حاضرة في رسائل المندوب السامي البريطاني في القاهرة^(٧).

أما الشريف حسين فقد تعامل بحسن نيّة مع الجانب البريطاني ، ونفّذ التزاماته ، فاعلن الثورة العربية الكبرى في حزيران عام ١٩١٦^(٨) ، ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فاضطرت بريطانيا وحليفاتها فرنسا بما كانتا تُخططان له تجاه الشريف حسين ، فكانت مؤامرة سايكس — بيكو^(٩) ، بتقسيم البلاد العربية على وفق خارطة تجزئة ، تُرضي المصالح البريطانية والفرنسية ، ولم يكتفيا بذلك فحسب ، بل تعززت تلك المؤامرة بمؤامرة جديدة هي إعلان وعد بلفور في تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، إذ بموجبه وهب من لا يملك إلى من لا يستحق ، فمهدت بريطانيا بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، وساندت زعماء الحركة الصهيونية ، وكشفت هذه المؤامرة بكل خيوطها ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧^(١٠).

لا شك في أن سياسة الاحتواء تجلّت بأوضح صورها في الجانبين البريطاني والفرنسي ، فيما حصل في مؤتمر الصلح في باريس ١٨ كانون الثاني ١٩١٩^(١١) ، وذلك لإقرار مستقبل الدولة العثمانية ، ولا سيما الولايات العربية التابعة لها ، فحضرت وفود الدول المنتصرة في الحرب ، وكان العرب يمتنون أنفسهم بأنهم قد أسهموا في ذلك ، فحضر وفد عربي برئاسة الأمير فيصل بن الحسين ، وقد ألقى الأمير كلمة في المؤتمر بيّن فيها إسهامات العرب في الحرب إلى جانب دول الوفاق الودّي ، كما أشار إلى ردة فعل العرب تجاه اتفاقية سايكس — بيكو ، ووعد بلفور ، إلا أن الجانبين البريطاني والفرنسي ، عملاً على تحجيم دور الوفد العربي ، ولم يحصل على ما كان يحلم به ، بل كان على العكس فرض نظام الانتداب ، وهو وجه آخر من وجوه سياسة الاحتواء^(١٢).

وفي سياق احتواء الوفد العربي المُشارك في مؤتمر الصلح ، الذي خرّج خالي الوفاض تقرر إرسال لجنة دولية لمعرفة موقف ورغبات الشعب العربي وطموحاته ، وموقفه تجاه الانتداب المُزمع تطبيقه بعد انتهاء أعمال مؤتمر الصلح ، فتشكلت اللجنة من الدكتور هنري كنج Henry king رئيس كَلِيّة أوبرك الأمريكية ، والمستر تشارلز كرين Charles cren ، أمّا الحكومة البريطانية فعينت السير هنري مكماهون ، والقائد د.ج. هوغارث D.G. Hugharith وهما من كبار المسؤولين البريطانيين في القاهرة ، أمّا الجانب الفرنسي فلم يظهر موافقته على إرسال عضو هذه اللجنة ، وأمتنع عن المشاركة ، ونتيجة لهذا الموقف انسحب الوفد البريطاني هو الآخر^(١٣) ، واقتصر الوفد فقط على الممثلين الأمريكيين ، ومن هنا جاءت تسمية اللجنة باسم لجنة كينج — كرين King — crane commission^(١٤) ، التي زارت سوريا وعدداً من مناطق بلاد الشام ، وأعدت تقريراً مفصلاً عن الزيارة^(١٥) ، وسلّمته إلى سكرتارية المؤتمر في باريس في ٢٨ آب ١٩١٩^(١٦) ، والحق أن التقرير كان مُنصفاً ، ونقل حقائق عديدة عن موقف الشعب العربي تجاه موضوع الانتداب والموقف السوري من السياسة الفرنسية ، والجدير بالذكر أن هذا التقرير على الرغم من أهميته ، ظل حبيساً في أدراج ملفات المؤتمر ، ولم يتم التّطرق إليه بتوجيه من الوفدين البريطاني والفرنسي ، وبالنتيجة حُجبت وثيقة مهمة من الوثائق التي تضمّنت حقوق العرب وإرادتهم^(١٧) ، ولا شك أن هذا الأمر شكّل واجهة من واجهات سياسة الاحتواء البريطانية — الفرنسية تجاه البلاد العربية ، وقد اتّضحت معالمها فيما بعد في أنموذجي الدراسة سوريا والعراق .

ثانياً : سياسة الاحتواء الفرنسية تجاه سوريا وموقفها من الحكومة الفيصلية إلى إعلان الدستور ١٩١٨ — ١٩٣٠ :

عاد الأمير فيصل بن الحسين إلى سوريا بعد انتهاء أعمال مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ ، وهو يشعر باليأس والإحباط من مواقف بريطانيا وفرنسا تجاه قضية العرب ، لذلك وجه خطابه إلى قادة الحركة الوطنية والشعب السوري بأن الأمل وراء الحلفاء ضعيف ، وأشار إلى أن المطالب تُؤخذ ولا تُعطى^(١٨) .

أما بريطانيا وفرنسا وبقية الدول المشاركة في المؤتمر ، فبدأت بتنفيذ سياسة الانتداب ، وتوزعت كل من سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، والعراق وإمارة شرق الأردن تحت الانتداب البريطاني ، وإدارة فلسطين دويلة ، ومن هنا فإن المواجهة مع الفرنسيين في سوريا قائمة ، والمشروع الوطني يتطلب وضع الإمكانيات عند المواجهة ، سواء كان ذلك بتشكيل الأحزاب والجمعيات السياسية المطالبة بحقوقها المشروعة بجميع الوسائل والأساليب ، أو قد تكون المواجهة العسكرية المباشرة^(١٩) .

شعرت الحكومة الفرنسية أن الملك فيصل بن الحسين ملك سوريا (١٩١٨ — ١٩٢١) بدأ يُحرّض الرأي العام السوري وبقية مناطق بلاد الشام الأخرى ضدّ التواجد الفرنسي ، ولذلك سارعت الأخيرة في تطبيق سياسة الاحتواء العسكري containment military ، وهي جزء من سياسات الاحتواء فعّيت الجنرال هنري جوزيف غورو Henri Joseph Gouraud قائداً للقوات الفرنسية في سوريا ولبنان ، ولحظة وصوله إلى الأراضي السورية وجه إنذاراً شديداً إلى الملك فيصل ، ودعاه إلى الامتثال للشروط الفرنسية ومنها القبول بالانتداب الفرنسي قبولاً غير مشروط^(٢٠) .

يظهر أن الحكومة الفرنسية كانت متيقنة على أنّ هذه الشروط لا يمكن أن يوافق عليها الملك فيصل بن الحسين ، والشعب السوري ، وبالتالي فإن المواجهة العسكرية حاصلة ، وعندما رفضها الملك فيصل دخلت القوات الفرنسية في معركة شرسة مع الجيش العربي السوري في ٢٤ تموز ١٩٢٠ عرفت بمعركة ميسلون^(٢١) ، ونظراً لطبيعة الفوارق بين الجيشين من حيث العدد والتسليح ، تراجع الجيش العربي السوري ، ودخلت القوات الفرنسية إلى دمشق وأجبر الملك فيصل بن الحسين على ترك سوريا والتوجه إلى بريطانيا^(٢٢) .

بدأت فرنسا بتنفيذ خطوات سياسة الانتداب على سوريا ، فعّيت الحكومة الفرنسية المندوب السامي ، ومنحته صلاحيات واسعة ، فضلاً عن ذلك تعيين عدد من المستشارين في معظم دوائر ومؤسسات الدولة ، كما شرّعت بحملة ملاحقة متواصلة لرجال الحركة الوطنية ، ومع ذلك فإنّ هذه الحركة ظلت متواصلة ، ونفذت عمليات عسكرية وانتفاضات وثورات عديدة ، منها ثورة الشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية (١٩١٩ — ١٩٢١) ، وثورة إبراهيم هنانو في حلب (١٩١٩ — ١٩٢١)^(٢٣) .

اتّخذت حكومة الإدارة العسكرية في سوريا سلسلة من الخطوات الإجرائية هدفها امتصاص غضب الشارع السوري ، وتلك كانت من خطوات سياسة الاحتواء التي تُمنّل رغبة الحكومة الفرنسية بتأسيس اتحاد (حلب — دمشق — اللاذقية) في ٢٨ حزيران ١٩٢٢ ، وتعيين صبحي بركات رئيساً له ، ثم عززت ذلك بمقترح المندوب السامي الفرنسي ويفان Weavin بقيام الدولة السورية عام ١٩٢٤^(٢٤) ، إلا أنّ هذه الإجراءات فشلت أمام إصرار الشعب السوري الذي فجر ثورة عارمة (١٩٢٥ — ١٩٢٧) عُرفت بالثورة السورية الكبرى^(٢٥) .

وفي مراجعة تحليلية لأبعاد سياسة الاحتواء الفرنسي في سوريا حتى عام ١٩٢٧ ، نجد أنّها استعملت وسائل وأساليب متعدّدة منها ، تبديل المستشارين والمندوبين الفرنسيين العاملين في سوريا ولبنان مثلما حصل في تبديل الجنرال موريس ساراي Maurice Sarrai بالجنرال دي جونفيل De-Gonveal ، فضلاً عن ذلك إطلاقها سبلاً من الوعود بإجراء

انتخابات حُرّة تُلبّي رغبة الشَّعب السُّوري ، ومِن ثمَّ تشكيل مجلس نيابي يأخذ على عاتقه كتابة الدُّستور والمصادقة عليه ، كما وعدت الإدارة الفرنسيّة في سوريا بوضع خُطط مستقبلية هدفها تحقيق الاستقلال السِّياسي ، ومِن ثمَّ عقد مُعاهدة لتنظيم العلاقات بين الطَّرفين (٢٦) ، والحقيقة أن فرنسا كانت تستهدف من كُلِّ ذلك كسب الوقت واحتواء الحركة الوطنيّة المُناهضة لوجودها في البلاد بما أنَّ هذه المشاريع وضعت وفقاً لرغباتها إدارتها لا برغبة الشَّعب العربي السُّوري

بعد انتهاء فعاليّات الثَّورة السُّوريّة الكُبرى عام ١٩٢٧ ، وضعت الإدارة الفرنسيّة خُططاً عديدة لاحتواء الوضع السِّياسي في البلاد ، فأوعزت إلى إجراء انتخابات الجمعيّة التَّأسيسيّة ، ونظمت فعلاً وفاز بها حزب الكتلة الوطنيّة برئاسة هاشم الاتاسي ، وسعد الله الجابري (٢٧) ، والمعروف أنَّ توجُّهات الكتلة هي مُناهضة نظام الانتداب ، وفي ٩ حزيران ١٩٢٨ نُظِم احتفال افتتاح أعمال الجمعيّة حضره المندوب الفرنسي بونسو Bonso ، الذي ألقى كلمةً أوضح فيها أن من مُقدِّمات عمل الجمعيّة التَّأسيسيّة وضع دُستور للبلاد ، وشكَّلت لجنة لهذا الغرض ترأسها المناضل الوطني إبراهيم هنانو ، وأنجزت اللجنة أعمالها ، وعرض مشروع الدُّستور على الجمعيّة التَّأسيسيّة وحُضيَّ بموافقة الجميع ، إلّا أنَّ المندوب السَّامي اعترض عليه بسبب جود بعض الفقرات التي تتعارض مع أحكام نظام الانتداب (٢٨) .

فشلت جهود أعضاء الجمعيّة التَّأسيسيّة لإقناع المندوب السَّامي الفرنسي في تمرير مشروع الدُّستور ، ولذلك أعلن حل الجمعيّة في عام ١٩٣٠ ، وإعادة الأمور إلى سابق عهدها ، ثمَّ أُجريت انتخابات جديدة ، وأصدرَ دستور جديد في ٢٢ أيار ١٩٣٠ ، تضمَّن مواد جديدة وامتيازات مُضافة إلى فرنسا بوصفها الدَّولة المُنتدبة على سوريا (٢٩) ، بموجب المادّة (١١٦) من صك الانتداب ، وبذلك نقول إنَّ الدُّستور فُرضَ على سوريا فرضاً من قبل المندوب السَّامي الفرنسي (٣٠) ، وهذا نوعٌ جديد من أنواع الاحتواء السِّياسي العسكري الذي نفَّذته فرنسا تجاه سوريا .

ثالثاً : سياسة الاحتواء البريطانيّة في العراق في أثناء الحرب العالميّة الأولى وما بعدها
حتى عقد مُعاهدة الاستقلال ١٩٣٠ :

شكَّلت العراق أهميّة إستراتيجيّة مؤثّرة في سياق المُخططات البريطانيّة الرّامية إلى تقرير وجودها في منطقة الخليج العربي ، ولذلك عندما أعلنت الحرب العالميّة الأولى ، تحرّكت القوَّات البريطانيّة بحملة تجاه ميناء الفاو في البصرة في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤ (٣١) ، ومن ثمَّ مواصلة التقدّم باتجاه البصرة فدخلتها في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وكان يُرافق الحملة المذكورة السير بيرسي كوكس Percy Cox (٣٢) ، المُقيم السِّياسي في منطقة الخليج العربي ، الذي أصدر بياناً باسم القائد العام البريطاني جاء فيه " لم يبقَ من الإدارة التُّركية شيءٌ في هذه المنطقة فقد رُفِع العلم البريطاني الذي سوف تتمتعون في ظلِّه بِمَنافع الحُرّيّة والعدالة بالنسبة لشؤونكم الدِّينيّة والدنيويّة معاً ، وأصدرت الأوامر إلى القطعات العسكريّة بضرورة التَّعامل مع السُّكَّان بالصدّاقة والتَّقدير ، وعليكم أنتم التَّعامل معهم بالمُعاملة ذاتها " (٣٣) .

كانت تلك هي بداية تطبيق مفهوم سياسة الاحتواء لبريطانيا تجاه العراق ، وقد تكرَّر الأسلوب ذاته بعد وصول القوَّات البريطانيّة مدينة بغداد في ١١ آذار عام ١٩١٧ ، على أثر انسحاب القوَّات التُّركية بعد أن أحرقوا مخازن الدَّخيرة والمُنشآت العسكريّة ، ثمَّ عمّت الفوضى والارتباك في المدينة (٣٤) ، وبعد سيطرة القوَّات البريطانيّة على بناية القشلة ورفع العلم البريطاني عليها ، وجّه الجنرال ستانلي مود Sir Stanley Maud ، بياناً إلى أهالي بغداد جاء فيه " إننا لم ندخل بلادكم أعداءً فاتحين وإنما دخلناها مُحَرِّرين " (٣٥) ، وأضاف

" جننا نحميكم من الظلم والغزو ، ونضمن حرية تجارتكم " (٣٦) ، وأكد ذلك فيما بعد الجنرال
وليم مارشال الذي خلف الجنرال مود بعد وفاته في قيادة الجيش البريطاني ، العبارات ذاتها
في اجتماعه مع أعيان بغداد في ١١ تشرين الثاني عام ١٩١٨ (٣٧) .
أعدت بريطانيا وفرنسا أساليب الاحتواء تجاه الشعوب العربية ، ففي ٧ تشرين الثاني
عام ١٩١٨ ، جاء في نص التصريح المشترك لهما بالآتي : " أن الغاية التي ترمي إليها كل
من فرنسا وبريطاني العظمى من خوض غمار الحرب في الشرق هو تحرير الشعوب التي
طالما رخصت تحت أعباء استعباد الأتراك تحريراً تاماً ونهائياً وتأسيس حكومات وإدارة
وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين وبمحض اختيارهم ، ولقد أجمعت فرنسا
وبريطانيا على أن تؤيد ذلك بأن تشجعاً وتُعينا على إقامة هذه الحكومة والإدارات الوطنية
في سوريا والعراق " (٣٨) .

يلحظ من تحليل هذا النص ، أن سياسة الاحتواء البريطانية اتضحت بأجلي صورها
في التعامل مع العراقيين ، وكان ذلك خطها العام في العراق ، ففي أحداث ثورة الثلاثين من
حزيران عام ١٩٢٠ ، استعملت كل الأساليب والطرق من أجل اختراق منظومة الثوار ، فقد
عملت أحياناً على استمالة بعض الزعامات العشائرية ومحاولة إغرائها بالمال (٣٩) ، والسلاح
أحياناً وتوزيع الأراضي عليهم أحياناً أخرى ، فقد تأثر عدد منهم بهذه المغريات وأصبحوا
تحت إمرتهم وتوصياتهم ، فولدت هذه الإجراءات آثاراً سيئة وثقمة عامة (٤٠) .
تأكدت سياسة الاحتواء البريطانية في ضوء تطبيق سياسة الانتداب التي فرضت في
أعقاب مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ ، وأصبحت بريطانيا مُنتدبة على العراق ،
وكمحاولة منها في كسب ود العراقيين على أثر المواجهة المباشرة معهم في ثورة العشرين
التحررية ، وبإجراء مضمونه احتواء الموقف ، أعلن بيرسي كوكس رغبة بلاده في تشكيل
حكومة عراقية مؤقتة (٤١) ، قائمة على تأسيس مجلس وزراء عربي ، يُشرف عليه
مُستشارون بريطانيون على أن يكون تحت إدارة المندوب السامي مباشرة (٤٢) ، ويظهر ذلك
بأنها خطوة أخرى مضافة في تطبيقات سياسة الاحتواء ، إذ إنها تعمل على احتواء الحركة
الوطنية ، ومن ثم تقليل نسبة المصروفات في العراق .

بدأت الحكومة البريطانية في إشغال العراقيين في موضوع الترشح لمن سيتولى
منصب العرش العراقي ، وفي حقيقة الأمر أن هذا التوجه قد استغلته الإدارة البريطانية في
العراق ، وكانت واجهة حقيقية من واجهات سياسة الاحتواء ، إذ فتحت العديد من الخيارات
للمرشحين ، فمنهم من العراقيين ، ومنهم من العرب والأجانب (٤٣) ، ولكن ما كانت تخطط له
ونفذته فعلاً هو أن الأمير فيصل بن الحسين هو المرشح الرئيس الذي اقتصتت به الإدارة
البريطانية وروجت له في مؤتمر القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ (٤٤) ، أما بقية المرشحين
الأخرين فهم مجرد أسماء وعناوين بعيدة عن مهمة تولي منصب عرش العراق آنذاك ، كما
تأكد ذلك في موضوع الاستفتاء الذي جرى لقبول الأمير فيصل بن الحسين ملكاً من قبل
الشعب العراقي ، وحصل على نسبة (٩٦ %) من الأصوات (٤٥) ، وذلك بالدعم والترويج
البريطاني له .

وضعت الإدارة البريطانية مسؤوليات أمام الملك فيصل بن الحسين منها ،
إجراء انتخابات بهدف تشكيل مجلس تأسيسي ، ومن ثم إصدار دستور (القانون الأساسي) ،
وبعد ذلك الإعداد لعقد معاهدة بين الطرفين (٤٦) ، والمطلب الأخير هو غاية ما تسعى إليه ،
إذ إن المعاهدة ستنظم علاقاتها مع العراق بأقل كلفة ، وأقل احتكاك مما يحدث لو كان حكمها
مباشرة وفي الوقت ذاته إن المعاهدة لبريطانيا وسيلة من وسائل الإشراف والسيطرة المباشرة
، وقد جاء في تصريح المندوب البريطاني في عصبة الأمم السير فيشر في ١٧ تشرين

الثاني ١٩٢١ ما نصّه " أنّ المُعاهدة المُقترحة ستقدم فقط بتنظيم العلاقات بين حكومة صاحب الجلالة كدولة مُنتدبة وحكومة العراق العربية ، ولا يُقصد بها أن تكون بديلاً عن الانتداب الذي سيبقى وثيقة عمل تعين الالتزامات التي اضطلعت بأعبائها حكومة صاحب الجلالة عن عُصبة الأمم " ^(٤٧) ، ولذلك نلحظ أنّ سياسة الاحتواء البريطانية اتضحت معالمها تجاه العراق .

أمّا بخصوص مُشكلة الموصل ^(٤٨) ، التي كَتَبَ عنها الدكتور فاضل حسين " رحمه الله " باستفاضة وتفصيلات دقيقة فيما يتعلّق بالحجج السياسية ، وتحديدًا في تقرير اللجنة الأُممية إذ جاء فيه " إنّ وضع العراق الداخلي غير مستقر وتعوزه الخبرة السياسية لوجود خروج بين السنة والشيعية والعلاقات بين العرب والأكراد ولضرورة السيطرة على القبائل المُشاغبة يُمكن أن تكون هذه الصّعوبات مُهلكة لكيان الدولة العراقية إذا ما تركت من دون مُساعدة أو إرشاد ولذلك ارتأت اللجنة وجود استمرار الانتداب سيشكل المُعاهدة العراقية البريطانية لمدّة خمس وعشرين سنة " ^(٤٩) ، قد يظهر أنّ مؤثّرات الجانب البريطاني واضحة في صياغة التّقرير وهو في صيغته وتلك صورة من صور الاحتواء السياسي .

ومن مُتابعة لطبيعة التّطورات السياسية في مسار العلاقات العراقية — البريطانية بعد انتهاء مُشكلة الموصل وتوقيع مُعاهدة ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ وهي استمرار لِبندود مُعاهدة عام ١٩٢٢ ، نلحظ أنّه لم يتغيّر شيء فيها ما عدا المدّة الزمنية ، لذا بدأ الشّروع بالتّفكير لرسم خُطط جديدة لرسم مُستقبل السياسة البريطانية في العراق عم طريق مشروع مُعاهدة عام ١٩٢٧ ، إذ شعرت الحكومة العراقية بثقل مُعاهدتي عام ١٩٢٢ وعام ١٩٢٧ على كاهل الشّعب العراقي ولا سيّما في شروطها الماليّة والعسكريّة ، فضلاً عن طموحات العراقيين بانتهاء الانتداب ونيل الاستقلال السياسي ، ومن ثمّ الانتماء إلى عُصبة الأمم ^(٥٠) ، استغلت بريطانيا هذه الامتيازات وبدأت بتطمين العراقيين بهذا الخصوص ، ولكن كان ذلك على حساب رهان الزّمن وهو جزء فاعِل ومؤثّر في تطبيق سياسة الاحتواء ، وقد كُشِف حقيقة مُماثلة الإدارة البريطانية تجاه العراقيين في تحقيق طموحاتهم بالاستقلال السياسي ما ورَدَ في وصيّة عبد المحسن السّعدون قبل انتحاره في ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٩ ^(٥١) ، وقد جاء فيها " سنمت هذه الحياة التي لم أجد فيها طعماً ولا شرفاً ، الأمة تنتظر ، والإنكليز لا يوافقون ، ليس لي ظهر غير العراقيين ، وهم طُلاب استقلال ويظنون أنّي الخائن لوطني وعبداً للإنكليز ، ما أعظم هذه المُصيبة أنا الفدائي الأشدّ إخلاصاً لوطني " ^(٥٢)

في ضوء ما جاء في المادّة الثّانية من مشروع مُعاهدة عام ١٩٢٧ ، والتي اشترطت توقّف ترشيح بريطانيا للعراق في عُصبة الأمم في عام ١٩٣٢ ، مُناط باستمرار تقدّمه ، وقد عدّ العراقيون تلك المادّة مُماثلة ، واتخذوها دليلاً على عدم رغبة بريطانيا في ترشيح العراق للعصبة ولذلك طلب السّير جليبتن كلايتون Gilbert Claton ، من حكومته رفع هذا القيد وتقرير إدخال العراق عُصبة الأمم عام ١٩٣٢ ^(٥٣) .

في ٢٣ آذار ١٩٣٠ ، تمّ تكليف نوري سعيد بتشكيل الوزارة وذكر في برنامجه الوزاري أن أبرز ما سيقدم عليه هو توقيع مُعاهدة جديدة مع بريطانيا وتكون على أساس الاستقلال التّام وتوطيد العلاقة العراقية — البريطانية ^(٥٤) .

وقعت المُعاهدة في ٣٠ حزيران عام ١٩٣٠ ، وانتشرت في الصّحف العراقيّة ، وتضمّنت عقد تحالف بين العراقيين لمدّة خمس وعشرين سنة ، وتتعهد بريطانيا بتأييد دخول العراق إلى عُصبة الأمم عام ١٩٣٢ ^(٥٥) ، وتكوّنت المُعاهدة من إحدى عشرة مادّة مع ملحق للشؤون العسكريّة مكوّن من سبع فقرات وملحق مالي مكوّن من خمس فقرات ، وعدد من

الرسائل الموضحة تبادلها بين العراق وبريطانيا كما أُلحقت بالمُعاهدة اتفاقية قضائية من خمس مواد وقع عليها في آذار عام ١٩٣١ حُلَّت محل سابقتها^(٥٦).

اقترح نوري سعيد أن يلحق باسم المُعاهدة مصطلح الاستقلال ، فتكون مُعاهدة الاستقلال عام ١٩٣٠ ، إلا أن المستر هامفريس Mr.Humphreys اعترض على ذلك^(٥٧) ، وقد يكون ذلك أن بريطانيا تخشى تطبيقات الاستقلال ، وتبقى في حدود الاحتواء السياسي ، وهذا ما تمّ تضمينه في بنود المُعاهدة في مجال السياسة الخارجية والدفاع وقواعد حق المرور والحصانة التي تتمتع بها القوّات البريطانية في العراق ، وتدريب الجيش العراقي والتمثيل الدبلوماسي^(٥٨) ، إذ تدخلت بريطانيا في كل هذه البنود وهي التي صاغت مضامينها ، فأين ذلك من موضوع الاستقلال السياسي ؟ بل هو شكل من أشكال الاحتواء ، ولذلك ظلّ السير البريطاني يملك زمام الأمور في العراق حتى عام ١٩٥٨ .

رابعاً : الاستنتاجات والتوصيات :

أولاً : أظهرت الدراسة حقيقة أن إرادة الشعوب والتصميم على المواجهة هي أقوى من كل سياسات الاحتواء ومخططات التآمر وصور الاستغلال ، ولهذا الصورة فعل الاستمرارية والتواصل حتى اليوم رغم اختلاف المؤثرات وتباين الأساليب في التطبيق .

ثانياً : نفذت بريطانيا وفرنسا كلّ واجهات الاحتواء في العراق وسوريا ، أحيانا ذات مُسمّى سياسي وأحيانا اقتصادي واجتماعي ، ثمّ تعزّز الأكثر تأثيراً في احتواء المُقابل وبذلك طبقت كلّ نماذج الاحتواء .

ثالثاً : غيرت الإستراتيجية البريطانية في تنفيذ سياسة الاحتواء بأنها كانت أكثر مرونة في العراق على خلاف الإستراتيجية الفرنسية في سوريا التي وصفت بتطبيقات سياسة القسوة والعنف ، ومواجهات ثوار سوريا (١٩٢٥ — ١٩٢٧) أنموذج في ذلك .

رابعاً : توافقت السياسات الفرنسية والبريطانية في كونهما استعملتا أساليب المروعة والمماثلة ، كرهان على الوقت في التنفيذ ما خطط له بعد تنفيذ نظام الانتداب في كلا البلدين .

خامساً : اثبتت الدراسة بأن سياسة كلا الدولتين لم تكن مرحلية مرتبطة بالظروف التي أنتجتها التوافقات الدولية ما بعد مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ ، ولكن اتضح بأن هناك آفاقاً بعيدة المدى مرتبطة بسياسة الاحتواء ، وهذا ما حصل في الواقع ، إذ إن العراق ظلّ مرتبطاً ببريطانيا حتى ما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وسوريا مع فرنسا إلى ما بعد الاستقلال عام ١٩٤٦ .

سادساً : توصي الدراسة بضرورة إجراء دراسات أخرى مُماثلة ينطبق عليها مفهوم سياسة الاحتواء ومنها مصر ولبنان والأردن في المُدة ذاتها أو ما بعد ذلك حتى الاستقلال السياسي .

خامساً : الهوامش

١. عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ العرب المعاصر ، بيروت ، ١٩٤٧ ، ص ١٧٣ .
٢. J.Moberly ,official.history at the great war I , the campaign in mesopotais 1914 - 1918 , London , vol.I , pp 80 - 81 .^(١)
٣. لمزيد من التفاصيل عن سيرته ونشاطه الدبلوماسي في الخارجية البريطانية ينظر ، حيدر جواد كاظم ، إدورد غري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية ١٩٠٥ - ١٩١٦ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٥ .

٤. المصدر نفسه ، ص١٩٣ .
٥. طالب محمد وهيم ، مملكة الحجاز ، ١٩١٦ – ١٩٢٥ ، دراسة في الاوضاع السياسية ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٢ ، ص١٤٧ .
٦. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط٤ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٢٦٠ .
٧. علاء نورس وعماد عبدالسلام رؤوف ، لمحات في التاريخ العربي المعاصر ، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٤ ، ص٤٦ .
٨. طالب محمد وهيم ، المصدر السابق ، ص٤٦ .
٩. محمد حسن العدول واخرون ، تاريخ الوطن العربي المعاصر ، جامعة الموصل ، دار الطباعة الجامعية ، ١٩٨٦ ، ص٢١ .
١٠. علاء نورس وعماد عبد السلام ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
١١. لمزيد من التفاصيل عن مؤتمر الصلح وموقفه من قضايا المشرق العربي ، ينظر ، علي نشمي حميدي المالكي ، مؤتمر الصلح في باريس والمشرق العربي ١٩١٩ – ١٩٢٠ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ، ١٩٩٥ .
١٢. زين نور الدين زين ، الصراع الدولي على الشرق الاوسط ، ولادة دولتي سوريا ولبنان ، ط٢ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص١٠ .
١٣. خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ – ١٩٢٠ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص١١٢ .
١٤. محمد حسن العدول ، المصدر السابق ، ص٣٠ .
١٥. جورج انطونيوس ، يقظة العرب : تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة : ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، ط٥ ، دار العلم الملايين بيروت ، ١٩٧٨ ، ص٤٠٦ .
١٦. إبراهيم خليل أحمد ، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الموصل ، دار الطباعة ، ١٩٧٨ ، ص١١٠ .
١٧. المصدر نفسه ، ص١١١ .
١٨. نزار كريم جواد الربيعي ، دراسات في تاريخ سوريا المعاصر ، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ص١٠٢ .
١٩. العدول وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٠ .
٢٠. خيرية قاسمية ، المصدر السابق ، ص١١٣ .
٢١. زين نور الدين زين ، المصدر السابق ، ص١٩٤ .
22. L. Georg , the truth about the treabids by david lioyed cocarge , I,ii, London , 1938 , p113 .
٢٣. عبد الرحيم عبدالرحمن ، المصدر السابق ، ص٢٩٤ .
٢٤. محمد حسن العدول ، المصدر السابق ، ص١٥٠ .

٢٥. صباح مهدي ويس ، الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ - ١٩٢٧ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ،
جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .
٢٦. إبراهيم خليل أحمد ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .
٢٧. عبد الرحيم عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص٢٩٦ .
٢٨. المصدر نفسه ، ص٢٩٧ .
٢٩. محمد عزه دروزه ، حول الحركة العربية الحديثة ، ج٢ ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ،
١٩٥٠ ، ص٤٣ .
٣٠. ذوقان قرقوط ، تطورات الحركة الوطنية في سوريا ١٩٢٠ - ١٩١٣ ، ط١ ، درا الطليعة للطباعة
والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص١١٧ .
٣١. لمزيد من التفاصيل عن ظروف احتلال البريطاني لمدينة البصرة ، ينظر ، حميد حمدان التميمي ،
البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩١٨ ، بغداد ١٩٧٩ ، ص١٩٢ .
٣٢. لمزيد من التفاصيل عن سيرته ونشاطه السياسي في العراق ينظر ، منتهى عذاب نوب ، بيرسي
كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤ - ١٩٢٣ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة
بغداد ، ١٩٩٥ .
٣٣. فاضل حسين وعبدالوهاب القيسي وعبد الأمير محمد أمين ، تاريخ العراق المعاصر ، جامعة بغداد ،
مطابع جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٢ .
٣٤. صباح مهدي رميض ، بغداد في مواجهة التحديات خلال تاريخها الحديث ١٢٥٨ - ١٩٢٠ ،
وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ٢٠١٣ ، ص٦٢ .
٣٥. فيليب ولايدر ايرلند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة : جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٤٩ ،
ص٢٧ .
٣٦. جعفر عباس حميدي وإبراهيم خليل أحمد ، تاريخ العراق المعاصر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ ،
ص١٦ .
٣٧. فاضل حسين وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٣ .
٣٨. المصدر نفسه ، ص١٣ .
٣٩. فريق مزهر الفرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ، ونتائجها ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٢ ،
ص٣٢٢ .
٤٠. الشيخ عيود الهيمص ، ذكريات وخواطر عن أحداث عراقية في الماضي القريب ، بغداد ، ١٩٨٩ ،
ص٤٣ .
٤١. لمزيد من التفاصيل عن الحكومة العراقية المؤقتة وظروف تشكيلها ، ينظر ، محمد صالح الزبيدي ،
الحكومة العراقية المؤقتة ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ - ٩ أيلول ١٩٢١ دراسة في الواقع الإداري ،
رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة القادسية ، ٢٠٠١ .
٤٢. إيرلند ، المصدر السابق ، ص٢١٨ .

٤٣. عبد الأمير هادي العكام ، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٣ ، النجف الاشرف ، ١٩٧٥ ، ص ٥١ .
٤٤. رجاء حسين حسني الخطاب ، مؤتمر القاهرة وتأثيره على الوضع السياسي في العراق ، بغداد ، د.ت ، ص ٧٧ .
٤٥. جيرالد دي غوري ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٢٤ .
٤٦. عن ظروف معاهدة ١٩٢٢ ، وخطوات اجرائها ، ومناقشتها والتصويت عليها ، ينظر ، فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية - البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨ ، وزارة الاعلام العراقية ، سلسلة دراسات (١١٦) ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٩١ .
٤٧. جوج التثوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ج ٢ ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١٢ ؛ جعفر عباس حميدي وإبراهيم خليل أحمد ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .
٤٨. لمزيد من التفاصيل ينظر ، فاضل حسين ، مشكلة الموصل ، دراسة في الدبلوماسية العراقية - الإنكليزية - التركية والرأي العام ، مطبعة الواسطية ، بغداد ، ١٩٥٥ .
٤٩. المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .
٥٠. فاضل حسين وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .
٥١. لطفي جعفر فرج ، عبدالحسين سعدون ودوره تاريخ العراق السياسي المعاصر ، ط ٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥٥ .
٥٢. المصدر نفسه ص ٣٧٥ .
٥٣. أحمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ - ١٩٣٢ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة (٢١٧) ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٥٠ .
٥٤. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٣ ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٦ .
٥٥. فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
٥٦. فاضل حسين وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .
٥٧. فاروق العمر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
٥٨. للاطلاع على بنود المعاهدة وتفصيلاتها ، ينظر ، فاروق العمر ، المصدر نفسه ص ٢٦٧ ؛ البرقاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ؛ غانم محمد الحفو ، معاهدة عام ١٩٣٠ ودخول العراق عصبة الأمم في تاريخ العراق المعاصر ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٥٥ .

سادساً : المصادر :

أولاً : الكُتُب العربية والمعرّبة :

١. إبراهيم خليل أحمد ، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الموصل ، ١٩٧٨ .
٢. أحمد رفيق الرقادي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ - ١٩٣٢ ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة (٢١٧) ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٣. جعفر عباس حميدي وإبراهيم خليل أحمد ، تاريخ العراق المعاصر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ .

٤. جوج لتشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ج ٢ ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ١٩٦٥ .
٥. جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة : ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، ط٥ ، دار العلم الملايين بيروت ، ١٩٧٨ .
٦. جبرالدي غوري ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٣ .
٧. حميد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩١٨ ، بغداد ١٩٧٩ .
٨. خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧١ .
٩. نوقان قرقوط ، تطورات الحركة الوطنية في سوريا ١٩٢٠ — ١٩١٣ ، ط١ ، درا الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ .
١٠. رجاء حسين حسني الخطاب ، مؤتمر القاهرة وتأثيره على الوضع السياسي في العراق ، بغداد ، وب .
١١. زين نور الدين زين ، الصراع الدولي على الشرق الاوسط ، ولادة دولتي سوريا ولبنان ، ط٢ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ .
١٢. الشيخ عبود الحيمص ، ذكريات وخواطر عن أحداث عراقية في الماضي القريب ، بغداد ، ١٩٨٩ .
١٣. صباح مهدي رميوض ، بغداد في مواجهة التحديات خلال تاريخها الحديث ١٢٥٨ — ١٩٢٠ ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ٢٠١٣ .
١٤. طالب محمد وهيم ، مملكة الحجاز ، ١٩١٦ — ١٩٢٥ ، دراسة في الاوضاع السياسية ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٢ .
١٥. عبد الأمير هادي العكام ، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ — ١٩٣٣ ، النجف الاشرف ، ١٩٧٥ .
١٦. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط٤ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ١٩٨٦ .
١٧. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٣ ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٧٨ .
١٨. علاء نورس وعماد عبدالسلام رؤوف ، لمحات في التاريخ العربي المعاصر ، المعهد العربي للثقافة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٤ .
١٩. عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ العرب المعاصر ، بيروت ، ١٩٤٧ ، ص١٧٣ .
٢٠. غانم محمد الحفو ، معاهدة عام ١٩٣٠ ودخول العراق عصابة الأمم في تاريخ العراق المعاصر ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢ .
٢١. فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية — البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ — ١٩٤٨ ، وزارة الاعلام العراقية ، سلسلة دراسات (١١٦) ، بغداد ، ١٩٧٧ .
٢٢. فاضل حسين ، مشكلة الموصل ، دراسة في الدبلوماسية العراقية — الإنكليزية — التركية والرأي العام ، مطبعة الواسطية ، بغداد .
٢٣. فاضل حسين وعبدالوهاب القيسي وعبد الأمير محمد أمين ، تاريخ العراق المعاصر ، جامعة بغداد ، مطابع جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .
٢٤. فريق مزهر الفرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٢ .

٢٥. فيليب ويلر ايرلند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة : جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٤٩ .
٢٦. لطفي جعفر فرج ، عبدالحسين سعدون ودوره تاريخ العراق السياسي المعاصر ، ط٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ .
٢٧. محمد حسن العدول واخرون ، تاريخ الوطن العربي المعاصر ، جامعة الموصل ، دار الطباعة الجامعية ، ١٩٨٦ .
٢٨. محمد عزه دروزه ، حول الحركة العربية الحديثة ، ج٢ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٥٠ .
٢٩. نزار كريم جواد الربيعي ، دراسات في تاريخ سوريا المعاصر ، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٢ .
- ثانياً : الكُتُب الأجنبيَّة :

J.Moberly ,official,history at the great war I , the campaign in mesopotais 1914 - 1918 , London , vol.I .

L. Georg , the truth about the treabids by david lioyed cocarge , I,ii, London , 1938 .

ثالثاً : الرِّسائل والأطاريح الجامعية :

أ : الرسائل :

صباح مهدي ويس ، الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ - ١٩٢٧ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .

محمد صالح الزيايدي ، الحكومة العراقية المؤقتة ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ - ٩ أيلول ١٩٢١

دراسة في الواقع الإداري ، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة القادسية ، ٢٠٠١ .

١. منتهى عذاب نويب ، بيرسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤ - ١٩٢٣ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ .

ب : الأطاريح :

١. حيدر جواد كاظم العمار ، إدورد غري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية ١٩٠٥ - ١٩١٦ ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٥ .

٢. علي نشمي حميدي المالكي ، مؤتمر الصلح في باريس والمشرق العربي ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ، ١٩٩٥ .

سياسة ايران تجاه الحركة الكردية في العراق

١٩٥٨-١٩٦٨

م.د. كافي سلمان مراد

كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية

المقدمة :

للقوف على السياسة إيران اتجاه الحركة القومية الكردية في العراق ، التي تنبعث على ما تفرزه نشاط هذه الحركة من كسب حقوقها القومية من الدولة العراقية ، ونمو الوعي القومي الكردي وانعكاسه على تأجيج الفكر القومي للشعب الكردي الإيراني وما يشكله من خطر على مصالح حكومة شاه إيران . مرت سياسة إيران اتجاه اكراد العراق بمفاصل زمنية تبعاً للتطورات السياسية في الدولة العراقية ، فالمرحلة الأولى التي اعقبت الحرب العالمية الثانية نرى التعاون الكبير بين حكومة شاه إيران والحكم الملكي في العراق على تحجيم الحركة الكردية خوفاً من تنامي تأثير الفكر القومي الكردي على اكراد إيران .

عند قيام العهد الجمهوري في العراق ١٩٥٨ ووضوح خط الثورة بالابتعاد عن الاحلاف العسكرية الغربية التي ارتبط بها العراق في العهد الملكي مع إيران والاتجاه الى المحور الشرقي ومباركة الاتحاد السوفيتي للعهد الجمهوري في العراق ، وكان من مناهج الحكم الجديد في العراق اعطاء الحقوق القومية للشعب الكردي ، واعتراف الدستور العراقي المؤقت لسنة ١٩٥٨ بشراكة الكرد في الوطن واعتبارهم القومية الثانية في العراق وعودة زعيم الحركة الكردية ورئيس الحزب الديمقراطي الملا مصطفى البارزاني واتباعه من الاتحاد السوفيتي ، كما حصل تطور لاحق للسياسة الايرانية بعد حدوث انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ومقتل الزعيم عبد الكريم قاسم في العراق ووصول حزب البعث للسلطة ، شهدت الحركة الكردية في العراق شيء من الهدوء والدخول في مفاوضات مع النظام البعثي الجديد حول منح الحكم الذاتي للكرد والذي وعد حزب البعث للكرد قبل الانقلاب ٨ شباط ،

المبحث الأول

العلاقات العراقية - الايرانية واثرها على القضية الكردية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣ موقف إيران من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

شهدت العلاقات العراقية الايرانية تطورا كبيرا في العهد الملكي كان لها الاثر الكبير على القضية الكردية في كلا البلدين، التي شكلت مصدر قلق على سياسة البلدين لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث شهدت القضية الكردية تطورا كبيرا على صعيد تنامي الوعي القومي لدى العديد من الافراد وطبقات المجتمع الكردي على صعيد النشاط السياسي للأحزاب والجمعيات الكردية ، كما شهدت هذه المرحلة تعاون بين البلدين في تحجيم نشاط الحركة الكردية ومنع تسلل الجماعات المسلحة على الحدود .

جاءت ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ في العراق في ظروف دولية معقدة بسبب حالة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان من معالم هذه الحرب التنافس للسيطرة على الشرق الاوسط ، لا سيما منطقة الخليج العربي لأهميتها من الناحية الاقتصادية لما تحتويه من مواد اولية مهمة كالنفط ، فضلا عن الموقع الاستراتيجي ومنع امتداد نفوذ الاتحاد السوفيتي اليها ، ومن هذه الاساليب إقامة الاحلاف العسكرية المرتبطة بالسياسة الغربية مثل ميثاق حلف بغداد عام ١٩٥٥ الذي ضم كل من العراق وإيران وتركيا فضلا عن دول أخرى ، ومبدأ إيزنهاور ١٩٥٧ الذي عرضة الولايات المتحدة تقديم المساعدات المالية والعسكرية لدول المنظمة لتلك الاحلاف^(١) .

كان لقيام ثورة تموز في العراق الاثر الاكبر في تعميق التحالف الثنائي بين إيران والولايات المتحدة الامريكية التي وجدت في إيران ونظامها الموالي للغرب القوة المناسبة التي يمكن من خلالها مواجهة المتغيرات الجديدة في المنطقة عقب خروج العراق من حلف بغداد ومبدأ

أيزرنهاور، ومنع قيام تحالف العراق مع الاتحاد السوفيتي الذي ربح بالثورة رسمياً وهدد باتخاذ الإجراءات الضرورية ضد أية محاولة للتدخل في شؤون العراق الداخلية^(٢).
توافق الموقف الأمريكي مع الموقف الإيراني إزاء ثورة الرابع عشر من تموز، إذ عدت إيران قيام النظام الجمهوري في العراق وتبنيه سياسة جديدة على الصعيدين الداخلي والخارجي تهديداً مباشراً لأنها الوطني، ودعماً للقوى المناهضة للملكية داخل وخارج إيران، علماً بأن محمد رضا بهلوي شاه إيران كان يراقب بقلق التطورات السياسية الثورية في دول الشرق الأوسط العربية، كما كان هناك شعور بالخوف من إن تفرض الثورة العراقية نفسها على بقية الدول العربية الأخرى في منطقة الخليج العربي، وقيام انقلابات عسكرية والرادكالية العربية وتغلغل النفوذ السوفيتي مما يقلل من عدد الانظمة الصديقة لإيران^(٣)

. شهدت العلاقات العراقية الإيرانية مزيداً من التوتر، عندما استقبلت الحكومة السوفيتية نبأ قيام الثورة في العراق بالترحيب والاستبشار، لأنها وجدت فيها نهاية لميثاق بغداد الذي وجد لتهديد الإتحاد السوفيتي وتطويقه، فأعلنت اعترافها بحكومة الثورة في اليوم الثاني ودعمه لها والدفاع عنها إذا تطلب الأمر معلناً عن رفضه القاطع لأي شكل من أشكال التدخل العسكري في المنطقة ومحذراً من أي تدخل في شؤون العراق الداخلية، وتأكيداً للموقف السوفيتي فقد أرسلت عدة سفن محملة بالأسلحة إلى العراق عبر شط العرب، مما أثار مخاوف الشاه عندما شعر بأنه أصبح مطوقاً بالخطر السوفيتي في حدوده الشمالية والغربية^(٤).

وفعلاً وبعد أن وجدت إيران بأن ميثاق بغداد غير قادر على حماية الأنظمة المشاركة فيه، دخلت في كانون الأول ١٩٥٨ في مباحثات مع الولايات المتحدة الأمريكية طالبة مساعداتها في حال تعرضها إلى أي هجوم مسلح خارجي، وزيادة الدعم العسكري والاقتصادي لها، وبناءً على ذلك وقعت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية إجرائية مع إيران في الخامس من آذار ١٩٥٩، وبموجبها عدت الولايات المتحدة استقلال إيران وسلامتها مسألة حيوية لمصالحها الوطنية^(٥)

عدّ العراق الاتفاقية وزيارة الرئيس الأمريكي لإيران تحالفاً موجهاً ضده وضد نظامه الجديد وتوجهاته، وبدأت الصحف العراقية تشير إلى خطورة هذه الزيارة والاتفاق بوصفهما تهديداً لسلامة العراق وأمنه الوطني، وأن إيران أصبحت قاعدة أمريكية في المنطقة للعدوان على العراق، حيث قررت الولايات المتحدة الأمريكية إقامة مراكز حربية لضرب حدودنا الشمالية الشرقية^(٦).
وتأكيداً لأهمية الدور الإيراني بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية في المنطقة، قام الرئيس الأمريكي إيزرنهاور بزيارة إيران في كانون الأول ١٩٥٩ وعبر خلال زيارته عن إعجابه بالموقف الجريء الذي إتخذته إيران بوجه ما يسمى بالضغط الخارجي^(٧)

ومن أهم الأمور التي زادة من مخاوف شاه إيران تصاعد نشاط الحزب الشيوعي العراقي كقوة متحالفة مع النظام الجديد ومحاولته السيطرة على السلطة وله ميول قوية للاتحاد السوفيتي قد شكل توجساً مضافاً للشاه قد يشكل دعماً كبيراً لحزب الشيوعي الإيراني (تودة)^(٨) الذي عمل الشاه على تحجيم دوره وحظر نشاطه رسمياً في إيران وعبرت الحكومة الإيرانية عن قلقها وحاولت اضعاف مسحة دينية على مهاجمة الحكومة العراقية، إذ عملت على تأليب المؤسسة الدينية باتهام الشيوعية بالاعتداء على رجال الدين^(٩).

أن مخاوف شاه إيران لا تنحصر على علاقة النظام الجديد في العراق مع الاتحاد السوفيتي فحسب بل ازدياد قلقها من بناء العراق علاقات طيبة مع الاقطار العربية منها الجمهورية العربية المتحدة واليمن، إذ شعرت إيران بأن العراق قد يتحالف مع مصر وسوريا في مساعدهم من اجل القوة والسيطرة على الشرق الاوسط، لاسيما بعد ان ارسل مجلس الوزراء العراقي وفد برئاسة عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء الى دمشق لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر، لتنسيق المواقف

بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وصل الوفد الى دمشق صباح يوم التاسع عشر من تموز ١٩٥٨ للحصول على دعم الجمهورية العربية وأسنادها السياسي ، والعسكري^(١٠) . بدأت ايران تثير المتاعب للنظام الجديد وانتهاز الفرصة للتغيير الثوري فيه ، وحاجة السلطة الجديدة الى الاستقرار للحصول على بعض المكاسب من خلال عدد من المعاهدات والاتفاقات التي عقدها النظام الملكي في العراق حول الحدود البرية والمياه في شط العرب ، على الرغم من اعلان البيان الاول للثورة والذي جاء فيه تمسك في وحدة التراب العراقي ، وبالعلاقات الاخوة مع الاقطار العربية والاسلامية والالتزام بمبادئ ميثاق الامم المتحدة وتحترم الاتفاقات والمعاهدات الدولية ، ولم تمضي اشهر حتى بدأت الحكومة الايرانية بفتح صفحة الصراع مع العراق في مؤتمر صحفي لشاه ايران عقده في طهران في الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٨ واصفاً بنود معاهدة ١٩٣٧ مع العراق غير محتملة ورغبته في الغائها وفي اعقاب تصريح الشاه بدأت حملة دبلوماسية واعلامية ايرانية ضد العراق ، كما باشرت القوات الايرانية استعدادتها العسكرية التي باتت تهدد أمن وسلامة العراق ، وارسل قواتها الجوية وتعزيز قواعدها العسكرية في عبادان وديزفول ، وقدرت القوات العسكرية في المحمرة بثلاث فرق^(١١) . استمر الخلاف بين العراق وايران حول المياه في شط العراق والحدود البرية حتى عقد اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ .

سياسة عبد الكريم قاسم تجاه الكرد في العراق ١٩٥٨-٨ شباط ١٩٦٣

رحب الكرد بانتصار ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، واعتراف قادتها علناً ورسمياً بشراكة العرب والكرد في هذا الوطن، وتم تثبيت هذا الحق في الدستور المؤقت لسنة ١٩٥٨ في البند الثالث ، الذي نص على ((أن العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن))، إن هذا القرار كان من أكبر الخطوات أهمية إذ فتح آفاقاً جديدة لتلاحم الأخوة العربية - الكردية ونضالهما المشترك ، وأعطاء الكرد دوراً أكبر في مجال صياغة الهوية العراقية ، لاسيما بعد عودة قائد الحركة الكردية الملا مصطفى البارزاني^(*) ومن معه من منفاه في الاتحاد السوفيتي^(١٢) .

بدأ الصراع يشتد بين عبدالكريم قاسم وبين الفرقاء السياسيين الفاعلين في الساحة العراقية بسبب بعض الاجراءات التي اتخذها ، منها تفرد بالسلطة، وسرعان ماتحول هذا الصراع إلى صراع مسلح حيث تعرض عبدالكريم قاسم إلى سلسلة من الاغتيالات ومحاولات انقلابية إلى إن هذه المحاولات لن تنجح، والتي قادت منفيها إلى الاعدام ، حيث أعدم عبدالوهاب الشواف على أثر فشله في محاولته الانقلابية التي قام بها في ١٩٥٩ ، والتي لحقها اعتقال عدد من الضباط في الجيش العراقي ، وتم طردهم من الوظائف، وأحالة أعداد أخرى من القوميين والضباط الوطنيين على التقاعد او الإقامة الجبرية ، كما حصل لعبدالسلام محمد عارف أحد رفاق عبدالكريم قاسم وشريكه في ثورة ١٤ تموز^(١٣) .

إن هذه الأوضاع فضلاً عن تدهور العلاقة مع بداية ١٩٦٠ بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وعبدالكريم قاسم الذي اتهم سكرتير الحزب ، بالتعاون مع العناصر القومية المعادية له لاسقاطه، كما حاول الحد من نفوذ البارزاني ، واخذ يتعمد بايجاد وسيلة لتصفيته، فبدأ بأهمال البارزاني وتقريب الاقطاعيين والاعوان الكرد المناوئين للحركة القومية الكردية وتسليحهم مما خلق حالة من التوتر في كردستان ، حتى بلغ التوتر بين الحكومة والحزب الديمقراطي الكردستاني بشن الجيش العراقي حملة عسكرية واسعة على مواقع الحزب ورد الحزب باعلان الثورة في الحادي عشر من أيلول عام ١٩٦١ ، واستمرار القتال حتى الانقلاب الذي قام به حزب البعث العربي بالتعاون مع العناصر القومية في الجيش العراقي في ٨ شباط عام ١٩٦٣ . وتحولت الحركة الكردية في كردستان العراق إلى قوة فعلية دولياً وداخلياً سببت في اسقاط نظام عبد الكريم قاسم والحكومات المتعاقبة من بعده ، وتم اعدام عبد الكريم قاسم في التاسع من شباط عام ١٩٦٣ على يد حزب البعث العربي الاشتراكي وبالتعاون مع عبد السلام محمد عارف^(١٤) .

موقف إيران من ثورة ١١ / أيلول ١٩٦١ في كردستان

ساعت العلاقات بين العراق وإيران عقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق وانسحاب العراق من حلف بغداد وزيادة النفوذ اليساري في عهد عبد الكريم قاسم ، ولما جاء حزب البعث إلى الحكم ١٩٦٣ ازدادت هذه العلاقات توتراً. فقد عرض شاه إيران العون على القيادة الكردية عبر المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني ، وقد سبق ذلك اتصالات عديدة لتقديم الدعم العسكري للقوات الكردية في قتالها مع الجيش العراقي ، وذلك لاشغال النظام العراقي في مشاكله الداخلية وابعاده عن الانظمة الحكم العربية الذي كان يخشاها شاه إيران كنظام حكم جمال عبد الناصر ونفوذه في العالم العربي بوجه عام والعراق بوجه خاص بعد أن اخذ عبد الكريم قاسم يطالب باعادة الكويت الى العراق وزعزعت الأمن في منطقة الخليج العربي^(١٥) ، لذلك بدء منتصف عام ١٩٦٢ أمر شاه إيران وكالة المخابرات الإيرانية (سافاك) بالمساعدة في تمويل التمرد الكردي في شمال العراق لتقويض استقرار النظام في بغداد^(١٦).

وأكدت الحكومة العراقية أن اتصالات جرت بين الحكومة الإيرانية والمتمردين في شمال العراق الذين ارسلوا وفداً إلى طهران برئاسة جلال طالباني عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي ، كما أن الحكومة الإيرانية شجعت القبائل الكردية الإيرانية القاطنة في المنطقة الحدودية مع العراق على دعم المتمردين ، كما دعت وسائل الاعلام الإيرانية إلى دعم تمرد البارزاني في شمال العراق .

لقد هاجم عبد الكريم قاسم إيران وأكد ان ثورة العراق اثارته حفيظة شاه إيران وحلفائه الغربيين الذين خشوا من سقوط نظام الحكم في إيران كما حدث في العراق لهذا عملوا على دعم التمرد^(١٧).

موقف حكومة حزب البعث الأولى من القضية الكردية ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣

تمر القضية الكردية في نهاية أي حكم في العراق بشيء من الهدوء ، والترقب وهذا الوضع يكون مؤقتاً في الغالب ، وقد انطبق هذا الواقع على نهاية حكم عبد الكريم قاسم حين كان الكرد في حالة حرب مع عبد الكريم قاسم وتوقفت بشكل مؤقت حين سيطر حزب البعث والعناصر القومية ومنهم عبد السلام محمد عارف^(*) ، وقد نجح البعثيون في الاتصال بممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني^(*) صالح اليوسفي قبل توليهم السلطة للتعاون لاسقاط النظام مقابل حل المشكلة الكردية ومنحهم الحكم الذاتي في إطار جمهورية العراق^(١٨).

من اجل كسب تأييد الحركة المسلحة الكردية ، أو تجنب خطرهما على الاقل خلال الفترة الأولى بعد الانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ واعد البعثيون الكرد بحكم ذاتي اوسع ، ولكن كلما وطدوا مواقعهم في الحكم وتخلصوا من اعدائهم بالقتل والارهاب ، أصبحوا أكثر ميلاً للتأجيل والنتيجة النهائية لم تكن إلا وعداً للكرد ب(بأدارة لا مركزية)، كي تحل محل الحكم الذاتي ، فلم يوافق قادة الحركة الكردية وطالبوا بالاعتراف في الحال ولا لبس فيها بالحكم الذاتي ضمن أطار الجمهورية العراقية^(١٩).

لذلك تم الدخول في مفاوضات مع قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة الملا مصطفى البارزاني والحكومة الجديدة بقيادة حزب البعث العربي حول منح الحكم الذاتي للكرد داخل العراق ، وصل الوفد الكردي برئاسة جلال الطالباني عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني يوم ١٧ شباط ١٩٦٣ والتي انتهت بفشل المفاوضات في أيار ١٩٦٣

واعتقال الوفد الكردي، وطالت فترة المفاوضات نتيجة خطة مرسومة من قبل البعث لأنه لم يكن بإمكانه الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي. واخيراً خاطر البعث وأعلن حرباً إبادة على الشعب الكردي في العاشر من حزيران ١٩٦٣ استمرت حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣^(٢٠). وتوقفت بشكل مؤقت بعد حركة التصحيح التي قام بها الرئيس عبد السلام محمد عارف ضد حزب البعث والحرس القومي، ونجاحه ليس في ابعاده عن السلطة وإنما في تصفية عناصره من الجيش، والأدارات المدنية، وكذلك توفير فرصة للمقاتلين الكرد لاستعادة اتفاقهم وتنظيم صفوفهم مجدداً^(٢١).

موقف إيران من إعلان حكومة البعث الأولى الحرب على كردستان في العاشر من حزيران ١٩٦٣

بعد سقوط نظام عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣، وبروز حالة جديدة للموقف الإيراني من الكرد في معركة العاشر من حزيران التي شنتها حكومة عبد السلام عارف على كردستان، غيرت إيران موقفها مع قادة الحركة الكردية، وذلك بإرساله مجموعة من المراقبين العسكريين إلى الموصل وكركوك كضباط يزودون القيادة العراقية بمعلومات عن تحرك المقاتلين الكرد فضلاً عن اغلاقها الحدود بوجه تنقلات هؤلاء المقاتلين من وإلى داخل أراضيها فضلاً عن منع ايصال الامدادات القادمة من الاتحاد السوفيتي عبر الاراضي الايرانية باتجاه شمال العراق^(٢٢).

كما اتسم موقف إيران بالوضوح من تجدد القتال في كردستان العراق، حيث عقد حلف السننو ((CENTO))^(٢٣)، (الحلف المركزي) في أزمير لوضع خطة عسكرية ضد الكرد عرفت هذه الخطة باسم عملية ((النمر)) تتحرك القوات التركية باتجاه الموصل والقوات الايرانية باتجاه السليمانية، وساهمت اسرائيل بهذه الخطة عندما سافر رئيس أركان الجيش الاسرائيلي (موش غورين) إلى إيران لإعطاء المشورة حول أفضل الطرق للتحرك ضد الكرد^(٢٤). جاء هذا التغيير في الموقف الإيراني نتيجة الضغط الأمريكي على شاه إيران بعد اعادة امريكا علاقاتها مع حكومة البعث في العراق.

. بالرغم من التحذير الذي قام به الاتحاد السوفيتي لأعضاء حلف السننو الذي استعانت حكومة البعث في العراق بحلف السننو للاشتراك في ضرب الكرد، واعتبر الاتحاد السوفيتي هذا تدخل في شؤون العراق الداخلية، وما له من نتائج خطيرة من فتح المجال لتقوية مواقع الاستعمار في منطقة الشرق الاوسط^(٢٤).

المبحث الثاني

القضية الكردية في العهد العارفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ - ١٩٦٨

سياسة إيران تجاه الكرد في ظل حكم عبد السلام محمد عارف ١٩٦٣ - ١٩٦٦

بعد ثلاثة اشهر من ردة تشرين الثاني ١٩٦٣، كانت الحكومة العراقية تعاني من التناقض بين ايدولوجية وتوجهات حزب البعث من جهة وبين سياسة عبد السلام عارف من جهة اخرى، وعدم ايمانه في حل القضية الكردية، والدخول في مفاوضات قبل تثبيت حكمة والقضاء على اعدائه من الحرس القومي وحزب البعث، كذلك الحركة الكردية كانت تعاني من انقسام داخل الحزب الديمقراطي الكردستاني بين المكتب السياسي برئاسة جلال الطالباني وابراهيم احمد ورئيس الحزب الملا مصطفى البارزاني، كانت القيادة الكردية بحاجة الى إعادة النظر في تنظيم صفوف الحزب من جهة والجانب العسكري لقوات البيشمركة التي كانت تعاني من الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي كانت عليها الثورة، كما ان البيشمركة بحاجة لأخذ قسط من الراحة للتقاط انفاسها بعد المعارك الطاحنة والشرسة التي خاضوها مع نظام البعث في العراق، كما اتخذ الملا مصطفى البارزاني وبشكل منفرد قرار وقف القتال في العاشر من شباط ١٩٦٤، وبدون أن يصدر

من الرئيس عبد السلام محمد عارف أي بيان يضمن الحقوق القومية الكردية او استعداده لقبولها^(٢٥).

واجه البارزاني معارضة اكثرية اعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي على وقف القتال دون قيد او شرط يتعلق بالحقوق الاساسية للکرد مما أدى إلى انقسام شديد بين صفوف الحزب كما دعى البارزاني الحزب الى توقف نشاطه السياسي انسجاماً مع قانون العراقي الجديد القاضي بمنع الاحزاب السياسية ، وتعهد البارزاني بأستئناف القتال اذا لم يمنح الكرد حقوقهم في الحكم الذاتي ،^(٢٦).

اثنى البارزاني في تصريح له على سياسة عبد السلام عارف وقال أنه يكن محبة وتقدير للرئيس عبد السلام عارف ، وان الحكومة بالنسبة له كأب الأسرته وأولاده وتسعى دائماً من أجل الرفاهية والسعادة^(٢٧) . لم يكن عبد السلام عارف مؤمناً بأيقاف القتال، والتفاوض مع قيادة الثورة الكردية والاستجابة لأدنى مطالبها ، ألا أن الثورة أرغمته على تغيير موقفه من الحرب على كردستان، وفي ١٢ من شباط ١٩٦٤، تم عقد اتفاقية لوقف القتال في كردستان مع الملا مصطفى البارزاني ، حصل الكرد على بعض المكاسب بعد وقف اطلاق النار منها انسحاب الجيش من كردستان ، واطلاق سراح اعضاء الوفد الكرد المفاوض خلافاً لكل الاعراف السياسية والاخلاقية ، كما تضمنت الاتفاقية على اعمار المناطق الكردية التي دمرها الجيش العراقي ورفع الحصار الاقتصادي على كردستان ، وجرى خلال فترة وقف اطلاق النار عقد المؤتمر السادس للحزب وتشكيل مجلس قيادة الثورة واستئناف صدور جريدة الحزب خبات ، حظي الاتفاق بتأييد الشخصيات الوطنية العراقية وتأييد عربي ودولي^(٢٨).

وفي تشرين الاول ، ١٩٦٤ اقر البارزاني اجراء مفاوضات مع الحكومة العراقية بعد نشر دستور ١٩٦٤ وارسل مذكرة للحكومة العراقية يطلب بها تعديل المادة الاولى من الدستور العراقي الجديد إلى(أن الشعب العربي في العراق هو جزء من الامة العربية) (بدل ان الشعب العراقي هو جزء من الامة العربية) كما طالب بتعديل المادة ١٩ من الدستور العراقي المؤقت التي جاء فيها (ان هذا الدستور يكفل للمواطنين عرباً واکراداً حقوقهم القومية ضمن وحدة الدولة العراقية) الى (ان هذا الدستور يعترف بحقوق الشعب الكردي على اساس الحكم الذاتي ضمن اطار الوحدة العراقية) ، كما طالب بانسحاب الجيش العراقي من خانقين وكركوك واربيل والسليمانية ، كما تم تعديل المادة ١٩ في ايلول ١٩٦٥ الى (يقر هذا الدستور الحقوق القومية للاكراد ضمن الشعب العراقي الواحد في وحدة وطنية متأخية)^(٢٩).

في نهاية ١٩٦٤ توترت الاوضاع في كردستان ، وفشلت المفاوضات بين الحكومة العراقية والقيادة الكردية ، وتبادل الاتهامات بين الطرفين بطرح المطالبب التعجيزية لاسيما ما يتعلق بطلب الحكومة بحل قوات البيشمركة التي وردت بالاتفاق والتي رفض الملا مصطفى واعدها تقريباً بأهم مقومات الثورة الكردية ومركزاتها الاساسية^(٣٠).

توترت الاوضاع في كردستان في كانون الاول ١٩٦٤، وجرت مناوشات عسكرية نتيجة الغارات التي شنتها الحكومة العراقية على مواقع البيشمركة ، وفي شباط ١٩٦٥ ارسلت الحكومة العراقية رسالة إلى الملا مصطفى تضمنت رفض الحكومة المطالبين الرئيسيين هما الحكم الذاتي والاحتفاظ بقوات البيشمركة وضرورة الخضوع للسلطة المركزية ، وان الحكومة ستتخذ الاجراءات الفعالة لاعادة القانون والنظام لكردستان ، وهكذا تجاهلت الحكومة بنود اتفاقية الثاني عشر من شباط ١٩٦٤^(٣١).

إلا أن عبد السلام عارف لم يكن صادقاً كشركائه البعثيين مع الكرد والآخرين ، وشن الحرب على الشعب الكردي في ١٥ نيسان عام ١٩٦٥ ، وقد استخدم قسم كبير من الجيش العراقي في هذه الحملة ، ودار قتال عنيف واطلق عليها عبد السلام عارف هجوم الربيع ، وجدت إيران نفسها

ملزمة بتزويد الاكراد بما يحتاجونه من اسلحة متعددة وتسهيل ممرات للاكراد عن طريق اراضيها ولا سيما عند ضغط القوات العراقية (٣٢)، وفي السادس عشر من كانون الاول ١٩٦٥ وقعت اشتباكات على الحدود العراقية - الايرانية ، وتبادل الاتهامات بين الجانبين حول تسلل رجال الحدود الايرانيين ومعاهم عدد من المقاتلين (الاکراد) إلى الأراضي العراقية ، وفي ضوء ذلك طلب وزير الدولة للشؤون الخارجية السيد عدنان الباججي من القائم بالاعمال الايرانية بالحضور وسلمه مذكرة احتجاج حول الخروقات الايرانية المتكررة على الحدود في الشمال ، وان المساعدات المادية والمعنوية قد ازدادت بشكل ملحوظ فضلاً عن سماح إيران للمقاتلين الكرد باستخدام الأراضي الايرانية لقصف المواقع العراقية (٣٣).

كان لإيران دوراً كبيراً في مقاومة الكرد للجيش العراقي والقتال لفترة طويلة بعد حصولهم على دعم من الشرق والغرب بما فيه السلاح ، وبدأ الكرد باستخدام المدافع المقاومة للجيش العراقي ، واعتبرت تشيكوسلوفاكية مصدر هذه الاسلحة التي كان ترسل عن طريق كردستان إيران ويعلم الحكومة الايرانية ، وكان وزير الدفاع العراقي عبد العزيز العقيلي قد طلب من الحكومة الايرانية بغلق حدودها في بوجه الخارجين عن القانون وهذه الحدود التي اصبحت مصدر تمويلهم والتدريبهم (٣٤).

كان لشاه إيران علاقات مع الكيان الصهيوني الذين كانوا يخشون قوة الجيش العراقي الذي كان يشكل خطراً على الكيان الصهيوني في فلسطين لذلك حاولوا اضعافه واشغاله عن طريق استغلال القضية الكردية في شمال العراق للوقوف بوجه الحكومات العراقية المتعاقبة واطعافها وذلك عن طريق ارسال المعونات المالية والاسلحة للكرد لاستمرارهم في حرب طويلة عن طريق ايران ، كما كان لشاه ايران علاقات بالملك فيصل ال سعود ملك المملكة العربية السعودية قد شجع شاه ايران سنة ١٩٦٥ بدأ جدياً بعرض مساعداته على الاكراد محاولة منه على ضرب الحركة التحررية العراقية (٣٥).

كما ارسل الملك فيصل ال سعود برسالة الى الرئيس الامريكي جونسون يطلب فيها من الرئيس الامريكي أن يقوم بتقوية الملا مصطفى البارزاني في شمال العراق ، بعرض إقامة حكومة كردية مهمتها اشغال أي حكم في بغداد يريد أن ينادي بالوحدة العربية شمال مملكته في ارض العراق سواء في الحاضر والمستقبل ، علماً أننا بدأنا بالمال والسلاح بامداد البارزاني من داخل العراق او عن طريق ايران او تركيا (٣٦).

كان موقف اللجنة المركزية داخل الحزب الديمقراطي الكردستاني على هذه المساعدات رفض اليساريون في الحزب قبول هذه المعونات ورفض التعاون مع النظام الايراني مشيراً إلى المخاطر المتزايدة التي يمكن ان ينجم عنها ، ورغم ذلك قبل الملا مصطفى واتباعه التعاون مع ايران واصدقائها بشكل واضح بسبب ما كان يتعرض له الكرد من ضغط ، واعمال عسكرية من قبل الحكومة (٣٧).

وزارة عبد الرحمن البزاز الأولى

كلف عبد السلام عارف عبد الرحمن البزاز (*) في (٢١ ايلول عام ١٩٦٥-١٨ نيسان ١٩٦٦) في تولي الوزارة خلفاً لطاهر يحيى بتشكيل وزارة جديدة ، وقد تعهد البزاز بأقامة نظام حكم دستوري ، وتحقيق الازدهار للشعب في ظل اشتراكية عربية رشيدة ، كما هاجم البزاز الانقلابات العسكرية لان البزاز كان مديناً ويمتاز بالاعتدال وابدى اهتماماً بالإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ، استبشر الكرد خيراً أمليين بايجاد حلاً يرضيهم (٣٨).

وفي نيسان من العام نفسه حشدت الحكومة العراقية قواتها في منطقة راوندوز وحددت ليلة ١٦/١٥ لشن هجوم شامل على مواقع القوات الكردية المحصنة على طول طريق راوندوز - حاج عمران الا ان وفاة عبد السلام عارف تاجل الهجوم^(٣٩).

قتل عبد السلام عارف في ١٣/ نيسان ١٩٦٦ في حادث تحطم طائرته في البصرة ، وقد اعلن البزاز بياناً اعلن فيه منع التجوال واغلاق الحدود لحين ترتيب لاختيار رئيس جديد للجمهورية ، وفي مساء ١٦ نيسان ١٩٦٦ تم اختيار عبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية ، وكان يشغل رئيس اركان الجيش ، واحتفظ البزاز بمنصبه بعد ان تم تكليفه للوزارة الثانية في ١٨-نيسان ١٩٦٦ ، واذاع البزاز بياناً أكد فيه على سيادة القانون وتحقيق الرخاء الاجتماعي^(٤٠).

رحب الكرد بتولي البزاز الوزارة الثانية ، واعلنوا من اذاعة صوت كردستان الحرة عن استعدادهم للتفاهم مع الحكومة والعمل على انتهاء حالة الحرب فجاء جواب الحكومة سريعاً في الثالث من مايس فقامت الفرقان الاولى والثانية من الجيش العراقي بشن الهجوم الذي جرى تخطيطه وتساندهما القوة الجوية العراقية ضد القوات الكردية التي تسيطر على راوندوز وجبل زوزك وجبل هندرين ، وخلال عشرة ايام استطاعت القوات الكردية من شن هجوماً مضاداً على اللواء الرابع وتدميره تاركاً عدد القتلى ٢٠٠٠ مقاتل وعدد من مختلف المدافع الجبلية ، والف بندقية ومختلف الاجهزة اللا سلكية وكميات كبيرة من الذخائر^(٤١).

أدت هذه الهزيمة التذمر في صفوف الجيش العراقي الذي كان يعارض الحرب بصورة علنية كما تم عزل مجموعة من الضباط الذين كانوا يصرون على مواصلة الحرب^(٤٢).
كما قامت الحكومة العراقية بأجراء مفاوضات مع إيران لحل مشاكلها معها بغية قطع العون عن الثورة الكردية^(٤٣).

كانت رغبة العراق في حل مشاكله مع ايران مع الضغط الدولي ادى إلى تقارب وجهات النظر ، كما صرح شاه ايران خلال لقائه مع السفير الامريكى في طهران في ١٩ كانون الثاني ١٩٦٦ بأن المشكلة الكردية هي شأن داخلي عراقي ومن الممكن حلها بالطرق السلمية دون اللجوء الى استخدام القوة العسكرية وبالمقابل التمس عبد الرحمن البزاز من جمال عبد الناصر خلال زيارته للقاهرة الكف عن الحملات الاعلامية ضد ايران مؤكداً ان هذه الحملات تؤدي الى تأزم العلاقات العراقية الايرانية^(٤٤).

وبعد هذه الهزيمة اصدر البزاز في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ بياناً يتضمن تسوية المسألة الكردية ، وقد اعترف البيان بالقومية الكردية بشكل قاطع في الدستور وباللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية التي تسكنها الاغلبية الكردية ، والتاكيد على قانون المحافظات المقترح ، الا ان القانون ظل حبراً على ورق ، مما ادى إلى عودة التمرد الكردي استمر حتى قيام ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨^(٤٥).

عند مناقشة تعاون قادة الحركة الوطنية الكردية مع إيران وحلفائها لا بد أن يكون للكرد مبررات لا بد من اخذها بنظر الاعتبار، منها أن الشعب الكردي كان يعاني من سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية واهمال كل الحكومات المتعاقبة لاعمار كردستان وشمولها بالمشاريع الاقتصادية والصحية فضلاً عن استمرار المعارك والحملات العسكرية التي تشنها حكومات العهد الملكي ، والتي دمرت مئات القرى وهجرت سكانها بين الجبال او اللجوء الى الحدود الإيرانية ، والتركية ،ونفي شيوخها إلى جنوب العراق بسبب مطالبتهم بحقوقهم القومية . كان ادراك قادة الحركة القومية الكردية لا يمكن القتال، ومواجهة الجيش العراقي المجهز باحدث الاسلحة و استمرارها في الدفاع عن حقوقها إن لم تجد من يدعمها وهي تدرك أن هذا الدعم ليس من اجل الكرد وانما كان لإيران اهداف سياسية واقتصادية مع العراق ، ويمكن تحقيقها عن طريق استمالة الكرد ودعمهم في استمرارهم في القتال وانهاك الجيش العراقي للضغط على الحكومات العراقية لتحقيق مصالحها

لاسيما في شط العرب والحدود البرية مع العراق ، ومتى ما حققت ايران اهدافها نراها تتخلى عن
الکرد كحليف لها .

الخاتمة :

شهدت العلاقات العراقية-الإيرانية منذ بداية الحكم الملكي في العراق حالة عدم الأستقرار ناتجة
عن مشكلات تعود الى الصراع العثماني – الفارسية نتيجة أطماع لهم في العراق فضلاً عن تقسيم
اقليم كردستان بين تركيا والعراق، وايران ،حالة إيران واثارة عدد من المشاكل منها قضية
الحدود البرية وقضية الانهارومياه شط العرب التي حاول العراق حلها في ميثاق سعد أباد عام
١٩٣٧ ، و محاولة التعاون في مواجهة الثورات والانتفاضات الكردية التي شكلت مصدر قلق لكلا
البلدين حتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ .

شكلت ثورة السابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ مصدر قلق وخوف لدى إيران وبعض الدول
الاقليمية والغربية نتيجة ضرب مصالحها في العراق ، كانت ترتبط مع العراق بأحلاف عسكرية ،
واقصادية لمواجهة المد الشيوعي ، وأخذ من العراق منصة لضرب الاتحاد السوفيتي (سابقاً)، في
الشرق الاوسط ، ومنها حلف بغداد ١٩٥٥ ، التي قام النظام الجديد من خروج العراق من الحلف ،
وغلق مقره في بغداد ، و هذا ادى إلى توتر العلاقة بين العراق وايران التي وقفت موقف معادي
للثورة ومحاولتها إثارة المشاكل للنظام الجديد في داخل وخارج العراق خوفاً من أنتقال الثورة الى
الشعب الايراني الذي كان النظام يعاني من اضطرابات داخلية .

استغلت إيران التوتر الذي ساد بين قائد ثورة تموز عبد الكريم قاسم ، وقائدالحركة القومية
الكردية الملا مصطفى البارزاني ، بعد أن عاد من المنفى إلى العراق حيث رحب الشعب الكردي
بالثورة لاسيما بعد اعتراف الدستور العراقي المؤقت لسنة ١٩٥٨ ، بالحقوق القومية للشعب
الكردي إلا ان تدهور العلاقة بين الكرد والحكومة العراقية أدت إلى حالة الحرب بعد أن شن
الجيش العراق عدد من الحملات العسكرية على القرى والقصبات الكردية عام ١٩٦١، أستغلت
إيران، وبعض الدول الغربية وامريكا الحركة الكردية ودعمها في المال والسلاح لاستمرار في
القتال ، وذلك لاشغال النظام العراقي في مشاكله الداخلية من جهة ومن جهة اخرى محاولة
اضعاف الحركة الكردية التي لم تجد امامها وسيلة للدفاع عن حقوقها وقبولها المساعدات المادية
والعسكرية و بغض النظر عن إيران أو أي الجهة داعمة ،وحماية شعبها من القتل والتهجير .كان
ينظر لها اكراد إيران بفخر واعتزاز والتي كانت سبب في اسقاط حكم عبد الكريم قاسم ٨ شباط
١٩٦٣ .

استمر التوتر بين إيران والحكومات التي اعقبت حكم عبد الكريم قاسم ، حكم الاخوين عبد
السلام عارف وعبد الرحمن عارف لم يستطيعوا هولاء إيقاف المعارك ضد الشعب الكردي
وقياداته ، واحلال السلام في كردستان العراق مما اعطى المبرر وراء التدخل الإيراني في دعم
وتسليح قوات البيشمركة الكردية في قتالها ضد الجيش العراق ليس من اجل الكرد وانما لتحقيق
مصالح لها في العراق ويتحمل قادة الجيش العراقي ورجالات الحكم المتمسكين بالفكر القومي
العربي ، ومحاولتهم الوقوف ضد أي خطوة نحو الحل السلمي للقضية الكردية ، وقطع الطريق
امام شاه إيران وبعض الدول الغربية التي لها مصالح في العراق وعلى حساب أسالة دماء الشعبين
الكردي والعربي فضلاً عن تهجير ، أعداد كبيرة من القرى والقصبات الكردية العزل هرباً من
المعارك إلى الحدود الإيرانية والتركية نتيجة لسياسة التمسك بالافكار العروبية التي سادت المنطقة
العربية آنذاك ، واقامت الاحلاف بين الدول العربية بقيادة جمال عبد الناصر الذي كان له رأي
تجاه القضية الكردية ومنحهم الحكم الذاتي مع الاحتفاظ بوحدة العراق.

أن مسؤولية أمن واستقرار العراق لا يتحقق ما لم تعالج القضية الكردية داخل العراق ، واحتواء الشعب الكردي لياخذ دوره في عملية البناء ، والتنمية ليساهم في تقوية النظام السياسي في العراق القائم على التعددية الاثنية التي كفلتها الدساتير العراقية حتى بعد قيام ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨. في حين تبقى المشاكل والتقاطعات بين دول الجوار سائدة تحدها المصالح مسألة طبيعية في كل عصر وزمان .

قائمة الهوامش :

- ١- سعيد خديدة علو ، العلاقات العراقية الايرانية وأثرها على القضية الكردية ١٤ تموز ١٩٥٨-٨ شباط ١٩٦٣، الاردن ، ٢٠٠٧، ص ٨٠-٨١.
- ٢- عبد المناف شكر جاسم ، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٤٤-٨ شباط ١٩٦٣، بغداد ، ١٩٨٨، ص ٨٤.
- ٣- محمد جواد علي ، العلاقات الامريكية - الايرانية ١٩٤٢-١٩٨٧، ج ١، بغداد ، ١٩٨٨، ص ٢٠٣؛ سعيد خديدة علو ، المصدر السابق ، ص ٨٢.
- ٤- المصدر نفسه ، ص ٨٦.
- ٥- سعيد خديدة علو ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ ،
- ٦- اتحاد الشعب ، (جريدة) ، ٢٦ حزيران ١٩٥٩؛ سعيد خديدة علو ، المصدر السابق ، ص ٨٤.
- ٧- سعيد خديدة علو ، المصدر نفسه ، ص ٨٤.
- ٨- ظهر حزب تودة (الشعب) في ايران بشكل رسمي في العشرين من تشرين الاول عام ١٩٤١ بعد اندماج الحزب الشيوعي ، الذي تأسس عقب الثورة البلشفية ١٩١٧ مع جماعة تقي آراني ، ويعد حزب تودة من اكثر الاحزاب تنظيماً في ايران ومن اقواها . للتفاصيل ينظر : محمد طه علي الجبوري ، تاريخ الحزب الشيوعي الايراني (تودة) ١٩٤١ - ١٩٦٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٨ .
- ٩- سعيد خديدة علو ، المصدر السابق ، ص ٨٧.
- ١٠- سعيد خديدة علو ، المصدر السابق ، ص ٩٣.
- ١١- للمزيد حول معاهدة ١٩٣٧ ينظر : خليل ابراهيم العلاف وجعفر عباس حميدي ، تاريخ العراق المعاصر ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص ٢٥٥-٢٧٠.

*- ولد الملا مصطفى البارزاني في الرابع عشر من اذار ١٩٠٣ في قرية بارزان التابعة للواء اربيل . شارك اخاه الشيخ احمد البارزاني قيادة الحركة الكردية للمطالبة بالحقوق القومية للکرد . قاد الجناح العسكري في انتفاضة بارزان الأولى ١٩٣١-١٩٣٢ ، تمكنت الحكومة الملكية العراقية وبمساعدة القوة الجوية البريطانية من القضاء عليها تم نفي الأسرة البارزانية إلى جنوب العراق ١٩٣٢ ، وفي ١٩٣٥ تم نفيها الى السليمانية . هرب الملا مصطفى عام ١٩٤٣ الى قرية بارزان وقادة انتفاضة التي استمرت حتى عام ١٩٤٥ ، والتي تمكنت الحكومة من إخمادها . التحق الملا بجمهورية مهاباد الكردية في إيران وبعد أن تمكنت الحكومة الايرانية من القضاء عليها توجه إلى الاتحاد السوفيتي . عاد إلى العراق بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، بدأت مناقشات مع الزعيم عبد الكريم قاسم حول الحقوق القومية

الكردي ، ولكن لم تتطابق مع ما كان في نية قاسم ، فأدى إلى تجدد القتال في كردستان في
ايلول ١٩٦١ . توفي في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٩ . للمزيد ينظر : فاضل البراك
، المصدر السابق ؛ شكيب عقراوي المصدر السابق . للمزيد عن ثورة ايلول ١٩٦١ راجع :
ستار علاوي ، موقف عبد الكريم قاسم من القضية الكردية ١٩٥٨-١٩٦٣ ، رسالة ماجستير
غير منشورة ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية .

١٢- اسماعيل محمد حصاف ، القضية الكردية في الصراع الاقليمي والدولي ، اربيل ،
٢٠١٨ ، ص ٣٠٧ . ١٣

١٣ - كافي سلمان مراد ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

١٤- اسماعيل محمد حصاف ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ ؛ علي سنجاري ، المصدر السابق ،
ص ٤٠ .

١٥ - حامد محمود عيس ، المشكلة الكردية في الشرق الاوسط ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٢٣ .

١٦- امريكا تاريخ طويل من التخلي عن الاكراد

<http://mubasher.aljazeera.net>

١٧- نوري عبد الحميد العاني واخرون، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-
١٩٦٨ ، ج ٥ ١٩٦١-٨ شباط ١٩٦٣ ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ١٥٧ .

(*)- شارك عبدالسلام عارف عبدالكريم قاسم ثورة ١٤ تموز والذي اختلف معه وعلى اثر خلافات
طويلة معه عزلة عبدالكريم قاسم ووضعته تحت الإقامة الجبرية في بيته، لذلك اتفق عارف مع
البعثين على الاطاحة بقاسم. الوقائع العراقية، العدد (٧٧١) بيان رقم (١٧) ، ٨ شباط ١٩٦٣ .

(*)- الحزب الديمقراطي الكردستاني :- تأسس الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق عام
١٩٤٦ ، وعقد مؤتمره التأسيسي الاول في بغداد ١٦ / اب / ١٩٤٦ ، وانتخب الملا مصطفى
البارزاني رئيساً له ويعرف الحزب بالبارتي بالكردية اللاتينية (PARIYA
DÊMOKRATA KURDISTANÊ). للمزيد ينظر : عبد الستار طاهر شريف ،
الجمعيات والاحزاب الكردية ١٩٥٨ ، بغداد ، ١٩٨٦ .

١٨- عبد الرحمن قاسم، كردستان والكرد دراسة سياسية واقتصادية ، ترجمة ثابت منصور وغانم
حمدون ، تحرير حسين فيض الله الجاف ، ط ٣ ، السليمانية ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٠٩ .

١٩- ابراهيم رسول حسين العامري ، التطورات السياسية الداخلية في العراق ١٩٦٨-١٩٧٣ ،
رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة كربلاء ، ٢٠١٧ ، ص ٢٧ .

٢٠ - كاوس قفطان ، الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق ١٩٥٨-١٩٦٤ ، اقليم
كردستان ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢١-٢٣٠ .

٢١- الجمهورية ، العدد (٣) في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٣ ؛ سعد ناجي جواد ، العراق والمسألة الكردية
في العراق ١٩٥٨-١٩٧٠ ، لندن ، ١٩٧٠ ، ص ٩٩ .

٢٢- عبد السميع خلف عبد حبيب الجنابي ، تطور المشكلة الكردية في العراق ١٩٥٨-
١٩٦٨ دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة الانبار

، ٢٠١٧ ، ص ١٩١ ؛ كافي سلمان مراد ، موقف حكومة البعث الاولى من القضية الكردية في
العراق ٨ شباط - ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، بغداد ، ٢٠١٧ ، ص ٥١-٦٨ .

٢٣- تأسس حلف السنتو (CENTO) ، (Central Treaty Organization) (الحلف المركزي)
في ٢٤ / ٢ / شباط ١٩٥٥ عندما عقدت تركيا والعراق ميثاقاً ينص على التعاون في مجال الأمن
والدفاع، وترك باب الانضمام اليه مفتوحاً امام الدول التي يعينها الدفاع عن السلم والأمن في منطقة
الشرق الأوسط ضد الخطر الشيوعي.

انظمت بريطانيا اليه في نيسان ١٩٥٥ وباكستان في تموز ١٩٥٥ واتخذ من بغداد مقراً له ، واصبح يعرف بحلف بغداد، انسحب العراق من الحلف بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨ في ٢٤ شباط انسحب العراق عام ١٩٥٩ ونقل مقره إلى انقرة وأصبح يعرف بحلف الستتو. أهداف الحلف عند تأسيسه هو التصدي للمد الشيوعي وأهداف خفية تتمثل في مساندة دولة اسرائيل والسيطرة على نفط الشرق الاوسط وضرب الحركات التحررية وحماية الانظمة الحاكمة. رأفت غنيمي الشبخ، امريكا والعلاقات الدولية، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٥٦؛ كافي سلمان مراد ، المصدر السابق ، ص ٩١.

٢٤ - كاوس قفطان ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢. عبد الفتاح بوتاني ، منطقة بادينان ١٩٢٥-

١٩٧٠، دراسة في الواقع والتطورات السياسية ، اربيل ، ٢٠١٧، ص٢٤٤

٢٥ -دمون غريب، الحركة القومية الكردية ، بيروت، ١٩٧٢، ص٨٧.

٢٦ -فاضل البراك ، مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة ، ط٢، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٧٨.

٢٧ -عبد الفتاح بوتاني ، المصدر السابق ، ص٢٤٥.

٢٨ -فايز عبدالله العساف ، الاقليات واثارها في الاستقرار الدولية القومية (اكراد العراق نموذجاً) ،

رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا ، كلية الاداب -٢٠١٠، ص٩٨ .

٢٩ -واهي مزهر العامري ، مسعود محمد ودوره السياسي في العراق ١٩١٩-١٩٦٨ دراسة

تاريخية ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ٢١٩.

٣٠ -سعد ناجي جواد ، المصدر السابق ، ص ١١٧؛ راهي مزهر العامري ، المصدر السابق ،

٢٢١.

٣١ -علي سنجاري ، المصدر السابق، ص١٨١، حامد محمود عيس، المصدر السابق ، ص ٢١١؛

عبد السميع خلف عبد حبيب الجنابي ، المصدر السابق ، ص١٩١-١٩٢.

٣٢ -دمون غريب ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١؛ عبد السميع خلف عبد حبيب الجنابي ،

المصدر السابق ، ص ١٩٢.

٣٣ -<http://mubasher.aljazeera.net/news>

٣٤ -حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ٢٢٣.

٣٥ -حمدان حمدان ، عقود من الخيبات ..كيف وصلنا الى هنا ؟ ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٤٨٩ .

٣٦ -حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣.

*- ولدعبدالرحمن البزاز في بغداد عام ١٩١٣، اكمل مراحل دراسته في بغداد ودخل كلية الحقوق

عام ١٩٣٢ وتخرج ١٩٣٥ ان اعتقل في ١٩٤١ بعد مشاركتة في انتفاضة مايس وسجن في نقرة

السلمان ن عين سفيراً في القاهرة بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ تتم سفيراً في لندن ١٩٦٥ ، وفي

السادس من ايلول ١٩٦٦ تسنم منصب نائب رئيس الوزراء ، ثم رئاسة الوزراء بعد فشل

انقلاب عارف عبد الرزاق: للمزيد ينظر محمد كريم مهدي المشهداني ، عبد الرحمن البزاز

ودوره الفكري والسياسي في العراق حتى ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ، بغداد ، (دب) ،

٣٧- ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي ، المصدر السابق ، ص٢٣٥؛ ابراهيم رسول

حسين العامري ، المصدر السابق ، ص ٣٠.

٣٨ -عبد الرحمن قاسموا ، المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

٣٩ -ابراهيم خليل العلاف وجعفر عباس حميدي ، المصدر السابق ، ص٢٣٥.

٤٠ -عبد الرحمن قاسموا ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣.

- ٤١- ديفيد مكدول ، تاريخ الكرد الحديث ، ترجمة راج ال محمد، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٨٢ ؛
ابراهيم رسول حسين العامري ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
- ٤٢ - حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .
- ٤٣ شنت الصحف العراقية حملة اعلامية في الصحف العراقية ضد التدخل الايراني ودعمه
للمقاتلين الكرد في العراق . للمزيد ينظر : عبد السميع خلف عبد حبيب الجنابي ، المصدر
السابق ،
٤٤ - ص ١٩٤-١٩٥ .
- ٤٥ فريد أسسرد ، المسألة الكردية بعد قانون ادارة الدولة العراقية ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٣٠-
١٣٣ .

التعاون العربي المشترك في حرب تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ " مصر وسوريا نموذجاً " " دراسة تاريخية "

ا.م.د. عبد الرحمن جدوع سعيد التميمي
مديرية تربية صلاح الدين
وزارة التربية

المقدمة :

قد نشأ التعاون العربي المشترك منذ اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ وأستمر حتى عام ١٩٧٣، وتم ذلك التعاون على مواجهة (إسرائيل) عدو العرب المشترك والمخططات الاستعمارية، إذ تعاونوا على جمع قواهم العسكرية في وجه التحديات التي تواجه العرب جميعاً، وأتضح التعاون العربي أكثر في حرب السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣، وتم التنسيق السياسي والعسكري والاقتصادي بين مصر وسوريا وانخرطت معهم كل الدول العربية في مواجهة (إسرائيل) ، لإرجاع الأراضي العربية التي تم احتلالها عام ١٩٦٧ بالقوة، واستمر التعاون والتنسيق المصري _ السوري العربي أثناء الحرب على أتم حال، حتى استرجعوا أراضيهم العربية الأصل، وتلقين الاسرائيليين درساً لن ينسوه حتى جعلوهم يطلبون النجدة من الولايات المتحدة الأمريكية.

وتم تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث، جاء الأول بعنوان: التعاون المصري _ السوري المشترك ١٩٧٠ _ ١٩٧٢، وتناولنا فيه الزيارات بين البلدين للتعاون والتنسيق فيما بينهم قبل اعلان الحرب، وتناول المبحث الثاني بعنوان: مصر وسوريا وحرب تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣، وتطرقنا في هذا المبحث إلى اندلاع الحرب والتقدم المصري والسوري منذ بداية الحرب، حتى اعلان خسارة (إسرائيل) الكثير من معداتها العسكرية، أما المبحث الثالث فتمت صياغته بعنوان: مصر وسوريا وقرار وقف إطلاق النار، وتحدثنا فيه عن نهاية الحرب وذلك بموافقة مصر و (إسرائيل) على قرار رقم ٣٣٨ في عام ١٩٧٣ الذي صدر بتاريخ ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر من العام المذكور، ووافق عليه بعد ذلك الجانب السوري بعد اقتناعه بالقرار المذكور، ومن ثم الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعاون المصري _ السوري المشترك ١٩٧٠ _ ١٩٧٢

في عام ١٩٧٠ شهدت مصر وسوريا تغييراً جديداً في أنظمة الحكم، في الأولى استلم محمد انور السادات^(١) رئاسة مصر^(٢) بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر^(٣) إذ استلم السادات على ضوء استفتاء مصري عام أجري بتاريخ ١٦ تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه، وكانت نتيجة الاستفتاء ٩٠،٠٤% لصالح السادات رئيساً للجمهورية المصرية^(٤).

وقد وصل آنذاك وفد سوري رفيع المستوى إلى القاهرة برئاسة الفريق حافظ الأسد^(٥) وزير الدفاع لتقديم تهنئة إلى الرئيس السادات، وقد عقد الوفد السوري اجتماعاً مع الرئيس المصري ناقشاً فيه أهمية الدور الذي يمكن أن يضطلع به شعب وحكومة البلدين في تعزيز التعاون التام في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، بما يحقق دعم قدرات الأمة العربية في معركتها المصيرية في مواجهة المخططات الاستعمارية والصهيونية على المستوى العربي والدولي^(٦).

وعن التغيير الذي حصل في سوريا، فإن ثمة خلافات حصلت بين رجال السياسة آنذاك ومنهم صلاح جديد^(٧) الأمين المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي، وحافظ الأسد وزير الدفاع، ووصلت الخلافات إلى ذروتها عندما رفض الأخير المساندة الجوية للقوات السورية التي تدخلت في الأردن لصالح منظمة التحرير الفلسطينية^(٨) في حربها مع المملكة الأردنية في أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠، ما أدى إلى فشل مهمة القوات السورية، ودعا بعد ذلك صلاح جديد إلى مؤتمر طارئ للقيادة القومية لمحاسبة وزير الدفاع، وأصدر المؤتمر قراره الشهير بضرورة إعفاء حافظ الأسد من منصبه، وسارع الأخير على أثر ذلك بإعطاء الأوامر للجيش باحتلال كافة فروع الحزب، واعتقال صلاح جديد والرئيس نور الدين الأتاسي^(٩) في ١٣ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٠، وقد فر الكثير من أعضاء المؤتمر إلى خارج سوريا، وتم تعيين أحمد الحسن الخطيب^(١٠) رئيساً مؤقتاً للجمهورية السورية لحين إجراء الاستفتاء، وفي ٢٢ آذار/مارس عام ١٩٧١ أُجري بالفعل استفتاء شعبي فاز به حافظ الأسد رئيساً للجمهورية السورية وبنسبة ٩٩,٢% أي بأكثرية ساحقة^(١١).

ويبدو أن هناك توافقاً على شكل النظام السياسي في كل من مصر وسوريا، لا سيما في اختيار رئيس الجمهورية عن طريق الاستفتاء، وليس الانتخاب، فالمرشح للرئاسة شخص واحد، والإجابة بـ "نعم" أو "لا"، واتضح إلى أن تكون مصر في مقدمة الوفود العربية المهتمة بالنظام الجديد في سوريا، وفي ١٥ آذار/مارس عام ١٩٧١ وصل دمشق وفد مصري برئاسة حسين الشافعي^(١٢) نائب رئيس الجمهورية، لتهنئة الرئيس الأسد بتسلمه حكم سوريا، وقد علقت الصحف المصرية على أهمية التجربة الديمقراطية في المنطقة العربية، مما يعطي الشعب الدور الأكبر في بيان موقفه من العملية السياسية وإسهامه في القضاء على الاستبداد في المنطقة^(١٣).

وبعد استقرار أنظمة الحكم في مصر وسوريا، بدأت وبكل جدية في إقامة علاقات استراتيجية وحقيقية بينهما بحكم ما أفرزته حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، وسعيهما لخوض حرب التحرير التي يتعذر خوضها في غياب الشراكة بين البلدين، وذلك ما يؤكد عبد الحليم خدام^(١٤) بقوله: "لقد كنا مقتنعين بأن الرئيس السادات سيتابع طريقه في العمل مع سوريا، ومقتنعين بأن الرئيس المصري يريد الشراكة مع سوريا من أجل الحرب إذا كان لا بد منها"^(١٥).

وفي التاسع من تموز/يوليو عام ١٩٧٢ حدث أول صدام سوري - مصري، وذلك عندما كان الرئيس حافظ الأسد في زيارة إلى موسكو، كان متفقاً عليها مع الرئيس السادات، من أجل بحث مسألة التزود بالأسلحة لكل من مصر وسوريا، فاستمعت القيادة السوفيتية إلى الطلبات التي تقدم بها الرئيس الأسد، وناقشتها معه، ثم أعلن السوفييت في النهاية الموافقة على كل مطالب الرئيس السوري، وفي ذات الشأن تحدث عبد الحليم خدام، قائلاً: "كان سرورنا عظيماً واعتبرنا الزيارة قد حققت إنجازاً هاماً ستكون نتائجه مؤثرة في حرب التحرير، ولذلك قرر الرئيس العودة عن طريق مصر لإبلاغ الرئيس المصري شخصياً بالقرار السوفيتي"^(١٦).

إلا أن المفاجأة الكبرى كانت عندما أخبر الرئيس السادات الرئيس السوري الأسد قراره الذي أبلغه للاتحاد السوفيتي بإخراج الخبراء السوفييت من مصر، مبرراً ذلك بعدم الثقة بالاتحاد السوفيتي لتقصيره في تقديم الدعم السياسي والعسكري اللازم، فأصدر تعليماته، في الثامن من تموز/يوليو عام ١٩٧٢، بالاستغناء عن خدمات "١٥٠٠٠" من الخبراء السوفييت في مصر^(١٧).

وقد أثار قرار السادات غضب واستياء الرئيس السوري، بسبب علاقاته الطيبة مع الاتحاد السوفيتي، ولا سيما أنه قام بزيارة موسكو بالاتفاق مع الرئيس المصري، وحققت الزيارة نتائجها، فكيف يتخذ مثل هذا القرار من غير استشارته وهو شريكه في المواجهة؟، ويعلق عبد الحليم خدام على القرار المصري بالقول: "كيف يمكن خوض حرب والسوفييت في موقع سلبي منا؟، وكيف يمكن أن نتق بأن الرئيس المصري لن يتحول إلى طريق آخر؟، كان من المفترض أن ينتظر

الرئيس المصري شريكه ويطلعه على ما لديه من أسباب ومبررات لإبعاد الخبراء السوفييت، ولا سيما أنه هو نفسه القائل: "إن من أهداف أمريكا و(إسرائيل) طرد السوفييت وعزل العرب، وهي نفسها أهداف كل من يسعى إلى هذا العزل"^(١٨).

وفي التاسع من تموز/ يوليو عام ١٩٧٢ توجه الرئيس السوري على وجه السرعة إلى القاهرة ليحاول حل هذه المشكلة، فلم يكن قلقه أقل من قلق السوفييت لخطوة الرئيس المصري المتسارعة، فلقد كان الأسد مثل السادات من حيث الرغبة في جعل شحنات الأسلحة السوفيتية أكثر سرعة وكما غير أنه كان مندهشاً من تهور السادات بتعريض العلاقة مع موسكو للخطر بينما هي حيوية جداً لمجهودهما الحربي المشترك حين ذلك، وعند مقابلته للسادات حث الرئيس السادات الرئيس الأسد على طرد الخبراء السوفييت من سوريا أيضاً، وكان عددهم عندئذ يتراوح بين ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ خبير، ولكن الرئيس الأسد رفض وصرح علناً: "إنهم من أجل مصلحتنا نحن"، وقد أوضح الرئيس السوري في نهاية الجلسة خطورة القرار للأسباب الآتية^(١٩):

١_ أن القرار مرتبط بالمعركة ويجب أن يكون متفقاً عليه معنا، ومثل هذه القرارات ليس من حق أحد البلدين اتخاذها منفرداً، لأن الأمر لا يتعلق بمصر أو سوريا، وإنما بالعمل المشترك لتحرير الأرض.

٢_ أن توجيه إنذار للسوفييت بالخروج من مصر والرئيس السوري في موسكو يتعارض مع الحدود الدنيا من اللياقة بالتعامل بين رئيسين شريكين.

وفي أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧٢ تابع الرئيس السوري جهود وساطته فذهب مرة أخرى لزيارة موسكو، وأقنع الرئيس السادات بإصلاح العلاقة مع السوفييت، وفي خريف ذلك العام استأنف تدفق الأسلحة والخبراء إلى القاهرة، وأكد الرئيس السادات آنذاك أن اساليب الصدمة التي استعملها مع السوفييت قد أتت ثمارها وكان الرئيس الأسد مضطراً إلى الموافقة على ذلك، وبعد عام ١٩٧٢ ارتفعت المساعدات السوفيتية لمصر وسوريا إلى مستوى لم يسبق له مثيل وقد اطمأن في نهاية الأمر لموقف السادات من الروس واستمر مع شريكه متجاوزاً نقطة اللاعودة^(٢٠).

إن التقارب بين مصر وسوريا والتعاون المشترك بينهما في بداية سبعينيات القرن العشرين، ما هو إلا تخطيط لمواجهة التحديات التي تواجه الطرفين ودفاعاً منهم عن مصالح البلدين مع بعض، ولكن ذلك التقارب صار بعيداً والسبب الرئيس المصري بعد طرد الخبراء السوفييت من بلده وهذا ما لا يخدم مصر وسوريا حسب قول الجانب السوري، للعلاقة التي تربط الطرفين مع السوفييت باعتباره الصديق الحميم لهم.

وفي العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٢ أعادت مصر العلاقات مع سوريا، وبدأ التنسيق بينهما للمعركة مع (إسرائيل)، إذ سافر الفريق أول أحمد اسماعيل^(٢١) إلى سوريا برفقة اللواء محمد عبد الغني الجمسي^(٢٢) رئيس هيئة العمليات وقاموا بزيارة الجبهة السورية وعقدوا اجتماع برئاسة أركان الجيش السوري، ثم اجتمع وزير الحربية بالرئيس الأسد منفردين مقترحاً عليه طبقاً لما يراه الرئيس السادات أن يكون توقيت العمليات كالتالي: يوم ١٥ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٧٢ للانتهاء من التخطيط وعرض الخطط، على أن يكون يوم ٣١ كانون الأول/ ديسمبر من العام المذكور هو بداية استعداد القوات للعمليات الهجومية^(٢٣)، كان الرئيس السوري وقادته العسكريين يرون أن تلك الفترة ليست كافية من أجل الدخول في مثل هذه المعركة، وقد كان الفريق أول أحمد اسماعيل والفريق سعد الدين الشاذلي من غير المتحمسين أيضاً لهذه العجلة في بدء المعركة برغم قناعتهم بأن الحرب أصبح أمراً لا مفر منه، وهذا ما جعل السادات يقبل على مضمض فكرة التأجيل إلى أن تتم الاستعدادات المناسبة^(٢٤).

وكانت غاية الرئيس السادات من شن حرب محدودة يستطيع من خلالها إحداث تحريك للعملية السلمية، وهو ما أوضحه قائلاً: "إنه إذا استطاع أن يكسب عشرة ملايين فقط من الأراضي

على ضفة القناة الشرقية فإن ذلك سيقوي موقفه التفاوضي"، ولما كان الرئيس السوري لا يقبل الدخول في حرب مع مصر إلا على أساس تحرير كامل لكل الأراضي، التي احتلتها (إسرائيل) _ وجد الرئيس السادات أن خير سبيل لذلك هو التظاهر أمام الرئيس السوري بأن مصر تنوي تحرير سيناء كلها، لكي يشترك في الحرب، وعند زيارة الأخير لمصر في نيسان/ أبريل عام ١٩٧٢ طلب السادات من أحمد اسماعيل إعداد خطة عسكرية بإحياء العملية " غرانيث/ ٢"، وهي خطة تشمل تحرير سيناء كاملة، واعترض الفريق الشاذلي على الخطة آنذاك على أساس أنها ليست ممكنة عسكرياً إلا أن الفريق أحمد إسماعيل صرح له بأنها منورة سياسية لإبقاء السوريين على الخط^(٢٥).

ثمة تغيرات حصلت بين البلدين المصري والسوري العربيين الشقيقين جعلتهم يتخذون قرارات مشتركة للدفاع عن القضية الفلسطينية العربية، ولمواجهة (إسرائيل) التي كانت تشكل الخطر الأول للعرب، خصوصاً أنهم من الدول المواجهة لها، وهكذا بدأوا تعاونهم المشترك لإزالة آثار حرب عام ١٩٦٧، إذ غيروا بالقادة العسكريين وتمركزوا في مواقعهم ورسّموا خططهم وجهزوا أسلحتهم واتخذوا كل تحوطاتهم الأمنية في سبيل خوض حرب قادمة مع العدو الإسرائيلي.

المبحث الثاني: مصر وسوريا وحرب تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣

في ٣٠ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٣ عقد مجلس الدفاع العربي المشترك^(٢٦) اجتماعاً بالقاهرة وقرر تقسيم مسرح العمليات العسكرية المنتظرة إلى ثلاث جبهات، وهي: الجبهة الشمالية وتشمل القوات السورية وأي قوات عربية أخرى توضع تحت قيادتها، والجبهة الشرقية وتشمل القوات الأردنية وأي قوات توضع تحت قيادتها، الجبهة الغربية وتشمل القوات المصرية وأي قوات توضع تحت قيادتها^(٢٧)؛ على أن توضع كافة الجبهات تحت قيادة الجانب المصري، كما تقرر أن يتولى الجانب السوري قيادة الجبهتين الشمالية والشرقية، وتعد أراضي بقية الدول مسرحاً للأعمال القتالية كما حدد المجلس للبلدان العربية أن تكون جاهزة كحد أقصى في شهر آذار/ مارس عام ١٩٧٣ في أماكن تمركزها في بلدانها، وبعدها أنهى المؤتمر أعماله بعد ما اتخذ جملة من القرارات التي تناولت مسألتين أساسيتين هما^(٢٨):

١_ تحديد التزامات كل دولة عربية تجاه خطة التحرير المتوقعة، وتركت هذه المسألة لكل دولة عربية حتى تحدد النسبة التي تساهم بها بحسب امكانياتها.

٢_ تعزيز الجبهة السورية.

لم تتوفر العوامل والشروط اللازمة لهذه القيادة العامة وقيادات الجبهات الثلاث لكي تقوم بمهامها، وانتهى بها الأمر الى الفشل^(٢٩).

وفي إطار التعاون بين مصر وسوريا للمعركة وصل الرئيس السوري في زيارة سرية إلى مصر في نيسان/ أبريل عام ١٩٧٣ وذلك لبحث أنسب وقت لبدء العمليات العسكرية، أثناء ذلك قدم الفريق محمد عبد الغني الجمسي مدير عمليات القوات المسلحة مذكرة تحدد ثلاث خيارات لبدء العمليات، الأول في أيار/ مايو عام ١٩٧٣، والثاني في آب/ أغسطس من نفس العام، والثالث في تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه، وبعد البحث والدراسة لظروف كل من الدولتين استقر الرأي على تحديد وقت الخيار الثالث لبدء العمليات العسكرية^(٣٠).

وفي ٢١ آب/ أغسطس عام ١٩٧٣ عقدت اجتماعات سرية بين القيادتين المصرية والسورية، ومنها اجتماع الاسكندرية الذي اشار إليه سعد الدين الشاذلي، بقوله: " تم الاجتماع بين الجانبين المصري والسوري، وذلك للمراجعة الختامية للخطة الحربية من قبل المجتمعون الذين سيديرون المعارك وقد أعطوا اهتماماً وثيقاً للمسائل الأخيرة لخطة خداع واسعة متقنة لجعل (إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية تعتقد بأن حشد القوات والمعدات على الجبهتين السورية والمصرية

ليس أكثر من مناورات خريفية روتينية، وكانت تقارير الاجتماع ترفع الى الرئيسين المصري والسوري^(٣١).

في الثالث من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ تم الاتفاق في منزل الأسد الرئيس السوري بدمشق مع المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية المصري على ساعة الانطلاق، وكان السوريون يريدون أن يهجموا في الفجر بينما تكون الشمس خلفهم، والمصريون يفضلون وقت الغروب ليناح لهم عبور القناة ليلا بدون هجوم جوي إسرائيلي وتم الاتفاق على حل وسط وهو الهجوم على الجبهتين معا في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة من بعد ظهر السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣، ووافق الرئيسان المصري والسوري على توقيت الهجوم^(٣٢).

وفي السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ قامت القوات المصرية والسورية بالهجوم بغتة واجتياح حواجز دفاعية إسرائيلية على جبهتي سيناء والجولان، وفي واحدة من أبرز حالات العبور الجديرة بالذكر في تاريخ الحروب، تم نقل " ١٠٠,٠٠٠ " مائة ألف جندي مصري وأكثر من " ١٠٠٠ " ألف دبابة عبر قناة السويس، إذ داهموا وحطموا خط بارليف بسرعة وأنشأوا خمسة مواقع دفاعية كنفات انطلاق جديدة، واستطاع الجيش المصري من رفع أول علم مصري على الضفة الشرقية للقناة، وذلك فوق النقطة الحصينة عند الكيلو " ١٩ " جنوب مدينة بور سعيد، بعد ساعة و٢٣ دقيقة من بداية المعركة، هذا وتوغلت القوات المصرية داخل سيناء لمسافة ١٠- ١٥ كيلومتر^(٣٣).

أما الوضع على الجبهة السورية فكان مماثلا للجبهة المصرية، ففي الساعة الثانية وخمس دقائق من يوم السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ عبرت مجموعات من الطائرات السورية، تقدر بحوالي " ١٠٠ " طائرة خط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧، وفتحت المدافع السورية التي عددها حوالي ألف مدفع، نيرانها على مواقع القوات الإسرائيلية في الجولان، واندفعت الموجة الأولى من الدبابات، وناقلات الجنود المدرعة نحو خط الون الحصين، وقد حقق الهجوم السوري على قطاعي فرقتي المشاة الميكانيكيتين الخامسة والتاسعة في جنوبي الجولان نجاحات أولية سريعة، إذ تمكنت القوات السورية والعراقية من اختراق خط الدفاع الإسرائيلي الى نحو ٢٠ كيلومتراً داخل هضبة الجولان، حتى أصبحت القوات السورية والعراقية على مشارف بحيرة طبرية، يؤكد ذلك أمين هويدي^(٣٤) رئيس جهاز الاستخبارات المصرية قائلاً: "كلنا يعلم أن سوريا قدمت الكثير وضحت في الواقع كثيراً من أجل الدفاع عن الجبهة"^(٣٥).

وخلقت هذه التطورات ابتهاجاً عظيماً، إذ كان من الواضح أن الصعود الإسرائيلي يتعرض للتهديد لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ وبعد العيش في ظل عار الهزائم عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ وخصوصاً عام ١٩٦٧، دون ذكر الصدمات والمعارك المؤلمة فيما بين ذلك مما لا يحصى عدده، تجرأ العرب على الهجوم، وأثبتوا أنهم قادرون على الفوز، وبدا أن عصر العجز قد أنتهى، ومهما كانت نتائج الحرب، فلقد كان من بين أهدافها استعادة احترام النفس، وتحقيق هذا الهدف في اليوم الأول، وبالنسبة لمصر وسوريا والعالم العربي، فقد كان الانتصار لهم سعادة كبرى وبلسماً لجروح الماضي، كما أن الحيوية والاندفاع والأسلوب والشجاعة التي كملت بها الضربات في البداية قد منحت مصر وسوريا شيئاً يشبه الشيك على بياض كرأسمال سياسي أعطاهما فيما بعد كثيراً من حرية التصرف^(٣٦).

وفي السابع من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ كانت إسرائيل قد خسرت " ٣٠٠ " دبابة، فأسرت بإرسال النجديات جنوباً، إذ قامت ثلاث فرق مدرعة يقودها الجنرالات الإسرائيلية بشن هجوم معاكس على المصريين، في رؤوس الجسور، تدعمها عشرات من الطائرات، فاندحروا بخسائر ثقيلة زادت على ٢٦٠ دبابة أخرى، وشكلت هذه المعارك الجارية التي تأكلت وتبددت فيها القوات الإسرائيلية " أسوأ هزيمة في تاريخ الجيش الإسرائيلي"^(٣٧)، واعترفت (إسرائيل)

بهزيمة قواتها العسكرية في حرب تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣، وأشارت إلى أن: " حرب تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ صدمت الإسرائيليين عدة مرات، منها^(٣٨):"
أولاً_ لأنها فاجأت القيادة العسكرية أن العرب لن تقوم لهم قائمة بعد هزيمة الخامس من يونيو/حزيران عام ١٩٦٧.
ثانياً_ لأن العرب قاتلوا وحققوا الانجازات العسكرية.
ثالثاً_ لأنهم اكتشفوا أن وسائل الاعلام الإسرائيلية لم تكن صادقة معهم، ولم تقل لهم الحقيقة عن مجريات الحرب ونتائجها الحقيقية.

كان قرار حرب السادس من تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ هو مشترك بين مصر وسوريا منذ البداية، متفقين على مواجهة عدوهم المشترك أي العدو الإسرائيلي، وبالفعل تم اعلان الحرب بوقت موحد بين البلدين المصري والسوري، وتقدموا كثيراً صوب العدو، وتجرع الأخير خسارة فادحة، ولكن يبدو أن مصر توقفت بتقدمها وتركت الضغط يسير على الجبهة الشمالية السورية بعد كل ذلك التقدم، لأن نيتها مبيته على تحريك عملية السلام مع (إسرائيل)، وظلت سوريا في تحديدها للعدو، لدرجة إنها استنجدت بالقوات المصرية آنذاك، ومع بعض الاختلاف بين مصر وسوريا في الخطة التي تم رسمها قبل خوضهم الحرب إلا إننا نستطيع القول بأن مصر هي من بدأت الاختلاف، ولكن بالنهاية يمكننا القول إن الحرب بدأت بتعاون عربي مصري _ سوري تجاه العدو، ودخلت مرحلة اختلاف أثناء الحرب، وانتهت بقرار وقف إطلاق النار.

المبحث الثالث: مصر وسوريا وقرار وقف إطلاق النار

في السادس من تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ أبلغ السوفييت في القاهرة الرئيس المصري أن الرئيس السوري طلب من موسكو أن تسعى لوقف إطلاق النار على الجبهات في الثامن من تشرين الأول/أكتوبر^(٣٩)، وفي اليوم الأخير المذكور أبلغ السوفييت الرئيس المصري مرة أخرى بأن الرئيس السوري يمارس ضغطاً كبيراً عليهم لوقف إطلاق النار لأن الموقف على الجبهة السورية قد اصبح صعباً جداً، وأن الرئيس السوري يريد أن يقترح على مجلس الأمن أو الجمعية العامة قرار بوقف فوري لإطلاق النار وانسحاب (إسرائيل) من كل الأراضي التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧، فأعرب الرئيس المصري عن دهشته وأوضح أن الرئيس السوري لم يبلغه ذلك بالمرة، وأنه سيطلب الحصول على تأكيد مباشر بهذا من الرئيس السوري، وعندما أبلغ الرئيس المصري الرئيس السوري بالمعلومات التي تلقاها من السوفييت وطلب منه تأكيدها، نفاها الرئيس السوري قائلاً: " أنه حائر في فهم ما قاله السوفييت للسادات، فالمعركة تسير سيراً حسناً، والقوات السورية انزلت بالعدو خسائر فادحة وأنها قد حررت أكثر من نصف الجولان، مؤكداً أنه لا يمكنه إثارة أمر هام كوقف إطلاق النار قبل الاتفاق عليه بينهما كحلفاء"^(٤٠).

بعد ذلك أبلغ الرئيس المصري السوفييت نفي الرئيس السوري طلب وقف إطلاق النار، ورفض الرئيس المصري من جهته أيضاً وقف إطلاق النار، وقد أغضب السوفييت عدم تصديق الرئيس المصري لهم، وعندما نجحت القوات المصرية في عبور القناة، وتدمير خط بارليف، ووصلت إلى مواقع داخل الشرق بعمق ١٥ _ ٢٠ كيلو متر، وتمركزت مولية ظهرها إلى القناة_ اكتفى الرئيس المصري بهذا النجاح، فقد كان يهدف إلى إحداث هزة تحرك عملية السلام الجامدة، وليس الشروع في تحرير سيناء كلها، وقد أرسل رسالة سرية بهذا المعنى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قائلاً: " إننا لا نريد توسيع المواجهة، ولا نريد تعميق الاشتباكات"^(٤١).

وقد فهمت الولايات المتحدة الأمريكية و(إسرائيل) أن الرئيس المصري لا ينوي توسيع الحرب، لذلك تزايد الهجوم الإسرائيلي على سوريا وتطور إلى العمق، مما دعا الرئيس السوري للاتصال بالرئيس المصري وطالبه بالتدخل، وتخفيف الضغط عنه، لأن الطريق إلى دمشق أصبح في متناول العدو، وتدخلت مصر على غير رغبة منه في ١٤ و ١٥ تشرين الأول/أكتوبر عام

١٩٧٣ لينفذ الموقف في سوريا، لكنه افتقد الغطاء الجوي، لأن دفاعات مصر الجوية كانت لا تغطي سبناء كلها، وإنما كانت تقف عند الضفة الشرقية للقناة، وهو مكان تركز القوات المصرية، مما أدى إلى سوء العواقب، وفقدت مصر ٢٥٠ دبابة^(٤٢)، واتضح لمصر أن الولايات المتحدة الأمريكية دخلت الحرب من خلال الجسر الجوي الأمريكي الذي أقامته في مطار العريش، والذين انزلوا معهم كافة إمداداتهم العسكرية فضلاً عن الصاروخ الأمريكي الجديد الذي يسمى القنبلة التفريونية، الذي عطل أعمال الصواريخ المصرية تماماً، ما جعله يعلن في مجلس الشعب قراره بوقف إطلاق النار والذي استشاط منه الرئيس السوري غضباً، لأنه فوجئ بالقرار من خلال مجلس الشعب المصري، ولم يعلمه بذلك، وراسله ببرقية يعاتبه فيها على اتخاذ قراره منفرداً ودون استشارته، طالما أنهما متشابهان معاً في معركة حياة أو موت، وتظاهر الرئيس المصري له بأنه سيستشيرها إذا جد جديد، فما زال في شك من الاتحاد السوفيتي وسوريا^(٤٣).

وجرى التفاوض بين مصر والسوفييت في القاهرة بشأن قبول وقف إطلاق النار على أساس بقاء القوات في أماكنها، وافقت مصر آنذاك على ذلك بشرط ضمان الدولتين لوقف إطلاق النار والتنفيذ الفوري للقرار " ٢٤٢ " ^(٤٤)، وأرسل المصري برفقة للرئيس السوري يبلغه فيها بذلك، ورد الرئيس السوري على برفقة للرئيس المصري بضرورة الصمود واستمرار القتال، ولم يكن الرئيس المصري سعيداً، إذ عبر عن ذلك قائلاً: " الرئيس الأسد يريد أن يعطيني درساً في الصمود "، ولم يرد الرئيس السادات على رسالة الرئيس السوري^(٤٥).

ورغم الصورة الشجاعة التي ظهر بها الرئيس المصري والرئيس السوري وقواتهما العسكرية والشعبين المصري والسوري وكل العرب، فإن كلاً من مصر وسوريا كانتا مستعدتين لوقف إطلاق النار^(٤٦)، وجاء بعد ذلك قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ والصادر في ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ والذي دعا إلى وقف إطلاق النار، وتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الصادر في عام ١٩٦٧^(٤٧)، وأهم ما جاء بنص القرار رقم ٣٣٨ الآتي^(٤٨):

١ _ مطالبة جميع الأطراف المشاركة في القتال الدائر بوقف إطلاق النار وإنهاء جميع الأنشطة العسكرية فوراً، ليس متأخراً عن ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار، وذلك في المواقع التي يحتلونها الآن.

٢ _ دعوة الأطراف المعنية للبدء فوراً بعد وقف إطلاق النار في تطبيق القرار ٢٤٢ بجميع أجزائه.

٣ _ البدء فوراً مع وقف إطلاق النار بعقد المفاوضات بين الأطراف المعنية، وتحت إشراف مناسب، بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط^(٤٩).

وعلى الفور وافقت كل من مصر وإسرائيل على تنفيذ القرار في الموعد المحدد اعتباراً من الساعة ١٨،٥٢ يوم ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر من العام المذكور^(٥٠)، وأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية أوامرها إلى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة بالجهة تنفيذاً للقرار بكل دقة في الموعد المحدد إذا التزم العدو بوقف إطلاق النار، على أن تبقى القوات المسلحة في حالة تأهب تام، لحين صدور تعليمات أخرى^(٥١)، لكن خالفته إسرائيل وحاولت الاستيلاء على الإسماعيلية كسباً للوقت، لكنها منيت بخسائر فادحة، فاضطرت للعودة إلى وقف إطلاق النار^(٥٢).

أما سوريا فقد كان رئيسها شديد الغضب بسبب اتفاق الرئيس المصري مع الدولتين الكبيرتين دون إعلامه بذلك، لذلك لم يتسرع بالموافقة على قرار مجلس الأمن في البداية^(٥٣)، رغم اتصال الرئيس المصري به موضحاً له أن وقف إطلاق النار كان باتفاق القوتين العظميين، وظن أنهم أخبروه، لذلك لم يخبره، لكن الرئيس السوري واجهه، قائلاً: " نحن الذين نقاتل، لذلك كان من مسؤوليتك أن تخبرني، فأرسل الرئيس السادات رئيس وزرائه عزيز صدقي إلى سوريا لشرح

الأمر^(٥٤)، وبعد ذلك وفي وقت متأخر من يوم ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ اتخذت

القيادة السورية قراراً بالموافقة على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النار^(٥٥).

وعلى أية حال، فلا يختلف أثنان على أن الطرفين المصري والسوري خططا للحرب واعلاناها والوقت بالتحديد والتعاون فيما بينهم على خوضها، ولكن الطرف الأول كانت خطته غير الطرف الثاني أي الرئيس المصري خاض الحرب من أجل هدف فكر به قبل خوضه الحرب ألا وهو تحريك عملية السلام، وذلك ليحني منها مكاسب اقتصادية هو بأمس الحاجة إليها، ووافق على وقف إطلاق النار ليتم السير بعملية سلام مخطط لها ونفذها بعد ذلك، وترك سوريا تخضع للقرار كرهاً، أو أقنعها على الموافقة بطريقة أو بأخرى، وسار بالسلام الذي يريده وترك سوريا تشق طريقها بنفسها.

الخاتمة :

أن حرب السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ هي جولة مصرية سورية عربية رابعة مع (إسرائيل)، تم الاتفاق على خوضها بين الطرفين المصري والسوري وبمساعدة كل الدول العربية، كلاً حسب امكانياته العسكرية والمادية، وبعد مناقشات وجلسات غاية في السرية اجرتها مصر وسوريا للتنسيق والتعاون المشترك توصلوا في النهاية إلى اتفاق على السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣ هو موعداً نهائياً للهجوم على (إسرائيل) وبالفعل تم الهجوم الكاسح على العدو إذ دخلت مصر مسافة كبيرة بالأراضي التي تم الاستيلاء عليها من قبل العدو مسبقاً أي في عام ١٩٦٧ ألا وهي سيناء، وكذلك القوات السورية التي دخلت بعمق أرضها التي تم الاستيلاء عليها من قبل العدو في عام ١٩٦٧، لذلك استطاعت مصر وسوريا أن تكسب من اتفاقهم المشترك وتعاونهم الأخوي أن يعيدوا أراضيهم المحتلة، واجبار العدو الإسرائيلي على الاعتراف بخسارته في الحرب.

ولكن ثمة اختلاف حصل بين مصر وسوريا أثناء الحرب والسبب هو خروج مصر من الاتفاق مع سوريا وعدم الالتزام بما تم الاتفاق عليه مع شريكها السوري، وحصل ذلك عندما أجرى الرئيس المصري اتفاق مع الولايات المتحدة والسوفييت على وقف إطلاق النار من دون استشارة الجانب السوري وبالفعل وافق الرئيس المصري على إيقاف الحرب في ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣، هذا الذي جعل الجانب الأخير لا يرغب ويغضب في الوقت نفسه من الطرف المصري الشريك له في الحرب ما جعل الضغط على الجبهة الشمالية السورية يزداد كثيراً إلى أن أستطاع الرئيس المصري من اقناع الرئيس السوري بالموافقة على وقف إطلاق النار.

الهوامش :

١. محمد انور السادات: ولد عام ١٩١٨ في قرية ميت ابو الكوم بمحافظة الدقهلية، من الضباط الاحرار الذين اطاحوا بالنظام الملكي عام ١٩٥٢، تولى عدة مناصب منها " رئيس تحرير صحيفة الجمهورية، ممثل مصر لدى منظمة المؤتمر الاسلامي، رئيس مجلس الامة"، نائباً لرئيس الجمهورية عام ١٩٦٩، تسلم حكم مصر عام ١٩٧٠، قائداً لحرب عام ١٩٧٣، زار إسرائيل عام ١٩٧٧، وقع اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٨، ومعاهدة السلام عام ١٩٧٩، اغتيل في السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٨١، للمزيد أنظر، أنور السادات: البحث عن الذات _ قصة حياتي، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٥ _ ٢٧.

٢. عبد الرحمن جدوع التميمي: الموقف السوري من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ١٩٧٧-١٩٨١، دار
المعزز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص ٤٠.
٣. جمال عبد الناصر: ولد عام ١٩١٨ بأسيوط في صعيد مصر، ثاني رئيس لجمهورية مصر العربية وكان
أحد أهم قيادات الضباط الأحرار الذين شاركوا في الثورة المصرية لعام ١٩٥٢، ساند العديد من حركات
التحرر في بلدان العالم، خسرت مصر في عهده حرب ١٩٦٧، بين العرب و(إسرائيل) توفي في عام
١٩٧٠، للمزيد أنظر، بثينه عبد الرحمن التكريتي: جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز
دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٥٧ - ٥٨.
٤. بروش محمد نجيب: العلاقات العراقية المصرية بين عامي ١٩٦٨-١٩٧٩، رسالة ماجستير، معهد البحوث
والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٧٩.
٥. حافظ الأسد: : ولد عام ١٩٣٠ في قرية اللاذقية، عضو قيادي في التشكيلات العسكرية لحزب البعث منذ
عام ١٩٦٠، القائد الأعلى للقوة الجوية سنة ١٩٦٣، أصبح وزيراً للدفاع بعد انقلاب ٢٣ شباط/فبراير عام
١٩٦٦ قاد الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠ التي انتخب بعدها رئيساً للجمهورية في آذار/مارس عام ١٩٧١،
توفي عام ٢٠٠٠ في سوريا، أثر نوبة قلبية، للمزيد أنظر، باتريك سيل: الأسد والصراع على الشرق الأوسط،
مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢١٣؛ جمال سعد نوفان: مصر من اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٨ حتى
اغتيال السادات عام ١٩٨١ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات
العلية، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١١.
٦. جريدة الثورة السورية: بتاريخ ١٩ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٠.
٧. صلاح جديد: ولد في عام ١٩٢٦ في قرية دوير في محافظة اللاذقية، عسكري وسياسي سوري، وأحد
القيادات الكبيرة في حزب البعث العربي الاشتراكي السوري، حكم البلاد أربع سنوات وأطاح به انقلاب
عسكري عام ١٩٧٠ قاده رفيقه في الحزب حافظ الأسد وزير الدفاع، أثر خلاف حل بينهم، وتم سجنه وبقي
في السجن حتى وفاته عام ١٩٩٣، للمزيد أنظر، جريدة المصري اليوم: بتاريخ ٢٣ شباط/فبراير عام
٢٠١٨.
٨. منظمة التحرير الفلسطينية: ممثل الشعب الفلسطيني، اعلن عن قيامها في الثاني من حزيران/يونيو عام
١٩٦٤، وانتخب أحمد الشقيري رئيساً للمنظمة بشكل رسمي، وعقدت أول اجتماع لها في ٢٥ آب/أغسطس
عام ١٩٦٤، للمزيد أنظر، عبد الرحمن جدوع التميمي: مرجع سابق، ص ٢٥٠.
٩. نور الدين الأتاسي: ولد عام ١٩٢٩، وزيراً للداخلية عام ١٩٦٣، ونائباً لرئيس الوزراء عام ١٩٦٤، وعضواً
في مجلس رئاسة الدولة عام ١٩٦٥، رئيساً للدولة والأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٦
حتى عام ١٩٧٠، بعدها سجن بأمر من حافظ الأسد الذي أستلم الحكم بعد العام الأخير المذكور، وبقي في
السجن حتى عام ١٩٩٢، بعدها أطلق سراحه وسافر إلى فرنسا لتلقي العلاج على نفقة الحكومة الفرنسية،
توفي عام ١٩٩٢ في باريس، للمزيد أنظر، التاريخ السوري المعاصر: على الموقع الالكتروني ...
<https://syrmh.com/2019/02/22>؛ جريدة المصري اليوم: بتاريخ الثاني من كانون الأول/ديسمبر
عام ٢٠١٨.

١٠. أحمد الحسن الخطيب: ولد عام ١٩٣٣ في مدينة السويداء بسوريا، عضواً في مجلس الرئاسة بعد عام ١٩٦٣، ونقيب المعلمين بعد عام ١٩٦٦ وبقي نقيباً حتى عام ١٩٧٠، وعين رئيساً للدولة خلفاً للأتاسي حتى عام ١٩٧١، وقع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية ١٩٧٠-١٩٧١، توفي عام ١٩٨٢، للمزيد أنظر، جريدة الأهرام المصرية: بتاريخ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٧٠.

١١. رضوان زيادة: السلام الداني المفاوضات السورية _ الإسرائيلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٢٢؛ عبد الرحمن جدوع التميمي: مرجع سابق، ص ٤٠.

١٢. حسين الشافعي: ولد عام ١٩١٨ في مدينة طنطا بمصر، عسكري وسياسي مصري، وأحد أعضاء حركة الضباط الأحرار ونائب رئيس جمهورية مصر العربية للفترة من ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٧٤، توفي عام ٢٠٠٥ عن عمر يناهز ٨٧ عاماً، للمزيد أنظر، محمد الجوادي: حسين الشافعي فارس استبقي الصهوة واجتنب الصولة ...

<http://mubasher.aljazeera.net/blog-post>

١٣. جبار درويش الشمري: العلاقات المصرية _ السورية ١٩٦٦-١٩٨١، اطروحة دكتوراه، كلية التربية/ أبن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٣٠-١٤٠.

١٤. عبد الحليم خدام: ولد عام ١٩٣٢ في بانياس بسوريا، التحق في حزب البعث السوري في سن السابعة عشر من عمره، ويعد أحد أبرز مرافقي الرئيس حافظ الأسد ضمن ما سمي بالحرس القديم، محافظ القنيطرة عاصمة الجولان عام ١٩٦٦-١٩٦٧، وزير الخارجية ١٩٧٠-١٩٨٤، شغل منصب الرئيس بالوكالة مدة ٣٧ يوماً بعد وفاة حافظ الأسد بصفته نائبه الأول، غادر سوريا إلى باريس عام ٢٠٠٥، وفي عام ٢٠٠٨، أصدرت المحكمة العسكرية الجنائية الأولى في دمشق قرارها رقم ٤٠٦ القاضي بالحكم غيابياً على عبد الحليم خدام ١٣ حكماً بالسجن لمدد مختلفة، أشدها الأشغال الشاقة مدى الحياة، للمزيد أنظر، التاريخ السوري المعاصر ...

<https://symrh.com/2019/03/10>

١٥. جبار درويش الشمري: مرجع سابق، ص ١٣٨.

١٦. جريدة البعث السورية: بتاريخ العاشر من تموز/ يوليو عام ١٩٧٢.

١٧. رضوان زيادة: مرجع سابق، ص ١٢٩.

١٨. عبد الحليم خدام: النظام العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٤، ص ٧٨.

١٩. جبار درويش الشمري: مرجع سابق، ص ١٤٢.

٢٠. عبد المنعم حمزة: أسرار مواقف وقرارات الرئيس الأسد ما بين مؤيد ومعارض، مطبعة نيو سافوي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٠٨.

٢١. أحمد اسماعيل: ولد عام ١٩١٧ في القاهرة، أحد المشاركين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، استلم مدينة بورسعيد بعد انسحاب الإنجليز منها ورفع علم مصر في عام ١٩٥٦، ورئيس هيئة تدريب القوات المسلحة أثناء حرب عام ١٩٦٧، ورئيس أركان القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٩، ورئيس جهاز المخابرات العامة عام ١٩٧١، وتم تعيينه وزيراً للحربية عام ١٩٧٢، توفي عام ١٩٧٤ في لندن، للمزيد أنظر، جريدة صدى البلد المصرية: بتاريخ الرابع من تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠١٨.

٢٢. محمد عبد الغني الجمسي: ولد عام ١٩٢١ في محافظة المنوفية بمصر، قائد عسكري مصري، شغل الكثير من المناصب أهمها، قيادة اللواء الخامس مدرعات بمنطقة القناة عام ١٩٥٦، وقائداً للواء الثاني مدرعات

عام ١٩٥٨، ورئيساً لعمليات القوات البرية عام ١٩٦٦، ورئيساً لأركان حرب الجيش الثاني عام ١٩٦٧، ورئيساً لأركان حرب القوات المسلحة عام ١٩٧٣، ووزيراً للحربية والقائد العام للقوات المسلحة ١٩٧٤_١٩٧٨، تقاعد بناءً على طلبه عام ١٩٨٠، توفي عام ٢٠٠٣ بعد معاناة مع المرض، للمزيد أنظر، محمد عبد الغني الجمسي: مذكرات حرب أكتوبر ١٩٧٣، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسيسكو، ١٩٧٧.

٢٣. جمال سلامة علي: مرجع سابق، ص ٣١٦.
٢٤. محمد حسنين هيكل: أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة، مركز الاهرام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٦٧_٢٧٠.

٢٥. باتريك سيل: مرجع سابق، ص ٣١٦_٣١٩.
٢٦. الدفاع العربي المشترك: هي مؤسسة معنية انشئت بموجب شروط معاهدة الدفاع العربي المشترك والتعاون الاقتصادي عام ١٩٥٠ لتنسيق دفاع مشترك لجامعة الدول العربية، للمزيد أنظر، مقاتل من الصحراء ... <http://www.moqatil.com/openshare/Behoth/Monzmat3>

٢٧. هيثم الكيلاني: مرجع سابق، ص ٣٥٦.
٢٨. محمود رياض: مرجع سابق، ص ١٤٢_١٤٤.
٢٩. جمال سلامة علي: مرجع سابق، ص ٣١٧_٣١٨.
٣٠. جمال حماد: ٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٨_٢٩.
٣١. رضوان زيادة: مرجع سابق، ص ١٣٠؛ باتريك سيل: مرجع سابق، ص ٣١٠_٣١١.
٣٢. أنور السادات: مرجع سابق، ص ٢٥٤؛ جريدة البعث السورية: بتاريخ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣.

٣٣. محمد حسنين هيكل: الطريق إلى رمضان، دن، لندن، ١٩٧٥، ص ٥٠_٥٦؛ جريدة الأهرام المصرية: بتاريخ السادس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣.
٣٤. أمين هويدي: ولد ام ١٩٢١ في محافظة المنوفية بمصر، عسكري مصري، تقلد عدة مناصب أهمها، سفير مصر لدى العراق ١٩٦٣_١٩٦٥، وسفير مصر لدى المغرب ١٩٦٢_١٩٦٣، وزير الإرشاد القومي ١٩٦٦، وزير الحربية المصري ١٩٦٧_١٩٦٨، ورئيس المخابرات المصرية ١٩٦٧_١٩٧٠، توفي عام ٢٠٠٩ في القاهرة، للمزيد أنظر، أمين هويدي: كنت سفيراً في العراق ١٩٣٣_١٩٦٥، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٣.

٣٥. الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٧٣، مج ٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٢٨_٣٢٩؛ مصطفى طلاس: مرآة حياتي ١٩٦٨_١٩٧٨، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٦٠٩.

٣٦. باتريك سيل: مرجع سابق، ص ٣٢٨.
٣٧. تريفور ن. دوبيوي: النص المروغ _ الحروب العربية الإسرائيلية من ١٩٤٧ إلى ١٩٧٤، دن، لندن، ١٩٧٨، ص ٤٣٣.

٣٨. جبار درويش الشمري: مرجع سابق، ص ١٦٣_١٦٤.

٣٩. هند فرحان ابو النجا: العلاقات المصرية العربية ١٩٦٧_١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، د.ت، ص ٢٢٠.
٤٠. جمال سلامة علي: مرجع سابق، ص ٣٥١.
٤١. محمد حسنين هيكل: أكتوبر ١٩٧٣، مرجع سابق، ص ١٥٨_١٥٩.
٤٢. محمود رياض: مرجع سابق، ص ٤٦٠_٤٦٢.
٤٣. هند فرحان ابو النجا: مرجع سابق، ص ٢٢١.
٤٤. القرار ٢٤٢: قرار أصدره مجلس الأمن الدولي التابع لمنظمة الأمم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٧٦ وجاء تعبيراً عن الخلل الخطير في ميزان القوى في الصراع العربي الإسرائيلي، وهو الذي لا شك كان نتيجة الهزيمة التي مني بها العرب في حرب الخامس من حزيران/يونيو عام ١٩٦٧، للمزيد أنظر، احمد عصمت عبد المجيد: قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٧_١٩٧٤، مرجعة جورج طعمة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٣.
٤٥. أنور السادات: مرجع سابق، ص ٢٧٣_٣٠٢؛ هند فرحان ابو النجا: مرجع سابق، ص ٢٢٢.
٤٦. محمد حافظ اسماعيل: أمن مصر القومي في عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٤٨.
٤٧. فيليب رونودو: الشرق الأوسط في سعيه إلى السلام، ترجمة كمال الخولي، المنشورات العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٧.
٤٨. أحمد عصمت عبد المجيد: مرجع سابق، ص ٢١٠.
٤٩. وليام.ب. كوانت: عملية السلام _ الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٧٧_٢٧٨.
٥٠. رضوان زيادة: مرجع سابق، ص ١٣٥.
٥١. محمد حافظ إسماعيل: مرجع سابق، ص ٣٤٦_٣٤٧؛ جريدة الأهرام المصرية: بتاريخ ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣.
٥٢. هند فرحان ابو النجا: مرجع سابق، ص ٢٢٢.
٥٣. رضوان زيادة: مرجع سابق، ص ١٣٥.
٥٤. نفسه؛ باتريك سيل: مرجع سابق، ص ٣٥٨_٣٦٠.
٥٥. عصمت سيف الدولة: هذه المعاهدة رسالة إلى مجلس الشعب المصري حول اتفاقية كامب ديفيد، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٥٠؛ ٢٥ عاماً على نصر أكتوبر العظيم، سجل توثيقي أكتوبر ١٩٧٣_أكتوبر ١٩٩٨، مكتبة القاهرة الكبرى، ١٩٩٩، ص ٤٢.

المصادر والمراجع

أولاً_ الوثائق العربية المنشورة

١_ الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٧٣، مج ٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣ .

ثانياً_ الكتب العربية والمعربة

- ١_ أنور السادات: البحث عن الذات _ قصة حياتي، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨ .
- ٢_ بئينه عبد الرحمن التكريتي: جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠ .
- ٣_ باتريك سيل: الأسد والصراع على الشرق الأوسط، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٢ .
- ٤_ عبد الحليم خدام: النظام العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٤ .
- ٥_ عبد الرحمن جدوع التميمي: الموقف السوري من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ١٩٧٧_ ١٩٨١، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦ .
- ٦_ عبد المنعم حمزة: أسرار مواقف وقرارات الرئيس الأسد ما بين مؤيد ومعارض، مطبعة نيوسافوي، القاهرة، ٢٠٠٠ .
- ٧_ احمد عصمت عبد المجيد: قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٧_ ١٩٧٤، مرجعة جورج طعمة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٣ .
- ٨_ هيثم الكيلاني: الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨_ ١٩٨٨، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١ .
- ٩_ محمود رياض: مذكرات محمود رياض ١٩٤٨_ ١٩٧٨ _ البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، ج ١، بيروت، ١٩٧٨ .
- ١٠_ محمد عبد الغني الجمسي: مذكرات حرب أكتوبر ١٩٧٣، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسيسكو، ١٩٧٧ .
- ١١_ محمد حافظ اسماعيل: أمن مصر القومي في عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧ .
- ١٢_ فيليب روندو: الشرق الأوسط في سعيه إلى السلام، ترجمة كمال الخولي، المنشورات العربية، بيروت، ١٩٨٣ .
- ١٣_ مصطفى طلاس: مرآة حياتي ١٩٦٨_ ١٩٧٨، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦ .
- ١٤_ تريفور ن. دوبيوي: النص المراوغ _ الحروب العربية الإسرائيلية من ١٩٤٧ إلى ١٩٧٤، دن، لندن، ١٩٧٨ .
- ١٥_ رضوان زيادة: السلام الداني المفاوضات السورية _ الإسرائيلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥ .
- ١٦_ جمال حماد: ٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠ .
- ١٧_ محمد حسنين هيكل: أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة، مركز الأهرام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣ .
- ١٧_ _____ : الطريق إلى رمضان، دن، لندن، ١٩٧٥ .
- ١٨_ أمين هويدي: كنت سفيراً في العراق ١٩٣٣_ ١٩٦٥، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٣ .

- ١٩_ وليام.ب. كوانت: عملية السلام _ الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ
١٩٦٧، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤ .
- ٢٠_ عصمت سيف الدولة: هذه المعاهدة رسالة إلى مجلس الشعب المصري حول اتفاقية كامب
ديفيد، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠ .
- ٢١_ ٢٥ عاماً على نصر أكتوبر العظيم، سجل توثيقي أكتوبر ١٩٧٣ _ أكتوبر ١٩٩٨، مكتبة
القاهرة الكبرى، ١٩٩٩ .
- ثالثاً_ الرسائل العلمية**
- ١_ بروش محمد نجيب: العلاقات العراقية المصرية بين عامي ١٩٦٨ _ ١٩٧٩، رسالة
ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠١٤ .
- ٢_ هند فرحان ابو النجا: العلاقات المصرية العربية ١٩٦٧ _ ١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية
البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، د.ت .
- ٣_ جمال سعد نوفان: مصر من اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٨ حتى اغتيال السادات عام ١٩٨١
دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد،
٢٠٠٨ .
- ٤_ جبار درويش الشمري: العلاقات المصرية _ السورية ١٩٦٦ _ ١٩٨١، اطروحة دكتوراه،
كلية التربية/ أبن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٩ .

رابعاً_ الصحف والدوريات

- ١_ جريدة الأهرام المصرية.
- ٢_ جريدة البعث السورية.
- ٣_ جريدة المصري اليوم المصرية.
- ٤_ جريدة صدى البلد المصرية.

خامساً_ مواقع الأنترنت

- ١_ <http://www.moqatil.com/openshare/Behoth/Monzmat3>
- ٢_ <https://syrmh.com/2019/02/22>
- ٣_ <http://mubasher.aljazeera.net/blog-pos>
- ٤_ <https://syrmh.com/2019/03/10>

موقف تركيا من حرب الخليج الأولى والثانية

م.د. لقاء جمعه عبد الحسن الطائي
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة :

اتخذت العلاقات التركية مع دول الشرق الاوسط مساراً ديناميكياً قلما نجد له مثيلاً في التاريخ وهذا يرجع الى التأثير الثقافي والسياسي عن طريق الخلفية التاريخية التي اثرت وما زالت في علاقات الطرفين فضلاً عن مصالحهم انه كان للقرب الجغرافي الاثر البالغ في التأثير في طبيعة توجهاتهم.

ان سياسة تركيا حيال هذه المنطقة تتمحور حول ضرورة احتفاظها بموقع يؤهلها تأدية دور فاعل في هذه المنطقة. وبما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها. كالولايات المتحدة التي تنظر الى تركيا في اطار استراتيجياتها العالمية، وكوظيفة تؤديها ضمن هذه الاستراتيجية، وخصوصاً في ما يتعلق بالشرق الاوسط ولان تركيا وصفت بانها دولة مهمة من الناحية الجيوستراتيجية. فتتأسق الاهداف والاستراتيجيات بينها وبين منطقة الشرق الاوسط سهل هذا الامر. حافظت تركيا على حيادها اثناء حرب الخليج الاولى بين طرفي الصراع العراق وايران منذ نشوبه في ٤ ايلول ١٩٨١م وحتى انتهائه في ٨ آب ١٩٨٨، واحتفظت بعلاقات اقتصادية وسياسية متوازنة معهما خلال الحرب، متبعة سياسياً عدم الانحياز، كما رحبت بقرار ايران المفاجئ في تموز ١٩٨٨م بقبول قرار مجلس الامن الدولي رقم (١٩٨) القاضي بوقف اطلاق النار.

عقب بدء حرب الخليج الثانية، شدد رئيس الوزراء التركي "يلديريم أوق بولوت" ووزير الخارجية "علي بوزار" ورئيس الأركان "نجيب تورومطاي" بضرورة الحذر الشديد في الموقف التركي تجاه الأوضاع الجارية، ورأوا أنه من الأفضل انتهاز الموقف الحيادي تجاه الأحداث الجارية، لكن الرئيس التركي "تورجوت أوزال" رأى من الحرب الخليجية فرصة لا بد من انتهازها لإعادة العلاقات التركية - الأمريكية إلى عهد السابغ، بعد انخفاض الأهمية الاستراتيجية لتركيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، لذا قرر أوزال الوقوف إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في الموقف الذي ستتخذه ازاء الأحداث الجارية في المنطقة. هذا هو اهم ما تناولته في البحث اذ تطرقت في المقدمة عن حربي الخليج الاولى والثانية ثم تطرقت الى طبيعة موقف تركيا في حرب الخليج الاولى ثم موقفها من حرب الخليج الثانية ونتائج هذا التدخل واثاره ثم جاءت استنتاجاتي لما توصلت اليه من خلال كتابتي للبحث

اولاً- مقدمة عن حربي الخليج الاولى والثانية

بعد انتصار العراق على إيران (١٩٨٠ - ١٩٨٨) والتفوق العسكري والإقتصادي والسياسي والعلمي الذي شهده العراق، كما تابعت الولايات المتحدة الأمريكية حرب الخليج الاولى فكانت تارة مع العراق وتارة أخرى مع إيران ولكنها أصبحت متخوفة من العراق وذلك بسبب التفوق العسكري للعراق أصبح متعادلاً مع التفوق العسكري لإسرائيل وهذا يشكل خطر لمصلحة الولايات المتحدة في الخليج العربي، فأرادت الولايات المتحدة أن توقع العراق في الفخ فبعدها قرر العراقيون التفرغ للتخطيط الإقتصادي لبلده وإعادة تطوير البلاد وبناء البنية التحتية التي تضررت من حرب الخليج الأولى، إلا أن المخابرات الأمريكية أرادت أن توقع العراق فصدرت تقريراً ينص على أن العراق ينوي مهاجمة إسرائيل والتوسع في دول الخليج العربي ويقتررب ايضاً من المدافع والصواريخ والأسلحة النووية والكيميائية والبايولوجية،

فكانت رد فعل الإدارة الأمريكية تجاه هذا التقرير ان تشاورت مع بريطانيا وقرروا معاً البدء
بمرحلة التخطيط الهادىء لاستدراج العراق وإدخاله في مشاكل كونه يشكل تهديداً على الأمن
القومي برأيهم، خاصة بعد تفكير العراق في الرجوع لحياته الطبيعية بعد حرب الخليج الأولى
إلا أن هذه الأعمال الإستفزازية المخططة لها أدت إلى توتر القيادة السياسية العراقية وايضاً
انخفاض أسعار النفط بسبب زيادة الإنتاج النفطي لدولتي الكويت والإمارات العربية أدى ذلك
إلى خسائر كبيرة في اقتصاد العراق وتجاوزت الكويت على آبار النفط القريبة من الحدود
العراقية وطالبت أيضاً العراق بتسديد الديون وكان العراق في ذلك الوقت يمر بضائقة مالية
وكل هذه الأمور خططت لها الإدارة الأمريكية لتوقع العراق في فخ الكويت أدى كل ذلك إلى
قيام حرب الخليج الثانية^(١).

حرب الخليج الثانية : قام العراق باجتياح الكويت وذلك بعد فشل الكثير من
المفاوضات بينهم واحتشدت القوات العراقية على حدود السعودية وأدى ذلك إلى إختراق كثير
من قطاعات الأراضي السعودية في المنطقة الشمالية لذلك قامت الحرب وتشكل التحالف
الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وذلك للتصدي لإجتياح العراق للكويت بسبب عدم
استجابة العراق للقرارات الدولية حسب رأيهم وقامت حرب الخليج الثانية .

تعرف حرب الخليج الثانية باسم عاصفة الصحراء الذي أطلقته عليها الولايات المتحدة
الأمريكية وقامت في ٢ ايلول ١٩٩٠ إلى ٢٨ شباط ١٩٩١ وقام تحالف دولي بقيادة الولايات
المتحدة الأمريكية يضم ٢٨ دولة^(٢) فاستعدت الولايات المتحدة وبريطانيا للحرب وذلك بعدما
أخذت الأذن من الأمم المتحدة وقامت الحرب بسبب اجتياح العراق للكويت في ٢ آب عام
١٩٩٠م وصدرت الأمم المتحدة القرار بعمل التحالف لإخراج العراق من الكويت وكان هذه
الجانب له دور هام في هذه الحرب فاصدرت الأمم المتحدة قرراً باستخدام أي وسيلة لإخراج
العراق من الكويت إذا لم يستجيب العراق بشكل سلمي وأعطوا لهم موعد يوم الثلاثاء ١٥
يناير ١٩٩١^(٣).

انتهت فترة الإنذار ولم يستجيب العراق فقام التحالف بالهجوم الجوي فتمكن التحالف من
تعطيل الردارات والمقاومات الأرضية العراقية وتمكنت من تدمير المنشآت العسكرية
والحيوية والصناعية والمرافق في العراق من خلال الحرب الجوية ، وبعد ذلك قامت دول
التحالف بعمل حرباً برية وذلك بعد خمسة أسابيع من الحرب الجوية وكانت مقاومة العراق في
ذلك الوقت ضعيفة جداً^(٤) ، بسبب قلة الاسلحة والمعدات لمقاطعة تمويل الدول للعراق وقدم
الاسلحة الموجودة وتهالكها فضلاً عن خروج العراق من حرباً طويلة استمرت ثمانية اعوام
اهلكت البنى التحتية والمصانع والمعامل الحربية والانتاجية مما اثر سلباً على وضع العراق
حربياً .

بدأت قوات التحالف بالقصف الجوي في حوالي الساعة الثالثة من فجر السبت ١٧ كانون
الثاني/ يناير ١٩٩١م وكانت مستهدفة أماكن صناعية وعسكرية في العراق استمرت خمسة
أسابيع متواصلة فكانت أهدافها تدمير ترسانات السلاح البيولوجي والكيميائي والنووي للنظام
العراقي وايضاً تدمير قوة العراق الهجومية وتحطيم السلاح الجوي للعراق والتقليل من
القدرات القتالية للجيش العراقي في الكويت فتمكنت قوى التحالف من تحقيق معظم أهدافها ،
فتم إطلاق النار من خلال سفن راسية في مياه الخليج ومياه بحر العرب والبحر الأحمر فكانت
الأهداف كثيرة ولم تستطع القوات العراقية مواجهة هذه القوة التدميرية لقوات التحالف فلم
تكن قادرة غير على إطلاق صواريخ سكود على السعودية وايضاً إلقاء صواريخ على إسرائيل
وبلدان مجلس التعاون الخليجي إلا أن هذه الاهداف لم تحقق أغراض العراق^(٥).

بعد ذلك بدأت المعركة البرية وكانت في مدينة الخفجي السعودية بالقرب من الكويت بعد احتلال العراق لها في ٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٩١م ولكن السعوديين والقطريين استرجعوها بعد يومين بمساعدة قوات عربية وأجنبية لهم وكانت هذه المعركة في المرحله الأولى ، أما المرحلة الثانية فبدأت في ٢٤ شباط حيث قامت قوات التحالف بهجوم بري على عدة جبهات في وقت واحد متجهة نحو الكويت وجنوب العراق ولم تستطع القوات العراقية في الكويت المقاومة ولم يوجد من يساعدها على المقاومة فاستسلمت وبعد يومين أعلن الرئيس العراقي إنسحاب قواته ، وبعد ذلك أعلنت قوى التحالف وقف الضرب وجميع العمليات العسكرية على العراق وذلك في ٢٨ شباط ١٩٩١م^(٦).

وافق العراق في ٦ نيسان ١٩٩١ على وقف إطلاق النار وتعويض الكويت عن الأضرار التي سببته في الحرب ، وقد أعلن مجلس الأمن رسمياً انتهاء الحرب في ١١ نيسان ١٩٩١ م ، وتعهد العراق على تعويض الكويت من الخسائر العسكرية التي سببها لها واستمرت الأمم المتحدة في فرض عقوبات الحظر على العراق وتنفيذه كل الشروط التي تعهد بها، ومنها اعتراف الحكومة العراقية بسيادة الكويت وأعلنت الأمم المتحدة ذلك في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٤م . وأعاد العراق ١١ بئراً من النفط إلى الكويت وذلك بعدما أصدر مجلس الأمن قراراً برسم الحدود بين العراق والكويت في منتصف ايار ١٩٩٣م^(٧).

ثانياً- موقف تركيا من حرب الخليج الاولى

اتخذت العلاقات التركية مع دول الشرق الاوسط مساراً ديناميكياً قلما نجد له مثيلاً في التاريخ وهذا يرجع الى التأثير الثقافي والسياسي عن طريق الخلفية التاريخية التي اثرت وما زالت في علاقات الطرفين فضلاً عن مصالحهم يضاف الي ذلك انه كان للقرب الجغرافي الاثر البالغ في التأثير في طبيعة توجهاتهم.

ان سياسة تركيا حيال هذه المنطقة تتمحور حول ضرورة احتفاظها بموقع يؤهلها تأدية دور فاعل في هذه المنطقة. وبما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها. كالولايات المتحدة التي تنظر الى تركيا في اطار استراتيجياتها العالمية، وكوظيفة تؤديها ضمن هذه الاستراتيجية، وخصوصاً في ما يتعلق بالشرق الاوسط ولان تركيا وصفت بانها دولة مهمة من الناحية الجيوستراتيجية. فتتأسق الاهداف والاستراتيجيات بينها وبين منطقة الشرق الاوسط سهل هذا الامر، وعزز وجهات النظر هذه التي ترى ان بيئة تركيا هي ذات اهمية جيوستراتيجية، وهي الاهمية التي توليها الولايات المتحدة لهذه المنطقة^(٨).

كانت تركيا تسعى منذ الحرب العالمية الاولى الى عدم الانغماس التام في شؤون منطقة الشرق الاوسط. الا انها وجدت نفسها في خضم تفاعلات هذه المنطقة، وحولت سياسة تركيا (عدم الانحياز)^(٩) التي بدأت بالحرب العراقية - الايرانية عام ١٩٨٠ الى سياسة فاعلة وطرف تدخل في اطار التدخل في شمال العراق.

تدرك تركيا اهمية مكانتها الدولية والاقليمية المتمثلة بأنها ليست دولة طرف بل دولة مركز لذا فأنها قادرة على التأثير بالدول والاقاليم المحيطة بها، وتتحرك تركيا في مقدراتها على التعامل مع الدول العربية والاسلامية من منظور انماط واساليب متنوعة دون المساس بمصالحها الامنية والاقتصادية. وترتبط تركيا بعلاقات وثيقة مع العراق تعود الى عمق القدم بين البلدين والمصالح الاستراتيجية المهمة وتجمع كلا الدولتين حدود برية مشتركة تصل الى حوالي ٤٨٣ كلم، وهذا ما يؤدي الى تعزيز عمليتي التأثير والتأثير بين شعبي البلدين. فضلاً عن الفسيفساء العرقية التي تجمع بينهما من عرب و اكراد وتركمان. فالملف الكردي يعد من اهم ملفات المهمة المشتركة بين تركيا والعراق في المنطقة ، اذ يتوزع الاكراد فيهما اضافة الى

ايران وسوريا، فضلا عن ان تركيا تعتبر الراحية الاولى لتركمان العراق سياسيا وثقافيا بسبب
حقائق العرق والثقافة^(١٠).

شهدت مرحلة الثمانينات من القرن الماضي ازدهارا في العلاقات بين العراق وتركيا
وكانت لها انعكاسات على مجمل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولم تكن هناك اية
عوائق تحول دون تطور تلك العلاقات ، فان تركيا لم تكن تحتل أي ارض عراقية ، كما لم يكن
للعراق أي خلاف ايدولوجي مع النظام التركي حيث كانا متوافقان مع علمانية الدولة التركية
. وانعكس تأثير هذا التقارب الكبير في سياسة الدولتين على ثلاثة ميادين رئيسة هي الازدهار
الاقتصادي والتجاري والاستثمارات الخارجية وعلى مجمل الصادرات النفطية، فقد ازدادت
الصادرات التركية الى العراق بشكل ملفت للنظر بين عامي ١٩٨١-١٩٨٢ ، إذ بلغت حوالي
٤ ، ٢٣ % من مجمل صادراتها وعملت على تطوير الروابط التجارية فكان ٩١ % من
الصادرات هي عبارة عن منتجات صناعية ، وازداد حجم التبادل التجاري بينهما عام
١٩٨١م حتى وصل نحو مليار دولار^(١١) . وفي تموز من عام ١٩٨١م تم توقيع بروتوكول
جديد لتعزيز مجمل العلاقات ولا سيما الاقتصادية والتجارية والثقافية وقد حولت هذه
الاتفاقيات العراق الى دولة لها الاولوية في السياسة الخارجية التركية ، فاحتل العراق المرتبة
الثانية في قائمة الدول المستوردة من تركيا والثالثة في قائمة الدول المصدرة اليها . وعلى
الرغم من التطور الملحوظ في العلاقات بين العراق وتركيا ولا سيما في الجانب الاقتصادي الا
ان الاخيره شعرت بقلق شديد من اندلاع الحرب العراقية - الايرانية ١٩٨١ - ١٩٨٨م ، إذ
اعتقدت ان هذه الحرب سوف تؤثر تأثيرا كبيرا ولا سيما اذا ما وقعت الى جانب احدي
الدولتين كونهما يقعان على حدودها مباشرة . فضلا عن ذلك كانت تركيا تعاني من
اضطرابات داخلية حيث ان هذه الحرب جاءت بعد عشرة ايام من الانقلاب العسكري الذي
حصل بتاريخ ١٢ ايلول عام ١٩٨١م الذي تزعمه الجنرال كنعان ايفيرنCanaan Ivern .
لذلك وقعت تركيا موقفا محايدا تجاه طرفي النزاع ولم تقم بدعم أي طرف على حساب الطرف
الآخر بل على العكس من ذلك قامت بتطوير علاقاتها مع الجانبين كنتيجة لسياسة الحياد التي
اتبعتها حيال هذه الحرب . وقد اعلنت تركيا رسميا ضرورة وقف القتال بين الطرفين وحل
المشاكل بالطرق السلمية ، كما اعلنت عدم تأييدها ألى أي تدخل اجنبي ، وانها لم تسمح
بأستخدام القواعد العسكرية العائدة لحلف الشمال الاطلسي والولايات المتحدة الامريكية في
حالة قيام هذه الدول بعمل عسكري ضد النظام الايراني^(١٢).

حافظت تركيا على حيادها بين طرفي الصراع منذ نشوبه في ٤ ايلول ١٩٨١م وحتى
انتهائه في ٨ آب ١٩٨٨ ، واحتفظت بعلاقات اقتصادية وسياسية متوازنة معهما خلال
الحرب، كما رحبت بقرار ايران المفاجئ في تموز ١٩٨٨م بقبول قرار مجلس الامن الدولي
رقم (١٩٨) القاضي بوقف اطلاق النار.

ثالثا : موقف تركيا من حرب الخليج الثانية

كان العراق قد خرج حديثاً من حربه الطويلة والمُكلفة مع إيران، ومع تخفيض أسعار
النفط زادت أزمات العراق المتركمة تدهوراً ، طلب العراق من دول الخليج العربي ومنظمة
أوبك رفع أسعار النفط، ولكن لم تكن هناك أذان صاغية لطلب العراق، عاد وأوعز العراق
دول الخليج العربي بضرورة رفع أسعار النفط لتفادي الخسائر الطائلة التي كُبد بها العراق
خلال حربه على إيران، ولكن تعنتت دول الخليج العربي ولم تلبى المطلب العراقي. ان تراكم
الأزمات الاقتصادية في العراق، وحاجة العراق إلى منافذ بحرية أوسع لإيصال نفطه إلى
السوق العالمية بشكل أوسع، دفعا العراق للإقدام على احتلال الكويت بتاريخ ٢ اب ١٩٩٠ ،
وبذلك يكون فتيل الحرب الخليجية الأولى قد أوقد^(١٣).

وعندما لاحت في الأفق احتمالات حرب عراقية أخرى عزمت أنقرة على أن تتأهب هذه المرة جيدا حتى لا تكون الخاسر الأكبر كما كانت في حرب الخليج الأولى . إذ بلغت خسارة تركيا ١٠٠ مليار دولار على حسب تقدير المسؤولين الأتراك بسبب الحصار المفروض على العراق عام ١٩٩١ وتعطل تجارة الحدود وإغلاق أنابيب يومورتاليق التي تضخ البترول من العراق إلى تركيا وأسباب أخرى كثيرة. كما شاهدت أنقرة أن انتشار حزب العمال الكردستاني في شرقي الأناضول وقيامه بعمليات إرهابية قد تكاثرت بعد حرب الخليج الأولى بسبب تسلل بعض عناصر الحزب إلى الأراضي التركية متخفين بين خمسمائة ألف من اللاجئين العراقيين الأكراد^(١٤).

وعانت تركيا من ويلات الحرب الأولى كثيرا وهو ما اضطرها الآن لتتصرف في يقظة وحذر خشية الوقوع في نفس المأزق الذي لا يمكن أن تتحملة البلاد حاليا، ولا سيما في ظل الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي تقاسي منها منذ سنتين والتي أجبرتها على الاقتراض من صندوق النقد الدولي والبنك العالمي ليساعدها على خروجها من أزمتها المستعصية^(١٥).

عقب بدء الحرب الخليجية، شدد رئيس الوزراء التركي "يلديريم أوق بولوت" ووزير الخارجية "علي بوزار" ورئيس الأركان "نجيب تورومطاي" بضرورة الحذر الشديد في الموقف التركي تجاه الأوضاع الجارية، ورأوا أنه من الأفضل انتهاز الموقف الحيادي تجاه الأحداث الجارية، لكن الرئيس التركي "تورجوت أوزال" رأى من الحرب الخليجية الثانية فرصة لا بد من انتهازها لإعادة العلاقات التركية - الأمريكية إلى عهدتها السابق، بعد انخفاض الأهمية الاستراتيجية لتركيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، لذا قرر أوزال الوقوف إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في الموقف الذي ستتخذه ازاء الأحداث الجارية في المنطقة^(١٦).

على الرغم من حماسة أوزال في الوقوف إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أن تركيا في بداية الأزمة تبنت سياسة "معتدلة" واكتفت بدعوة العراق إلى الانسحاب من الكويت، أعجبت القيادة العراقية بالموقف التركي المعتدل وحُفزت للقاء المسؤولين الأتراك ودعوتهم إلى عدم الانضمام إلى قرار الأمم المتحدة القاضي بفرض الحصار الدولي المفروض على العراق، والإبقاء على استيرادهم للنفط العراقي عبر خط "كركوك - يومورتاليق"^(١٧). ولكن الرئيس أوزال كان مصمم على استغلال فرصة التقارب إلى الولايات المتحدة، لذا أغلق خط استيراد النفط وانضم إلى قرار الحصار الدولي على العراق وقطع العمليات التجارية مع العراق بشكل كامل وفتح القواعد العسكرية التركية للولايات المتحدة والناو وأعلن أنه سيكون طرف في التحالف الدولي ضد اجتياح العراق للكويت^(١٨).

لم يكن الهدف الأساسي لأوزال من الوقوف إلى جانب التحالف الدولي ضد العراق، هو تذكير الولايات المتحدة الأمريكية بالأهمية الاستراتيجية لتركيا والمساهمة في إعادة الاستقرار إلى العراق، بل كان يهدف إلى المشاركة في التحالف الدولي للسيطرة معه على منطقة شمال العراق ومنطقتي الموصل وكركوك^(١٩).

اما على الصعيد العربي لم يكن الموقف التركي موفق، إذ أنه على الرغم من المعارضة الشديدة التي أبدتها المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا والإمارات العربية المتحدة قطر والبحرين لاجتياح العراق للكويت، إلا أنهم اعترضوا على السياسة التركية الخارجية النشطة في القضية، خوفاً من تبعات لا توافق المصالح العربية في المستقبل، وعبرت هذه الدول عن اعتراضها بعد التزامها باتفاقيات الأسلحة الموقعة بينهم وبين تركيا. أما ليبيا والمغرب والأردن والجزائر وتونس أدانوا وبشدة فتح تركيا قواعدها العسكرية ضد العراق التي تُعد جارة لها وتجمعها عدداً من العلاقات السياسية والاقتصادية الجيدة معها^(٢٠).

وعلى الصعيد السياسي الداخلي والشعبي التركي، كان هناك انتقاد شديد من الساسة الأتراك لأوزال الذي اتبع سياسة الانحياز الشديد للولايات المتحدة الأمريكية، وكما كان هناك اعتراض شعبي شديد على هذه السياسة، وانقسم الشارع التركي بين معارض لهذه السياسة وكان هذا القسم كبير، وبين مساند ولكن بحذر وهذه كانت ثلة قليلة^(٢١).

في البداية حاولت تركيا مواكبة الرأي العام العالمي في نشاطاته لمنع هذه الحرب، إلا أن الولايات المتحدة كانت مصممة على القيام بهذه العملية مهما كان الثمن تحت مبررات مثل وجود أسلحة دمار شامل في يد النظام العراقي وعلاقاته مع القاعدة وكونه تهديدا للمنطقة والعالم، غير أن العالم لم يفتنع حتى اليوم بحسن نوايا حكومة الرئيس الأميركي جورج بوش، بل يدرك أن الحرب العراقية ما هي إلا عملية للسيطرة على مناطق النفط والطاقة في الشرق الأوسط وتوسيع نطاق الهيمنة الأمريكية إلى أبعد حدود^(٢٢).

صرح المسؤولون الأتراك مرارا أنهم ضد الحرب، وأن الحرب قد فرضت نفسها على تركيا رضيت أم أبت. فلا يمكن أن نغض عينيها عن الأحداث الخطيرة التي تجري على أراضي جارتها. وأدركت الحكومة التركية أنه يجب عليها أن تكون داخل هذه العملية بصورة ما حتى لا تبقى خارج لعبة ستتنتهي حتما بنتائج لا ترضاها إذا بقيت في الخارج. ومن ثم قررت أن تجلس على طاولة المفاوضات مع الولايات المتحدة وتلعب دورا فعالا في العملية العسكرية ومستقبل العراق. وقد أكد المسؤولون الأتراك أنهم لن يشاركوا في الحرب بالفعل رغم تواجد القوات التركية في شمال العراق^(٢٣).

كما ان حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ بظروفها والنتائج التي افرزتها جعلت تركيا لأول مرة منذ سبعين عاما عنصرا اساسيا وجزءا لا يتجزأ من لعبة الامم في الشرق الاوسط، وذلك عن طريق عاملي الحذر والامن القومي التركي المتأئين من تعييب سلطة الحكومة العراقية عن مناطق شمال العراق ومن نشوء نواة كيان كردي في ما يمس مباشرة الوضع الاستراتيجي لتركيا^(٢٤).

كما اشار نجيب تورماتي رئيس الاركان العامة السابق الى ان "ازمة الخليج عبرت بوضوح عن حساسية واهمية الوضع الجيوبوليتيكي والاستراتيجي لتركيا التي تواصل دورها الحيوي كعنصر استقرار في المنطقة، وستظل في وضع يمكنها من مواجهة التهديدات ضد حلف شمال الاطلسي في جناحه الحيوي وتركيا القوية عسكريا واقتصاديا، ولاسيما بعد ازمة الخليج سوف تؤدي دورا حيويا في التغلب على المشكلات الجديدة. اذ سيواجه الحلف في المستقبل القريب مخاطر تتصل بـ الارهاب والمخدرات والتعصب الديني وانتشار اسلحة الدمار الشامل ويمكن لتركيا ان تؤدي دورا فاعلا في مواجهة معظم هذه المخاطر"^(٢٥).

رابعاً: اسباب دخول تركيا حرب الخليج الثانية

حاولت تركيا ان تحقق مصالحها في منطقة الشرق الاوسط من منطلق قوة عن طريق تحالفاتها مع الغرب وخصوصا الولايات المتحدة الامريكية فكانت لها مصالح في منطقة الشرق الاوسط حاولت تحقيقها، واهمها:

أ - قضية الاكراد

كانت هذه المشكلة موجودة منذ اواخر العهد العثماني واستمرت مع العهد الجمهوري على شكل انتفاضات ولكنها لم تشكل خطرا كما اصبحت عليه منذ فترة الثمانينيات من القرن العشرين وتساعدت حتى التسعينيات وما زالت الى الوقت الحاضر. فقد واجهت تركيا حزب العمال الكردستاني (البككة) المعارض خلال الحرب العراقية - الايرانية اذ بدأت عمليات هذا الحزب تتصاعد نتيجة فراغ السلطة الذي ظهر في هذه الحرب في المناطق الشمالية للعراق وايران. فتركيا تحاول منع اقامة دولة كردية في شمال العراق، وتسعى الى الحفاظ على

الوضع القائم انطلاقاً من مصلحتها الاستراتيجية التي تحاول الحفاظ على أمن محافظاتهما الجنوبية، فضلاً عن تحقيق ومنع تهديد مصالحها في شمال العراق^(٢٦). حاولت تركيا حل هذه المسألة بثني الوسائل، نتيجة الأثر السلبي في اقتصادها وأمنها، فضلاً عن علاقاتها الخارجية، وذلك من خلال استخدام قواتها العسكرية للتدخل في الأراضي التي يمارس منها حزب العمال الكردستاني كافة نشاطاته. وينبغي هنا أن ننبه إلى أن أسباب دخول تركيا إلى شمال العراق تختلف عن الأسباب الأميركية. فالقوات الأميركية تريد نزع أسلحة العراق وقلب النظام والقضاء على العناصر الإرهابية على حد تعبيرها. أما الأسباب التركية فتتمركز في نقطتين: إنسانية وأمنية^(٢٧).

- فتركيا تتوقع أن تنهمر أفواج من اللاجئين العراقيين على حدودها، الأمر الذي قد يؤدي إلى المأساة التي عاشتها سنة ١٩٩١. لذا قررت أن تتوغل قواتها المسلحة ٢٠-٣٠ كم في شمال العراق لكي تستقبل أفواج اللاجئين هناك، فتحول دون دخولهم إلى الأراضي التركية، وتقوم بعملية الرعاية والإغاثة داخل الحدود العراقية في مخيمات إغاثة أعدتها لهم منذ شهور. كما تحول بهذه الطريقة دون تسلل عناصر حزب العمال الكردستاني إلى تركيا.

- أما السبب الأمني فهو منع تأسيس دولة كردية في شمال العراق، لأن وجود دولة كهذه قد يؤدي في المستقبل إلى تحركات انفصالية في شرقي الأناضول بين المواطنين الأكراد. وذلك يعيد المواجهات المسلحة بين القوات التركية والأكراد وزعزعة استقرار البلاد^(٢٨).

ب- الأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية

- الاتفاقية التركية - الاميركية

استمرت المفاوضات بين الحكومة التركية والمسؤولين الأميركيين ما يقارب من ثلاثة أشهر. حرص الجانب التركي أن يكون شريكاً في جميع السيناريوهات المتعلقة بمستقبل العراق. وقد وصلت المحادثات في بعض الأحيان حد الانقطاع بالكامل، إلا أنها وفي ظل التنازلات المتقابلة عادت لتبدأ من جديد، إلى أن اتفق الجانبان على أمور تركزت حول ثلاثة محاور رئيسية: سياسية وعسكرية واقتصادية المسؤولون الأتراك طالبوا الجانب الأميركي بضمانات وتعهدات حول هذه النقاط. وصرحوا بأنهم لن يرضوا بأي تعهد أميركي قولي ما لم يكتب على الورق^(٢٩).

كانت المخاوف من نقض العهود الأميركية إحدى أسباب رفض نشر القوات الأميركية، فماذا لو نقضت حكومة واشنطن العهود التي قطعتها لتركيا؟ وقد حقق الأميركيون رغبة الأتراك بالفعل:

- فقد أخذ المسؤولون الأتراك عهداً من الجانب الأميركي بشأن الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية
- وعدم السماح بتأسيس دولة كردية مستقلة في الشمال. وقد أكدت أنقرة أن تشكيل دولة كهذه يعتبر سبباً لحرب جديدة.
- واتفق المسؤولون على تشكيل حكومة انتقالية بعد الإطاحة بالنظام الحالي يتم فيها تمثيل جميع الفصائل والفئات العراقية من العرب والأكراد والتركمان بشكل عادل، وذلك لتأسيس النظام الديمقراطي في العراق^(٣٠).
- وبخصوص الثروات الطبيعية مثل النفط وموارد الطاقة الأخرى فقد أكدت أنقرة أن هذه الموارد ملك للشعب العراقي، ولا يحق لأحد الاستبداد بها، لا الولايات المتحدة ولا الأكراد ولا أي فئة أخرى.
- أما قضية تسليح الفصائل الكردية والفصائل الأخرى بالأسلحة الثقيلة لاستخدامها في الحرب القادمة فقد أكد الجانب التركي أنه من الضروري أن تقوم القوات الأميركية بمهمة التوزيع

والتسجيل وتحت إشراف القوات التركية، كما يجب نزع هذه الأسلحة بعد انتهاء الحرب مباشرة، وتشكيل جيش عراقي موحد.

• كذلك اتفق الجانبان على دخول القوات التركية إلى العراق عقب توغل الوحدات الأمريكية إلى المنطقة بتنسيق بين الجيشين. كما توصلوا إلى تفاهم بشأن كيفية انتقال القوات الأمريكية إلى المنطقة.

• أما عدد الجنود الأميركيين الذين انتشروا داخل الحدود التركية وعبروا إلى شمال العراق عبر الأراضي التركية فقدر بـ ٦٢ ألف جندي. وتم الاتفاق على أن تفتح تركيا بعض الموانئ والقواعد العسكرية والجوية للقوات الأمريكية، والسماح للمسؤولين الأميركيين بالقيام بعمليات توسيع وتحديث في القواعد الجوية لتصبح صالحة للانطلاق منها إلى ضرب الأهداف العراقية أثناء الحرب^(٣١).

• أما الجانب الاقتصادي فقد نجحت تركيا في الحصول على أكبر قدر ممكن من الضمانات حتى لا تتأثر من سلبيات الحرب المرتقبة. فقد وعد الجانب الأميركي الحكومة التركية بضخ ما يقارب من ٨-٩ مليار دولار مع أول رصاصة إلى جانب هبات وقروض تقدر بـ ٢٥-٣٠ مليار دولار. هذا ما عدا القروض التي كان من المقرر أن تأخذها تركيا من صندوق النقد الدولي والبالغة ١٦ مليار دولار. وتمكنت تركيا بعد مناقشات مكثفة وحادة من أخذ الضمانات اللازمة لإدارة الأسواق المالية والحفاظ على برنامج الإصلاح الاقتصادي أثناء الحرب. إلا أن الولايات المتحدة علقت تحقيق هذه الاتفاقيات على مصادقة البرلمان التركي لمشروع القرار الذي يسمح بانتشار ٦٢ ألف جندي أميركي في الأراضي التركية، غير أنه لم تحصل المذكرة الحكومية على التأييد الكافي من أعضاء البرلمان التركي^(٣٢).

غير أن الموقف التركي لم يلبث أن اتخذ توجهها آخر بسبب دخول الولايات المتحدة الأمريكية على خط الازمة بشكل مباشر من خلال التأثير على الحكومة التركية لتغيير موقفها، وتم التشاور بين الرئيس التركي توركوت اوزال Turkut Ozal والرئيس الأمريكي جورج بوش الاب George Bush هاتفياً، إذ طلب الأخير مقاطعة العراق اقتصادياً، وعليه دعا اوزال البرلمان التركي لمناقشة الموضوع. كما جرى اوزال اتصالات مع العديد من رؤساء الدول للتباحث بالازمة ومن ضمنها الملك السعودي فهد بن عبدالعزيز وناقش معه الضرر الذي سيلحق تركيا في حالة غلق انابيب النفط العراقية المارة عبر أراضيها، وما سيترتب عليها من اشكالات اقتصادية تضر بالاقتصاد التركي^(٣٣).

ويبدو من خلال ما تقدم ان الاتصال بالملك فهد بن عبدالعزيز كان لمعرفة الموقف السعودي من الاتراك في حال غلق الانابيب العراقية وهل ان السعودية مستعدة لتعويض تركيا ما كانت تحصل عليه من فوائد جمة من مرور انابيب النفط العراقية في اراضيها في حال الاطاحة بالنظام العراقي، خوفاً من تأثيره على الامن السعودي.

وأثناء تلك المفاوضات صرح وزير الدولة التركي محمد كيشلر Kishler Mohammed، المشرف على سياسة النفط الحكومية التركية في ٦ آب ١٩٩١ م بأن "تركيا لن تغلق خطي النفط العراقيين طالما بقي الخط ماراً عبر الأراضي السعودية" وقد برر هذه السياسة بأن تركيا تمنح الأولوية لحاجاتها الضرورية إذا لم تقم السعودية أيضاً بهذا الاجراء من جانبها. ارادت الولايات المتحدة الامريكية ودول الخليج العربي وفي مقدمتها السعودية ممارسة عملية الضغط السياسي عليها من جهة وحاول العراق من جانبه كسب ود تركيا إذ اوفد النظام العراقي انذاك في آب ١٩٩١ نائب رئيس الوزراء طه ياسين رمضان الى انقرة وحال وصوله اجتمع مع الرئيس التركي وسلمه رسالة شفوية من نظيره العراقي كان مفادها " اعتراف تركيا بالحكومة الجديدة في الكويت، وعدم حماية عائلة الامير الكويتي وفي حالة

اتحاد العراق مع الكويت مستقبلاً، يتم اعتراف تركيا بالوضع السياسي الجديد ، وعدم غلق
الانابيب والتدخل في الازمة ، لان غلق تركيا لخط الانابيب سيؤدي الى جو من عدم الثقة بين
البلدين^(٣٤).

في اثناء زيارة طه ياسين رمضان صرح اوزال قائلاً : " ان المسألة لا تتعلق بالكويت
فقط ، بل تتعلق بكل دول الخليج ، وبالنفط كسلعة اساسية استراتيجية عالمية " أي ان تأكيد
اوزال الوجود العراقي في الكويت يعد بمثابة تهديد حيوي للمصالح النفطية الامريكية والعربية
في منطقة الخليج العربي. وفي وقتها اشار اوزال على نائب رئيس الوزراء العراقي انه
بأمكان العراق الخروج من الازمة من خلال القنوات الدبلوماسية، بينما رد طه ياسين رمضان
انه " لازلنا هناك امكانية حقيقية لايجاد الحل " . كما طلب من اوزال ان يكون لبلاده دور
فاعل لحلحلة الازمة مؤكدا علم الحكومة العراقية وتقديرها للضغوط الكبيرة التي تتعرض لها
تركيا ولاسيما من جانب الولايات المتحدة فرد اوزال قائلاً: " نعم ستكون هناك ضغوط
امريكية كبيرة على تركيا وعلى اية حال كنا نتمنى ان لا يحصل ما حصل ، ونرى ان نتسحبوا
الان بسرعة ، اما نحن في تركيا فسننصرف بما ينسجم مع مصالحنا وتذكرون اننا قد
تعرضنا لضغوط كبيرة خلال الحرب العراقية - الايرانية من اجل غلق الانبوب العراقي ،
لكننا رفضنا غلق هذا الانبوب"^(٣٥).

خلال تلك المباحثات ادركت الحكومة العراقية أن الاتراك سائرون في فلك السياسة
الامريكية، وعليه استبقت الامر وقامت بتخفيض كمية النفط المتدفق الى تركيا واعلم محمد
كيشلر ان العراق أوقف الضخ عبر احد خطيه فيما خفض عبر الخط الاخر بنسبة ٧١%
، وتزامن ذلك مع صدور قرار مجلس الامن المرقم ١١٠ في ٦ اب ١٩٩١م والذي بموجبه تم
فرض حظر اقتصادي على العراق جاء فيه: " ان على الدول جميعاً منع الاستيراد الى بلدانها
كل البضائع والمنتجات ذات المنشأ العراقي او الكويتي او المصدرة منها بعد تاريخ القرار " .
وقد اتاح القرار المذكور لتركيا الفرصة، وعليه فان قرار العراق بتخفيض الضخ عبر الانابيب
المارة بتركيا سهل في وقتها على الاخيره اتخاذ قرار ايقاف تصدير العراق انتاجه النفطي عبر
اراضيها، كما أوقف كل اشكال المتاجرة مع العراق^(٣٦).

كما حصلت الحكومة التركية على هبة من الكويت قدرها ملياري دولار ، حسب
ادعاءات طه ياسين رمضان خلال مؤتمر القمة العربية الذي عقد في القاهرة بتاريخ ١٥ آب
١٩٩٠م وكانت الهبات الامريكية اكثر نفعاً واثراً واخيراً أوقفت الحكومة التركية تعاملاتها
التجارية مع العراق واغلاق انبوبي النفط ، وبضفاف الى ذلك ان الولايات المتحدة
الامريكية اقنعت البنك الدولي بتأجيل سداد ديون تركيا له التي كان من المفترض دفعها خلال
تلك المدة ، كما تعهدت المملكة العربية السعودية بتوفير جزء كبير من حاجة تركيا النفطية
وبأسعار تفضيلية مشجعة^(٣٧).

اما على الصعيد العسكري فأن الولايات المتحدة الامريكية رفعت الحظر المفروض على
تسليح تركيا منذ عام ١٩٧٣م بسبب عدائها مع قبرص ، واستفادت من الدعم العسكري
الامريكي لها وتأمين اسلحة حديثة بقيمة ثمان مليارات دولار شملت الف دبابة وسبعمئة ناقلة
مصفحة واربعين مقاتلة قاذفة، كما وعدتها الولايات المتحدة بعدم خفض المساعدات العسكرية
عن خمسمائة وخمس واربعين مليون دولار سنوياً. كما امتد الجيش التركي بـ خمسين طائرة
F16 وتمويل خطة لتحديث الجيش التركي ، اضافة الى التعهدات بتعويضات مالية لقاء
استخدام قواعدها العسكرية من جانب اليابان ، وتعويضها عن الاضرار المحتملة التي قد تلحق
بأراضيها ومنشآتها جراء هذا الاستخدام ، ومنحت تركيا حق امتلاك جميع الصواريخ
والاسلحة التي ستحضرها الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها ولاسيما منظومة صواريخ

الباتريوت ، ومن جانبها طالبت تركيا بإعفائها من الديون العسكرية المترتبة عليها حيث حصلت على الاعفاء الجزئي ، كما أصدر حلف شمال الاطلسي قرارا في ١٨ آب ١٩٩١م يقضي بالدفاع عن تركيا من أي خطر يهدد وحدة وسلامة اراضيها الامر الذي اعطى الاتراك دافعا معنويا على المستويين الداخلي والخارجي^(٣٨).

وفقاً لذلك اعتقدت تركيا ان فرص دخولها في الاتحاد الاوربي اصبحت كبيرة نتيجة هذه الازمة، وان الولايات المتحدة الامريكية سوف تضغط على الدول الاوربية لتأمين قبول تركيا كعضو فيها، ومن أجل ذلك قبلت تركيا بما اقترته الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية بضرورة انسحاب العراق الكامل والفوري وغير المشروط من الكويت ، وتبنى اوزال هذه السياسة لاعتقاده بأن منطقة الشرق الاوسط تمر بمرحلة تغيرات جديدة لا رجعة فيها ستغير بعض الخرائط السياسية فعلى الاتراك البحث عن مصالحهم ، وانه من الحيوي بالنسبة لتركيا أن تكون في وضع يسمح لها بالحصول على المنافع والامتيازات الكاملة من الفرص المستقبلية في المنطقة بأسناد حلفائها. وجاء موقف تركيا المتطور من الازمة على لسان المتحدث باسم الخارجية التركية الذي أكد بأن "تركيا ستقوم بتنفيذ كل القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة"^(٣٩).

ظهرت نتيجة للموقف التركي الجديد تجاه العراق انذاك خلافات عدة بين اوزال وعدد من الشخصيات التركية ذات النفوذ في الاوساط العلمانية ، على الرغم من ادانتهم للاجتياح العراقي للكويت الذين أكدوا على ضرورة الانسحاب ، لكن عندما تطور الموقف وحاولت الولايات المتحدة الامريكية استغلال الوضع لتحقيق مصالحها ووقفت تركيا موقفا مؤيدا ، فأن النخبة الكمالية التقليدية وصفت سياسة اوزال تجاه الاجتياح العراقي للكويت بالمتهورة . وفي الوقت نفسه ازدادت مخاوفها اثر تقديم مشروع قانون لمجلس النواب التركي يقضي بمنح صلاحيات واسعة للرئيس كي تمكنه من اعلان الحرب واتهموا الدول الاوربية بأنها تسعى لجمع تركيا شرطيا لها في منطقة الشرق الاوسط^(٤٠).

صرح سليمان ديميريل زعيم حزب الطريق المستقيم في ١٧ آب ١٩٩١م قائلا: " ليس بالضرورة زج تركيا في النار من اجل ارضاء البعض " ووصف ما يقوم به اوزال بأنه لا يمثل شعب ولا دولة تركيا وقال ايضا : " ان موافقة تركيا على قبول تعويضات من شيخ الكويت لتغطية الضرر هو احتقار للشرف ، وهذا يعني بيع القوات المسلحة التركية مقابل النقود " واضاف ايضا : " نحن لسنا جندرمة وحراسا بالاجرة "^(٤١).

استطاعت وزارة الخارجية التركية، التي كانت على خلاف مع وزارة المالية اقناع رجال الاعمال الاتراك بضرورة الالتزام الصارم والنام بتطبيق العقوبات الاقتصادية على العراق تزامن هذا الحدث مع زيارة وزير الخارجية الامريكية جيمس بيكر James Beker ١٩٨٩-١٩٩٢ الى انقرة لاجراء مباحثات مع المسؤولين الاتراك حول الازمة العراقية - الكويتية والموقف التركي منها ، كما وصل بعدها مباشرة وزير الدفاع الامريكي ديك تشيني Deck chini ١٩٨٩-١٩٩٤م الى العاصمة التركية ايضا، واجرى محادثات مماثلة مع تورجوت اوزال ، كما زار العاصمة التركية مسؤولون من دول أخرى، كويتيون وسعوديون، للغرض نفسه إذ تركزت المحادثات على دور تركيا في مقاطعة العراق اقتصاديا وما ستلعبه في حال المواجهة العسكرية لذلك اعترضت تركيا سفنا محملة بالمواد الغذائية الى العراق ولم تسمح لها بالوقوف في الموانئ التركية، كما سحبت سفيرها من بغداد دون اصدار قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية ، وتقليص كادر السفارة العراقية في انقرة واشاعت اعلاميا انها لا تكن أي عدائية للعراق ولوحظ ان تركيا بدأت تستعد على المستوى العسكري فحاولت الحصول على الموافقة من الداخل التركي أي موافقة المجلس الوطني التركي للشروع بالحرب عند

الحاجة ، وضرورة العمل بالمادة ٩٢ من الدستور التركي التي تجيز من خلالها اوزال استخدام القوات المسلحة وقد حصلت الموافقة بتصويت ٢٠١ بالقبول مقابل رفض نائبا ١١٠ وامتناع بعض النواب عن التصويت . بعد هذا الحراك الداخلي اتضح الموقف التركي المساند للمخططات الامريكية تجاه العراق^(٤٢) .

أما الموقف الذي انهى حالة التواصل العراقي - التركي هو اعلان السفير العراقي في تركيا بأن العراق حصل على ضمانات من حكومة اوزال بعدم شنّها أي عمل عسكري على العراق ، وايضا رفضت تركيا استخدام ارضيها من أي جهة لشن عمليات عسكرية ، الا ان الحكومة التركية كانت واضحة فسرعان ما اعلنت ان ما جاء على لسان السفير العراقي في بلدها غير صحيح ، واكدت من خلال تصريح رئيسها توركوت اوزال في ٢٢ آب ١٩٩١ م ارسال قوات تركية الى السعودية اذا ما طلبت منها او الى أي دولة خليجية تستنجد بها من الاعتداءات العراقية " ان تركيا مستعدة للمشاركة عسكريا ضد العراق ، كما صرح وزير الدفاع التركي قائلا : " ان ارسال قوات عسكرية تركية الى منطقة الخليج العربي سيكون ممكنا اذا ما اظهرت تقديرنا ان ذلك سوف يحقق فائدة لنا " واغلق الاتراك ابواب السياسة بوجه العراقيين من خلال احدى اللقاءات الصحفية التي اجراها اوزال وقال فيها: " ان من الصعب ان تقوم تركيا بدور الوساطة ، وان الوساطة الوحيدة هي نصح العراق بقبول قرارات الامم المتحدة ، وان هامش المفاوضات ضئيل جدا ان لم يكن معدوما"^(٤٣) .

وبعد صدور قرار مجلس الامن الدولي المرقم ١٠١ في ٢٥ آب ١٩٩١ م والذي اجاز استخدام القوة العسكرية في تطبيق الحظر الاقتصادي ، حصلت تركيا من خلال ذلك على قوة إضافية تجاه موقفها بخصوص الازمة العراقية - الكويتية كما اعلنت تمديد العمل بالاتفاقيات العسكرية مع الولايات المتحدة لمدة عام آخر بتاريخ ١٨ ايلول ١٩٩١ . كما سمحت الحكومة التركية للطائرات الامريكية باستخدام قاعدتي انجريك وباطمان في العمليات العسكرية ضد العراق وتواصل الدور التركي من خلال توفير الراحة لاسراب الطائرات الامريكية والبريطانية والفرنسية المقاتلة ، إضافة الى طائرات الاواكس للمراقبة والقيادة والتوجيه . ولم يكن هذا فقط بل اضيفت اليها قوات برية وجوية تركية^(٤٤) .

استمرت تلك القوات بممارسة نشاطها العدواني تجاه الاراضي العراقية المتكررة ، ورصد تحركات القوات العراقية تنفيذا لما يسمى بمراقبة الحظر الجوي المفروض على العراق بدون وجه قانوني. كما حاولت تركيا اكثر من مرة ان تتولى بقواتها الجوية والبرية اداء المهمة المحدودة لعملية توفير راحة دونما حاجة الى اسراب الطائرات الغربية ، وان تنفذ الطائرات التركية بمفردها طلعات المراقبة والتحقق ، غير ان الولايات المتحدة لم ترد انفراد تركيا بعملية المراقبة والتحقق والحماية . كما شنت القوات العسكرية التركية على شمال العراق أكثر من مائة وثلاثين غارة جوية^(٤٥) ، وتوغلت قواتها العسكرية البرية الى عمق ستة عشر كيلو متر تحت ذريعة ملاحقة الارهابيين والانفصاليين التابعين لحزب العمال الكردستاني ، ولم يقتصر الامر على ذلك بل استمرت الاعتداءات التركية على الاراضي العراقية ، إذ اعترف اوزال بذلك ، فقد نفذ الطيران التركي صباح ١١ تشرين الاول ١٩٩١ م عملية جوية في شمال العراق ، من خلال قيام ثمان طائرات حربية تركية باجتياز الاجواء العراقية جنوب كورسا في منطقة هكاري والتوغل الى مسافة سبعة كيلو مترات داخل الاجواء العراقية ، وقامت بقصف قرى في شمال العراق وهي (بانيك ، وشيالن سيار ، وسيريا وبيلونا ، وقد استخدمت قنابل النابالم المحرقة في تلك القرى وبالرغم من المذكرات الاحتجاجية المتكررة التي كانت ترسلها وزارة الخارجية العراقية الى السلطات التركية التي اكدت فيها على وقف الانتهاكات التركية الفاضحة لحرمة الاراضي العراقية وسيادته وسلامته

الاقليمية. الا ان السلطات التركية لم تعرها أية أهمية وبقيت متمسكة بذرائع واهية، وهي مطاردة الاكرد الانفصاليين من حزب العمال الكردستاني اللاجئيين الى الاراضي العراقية بسبب اعتداءاتهم المتكررة ضد السلطات التركية^(٤٦).

وفي خطوة مفاجئة زار رئيس وزراء تركيا يلدريم اقبولوط بغداد في ١٦ تشرين الاول ١٩٩١م وصرح ان الغاية من الزيارة هي حل الازمة بالتفاهم مع المسؤولين من جانب الحكومة العراقية غير ان الزيارة كانت شكلية لان تركيا كانت جاهزة على مستوى العدة والعدد والاسناد السياسي للمشاركة بشكل مباشر وحيوي في الحرب على العراق. اذ اردات تركيا في هذه المرحلة كسب ود الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية، إذ حاول اوزال إبراز الأهمية الاستراتيجية لتركيا بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة العربية بشكل عام والشرق الأوسط بشكل خاص، وبناء علاقات متينة مع الولايات المتحدة الأمريكية في حلف الشمال الاطلسي (الناتو)، كما ان موقعها يشكل عنصرا اقتصاديا فعالا في تطبيق العقوبات، فهي الدولة الوحيدة في المنطقة المجاورة للعراق والتي كانت عضوا فعالا في العمليات العسكرية على العراق^(٤٧).

بدأت تظهر نتائج العلاقة مباشرة على المستويات التجارية والعسكرية والاستراتيجية والدبلوماسية وحتى الشخصية، فعلى الصعيد التجاري جاءت أولى النتائج الملموسة لتركيا بأعلان الولايات المتحدة الامريكية في تشرين الثاني ١٩٩١م رفح حصة استيراد النسيج التركي، كما وعدت الاخيرة بمنافع اقتصادية اخرى ودعمها ماليا بمنحها اعتمادات بقيمة ٣,٠ مليار دولار من البنك المركزي الدولي. وكانت تلك المنح تمثل اغراءات حقيقية للحكومة التركية لتعويض ما كانت تحصل عليه من الحكومة العراقية^(٤٨).

الخاتمة:

تدرك تركيا أهمية مكانتها الدولية والاقليمية المتمثلة بأنها ليست دولة طرف بل دولة مركز لذا فأنها قادرة على التأثير بالدول والاقاليم المحيطة بها، وتتحرك تركيا في مقدراتها على التعامل مع الدول العربية والاسلامية من منظور انماط واساليب متنوعة دون المساس بمصالحها الامنية والاقتصادية. وترتبط تركيا بعلاقات وثيقة مع العراق تعود الى عمق القدم وتجمع كلا البلدين مصالح استراتيجية لا يمكن الاستهانة بها، إذ تجمع البلدين حدود برية مشتركة تصل الى حوالي ٤٨٣ كلم، وهذا ما يؤدي الى تعزيز عمليتي التأثر والتأثير بين شعبي البلدين. فضلا عن الفسيفساء العرقية التي تجمع بينهما من عرب و اكراد وتركمان. فالملف الكردي يعد من اهم ملفات الاهتمام المشترك بين تركيا والعراق في المنطقة إذ يتوزع الاكرد فيهما اضافة الى ايران وسوريا، فضلا عن ان تركيا تعتبر الراعية الاولى لتركمان العراق سياسيا وثقافيا بسبب حقائق العرق والثقافة. لذا بات من البديهي ان تتغير السياسة التركية حيال العراق اثر ازمة الاجتياح العراقي للكويت ١٩٩٠-١٩٩٠ وتتبع "سياسة المبادرة" بدلا من سياسة رد الفعل. شهدت مواقف تركيا من حربي الخليج الاولى والثانية بعض التذبذب وكانت تنظر الى طبيعة الحرب من جانب الافادة منها لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية، ففي حرب الخليج الاولى نجد انها لم تلعب دورا بارزا كما هو في حرب الخليج الثانية وانما كانت علاقاتها جيدة مع طرفي الصراع العراق وايران، فكانت تصدر للعراق ولايران متبعة سياسية عدم الانحياز اذ ان المهم لديها ان لا تتعرض مصالحها للخطر، لكننا نجدها في حرب الخليج الثانية كان لها دور واضح بحكم علاقاتها الاقتصادية مع الولايات المتحدة الامريكية ففي البدء نراها ادعت انها لا تريد ان تساهم في الحرب على العراق كونها دولة مجاورة لها وتربطهم علاقات اقتصادية متينة، فضلا عن رفض المجتمع التركي

والتجار وبعض الساسة الاترك لمشاركة تركيا الحرب ضد العراق الا ان ذلك لم يمنع اوزال بالضغط على المجلس الوطني التركي من اعلان الحرب على العراق بسبب المغزيات الاقتصادية التي منحتها الولايات المتحدة ودول الخليج والقروض والمنح والدعم العسكري والمادي الذي قدموه لتركيا لتقف الى جانبهم ضد العراق .
الهوامش :

١. جلال عبد هلال معوض ، السياسة التركية والوطن العربي في الثمانينات ، مجلة شؤون عربية ، العدد ١٢ ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص١٣١.
٢. الدول التي شاركت في التحالف : عمان ، باكستان ، قطر ، السعودية ، كندا ، بلجيكا ، الدنمارك ، سوريا ، فرنسا ، ألمانيا ، اليونان ، اليابان ، إيطاليا ، الكويت ، الأرجنتين ، إستراليا ، البحرين ، السنغال ، كوريا الجنوبية ، أسبانيا ، مصر ، تركيا ، الإمارات ، تشيكوسلوفاكيا ، نيوزيلندا ، هولندا ، نيجيريا ، نروج ، البرتغال ، الولايات المتحدة .
للتفاصيل انظر ؛ جريدة «الزمان» الدولية ، العدد ٤١٢١ ، التاريخ ٢٠١٢/٢/١٣
٣. مهدية صالح حسن العبيدي ، العلاقات العراقية- التركية ١٩١٨م - ١٩٨١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، ١٩٨١م ، ص٤٠.
٤. مجموعة من الباحثين، تركيا المعاصرة، مركز الدراسات التركية،الموصل، د.ت، ص٢٢١.
٥. بيار سالينجر، اريك لوران، حرب الخليج " الملف السري"، ط١ ، بيروت، ١٩٩٤، ص٩٩.
٦. الموقف التركي من الاحتلال العراقي للكويت ١٩٩١، مجلة الخليج العربي المجلد، ٤٦، العدد، ١-٢ ، السنة ٢٠١٨م، الصفحة ٥.
٧. عوني عبد الرحمن السبعوي ، العلاقات العراقية - التركية ١٩١٨ - ١٩٤٢ ، الموصل ١٩٨١، ص٤٤ ؛ احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ، رسالة ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٤م
٨. في اليوم الأول من اندلاع الحرب، أعربت تركيا عن موقفها تجاه العراق في ٤ شباط ١٩٩١ قال توركت أوزال: إن تركيا، لن تفتح جبهة ثانية، ضد العراق، ما لم تتعرض لهجوم من جانبه. للتفاصيل انظر: عوني عبد الرحمن السبعوي ، العلاقات

- العراقية - التركية وفاق تطورها ، مجلة اوراق تركية معاصرة ، العدد ١٠، مركز
الدراسات التركية ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م ص ٩.
٩. بعد الحرب العالمية الثانية اصبح تركيا دولة مستقلة بعد نهاية وجود الدولة
العثمانية وعلان الجمهورية التركية بزعامة مصطفى كمال اتاتورك عام ١٩٢٣ حيث
ارسى اسس السياسية الداخلية والخارجية لتركيا من خلال شعاره الذي رفعه (سلام في
الداخل والخارج) ورغبته في عدم التدخل يشؤون الدول الاخرى الاوربية والعربية
واستمرت هذه السياسية حتى الحرب العالمية الثانية حيث نجد ان تركيا ساهمت في
اهم الاحداث السياسية الدولية ولعبت دورا اساسيا فيها للتفاصيل انظر " لقاء جمعه
عبد الحسن الطائي ، العلاقات التركية -الامريكية في عهد مصطفى كمال اتاتورك
١٩٢٣ - ١٩٣٨، بغداد ، مؤسسة المرتضى للطباعة والنشر ، ٢٠١٤ ، ص ٧-١٠.
١٠. احمد نوري النعيمي، العلاقات العراقية- التركية " الواقع والمستقبل"، عمان، ٢٠١٢،
ص ١٠.
١١. هيثم الكيلاني، تركيا والعرب دراسة في العلاقات العربية التركية، سلسلة دراسات
استراتيجية مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي ، ١٩٩١م ، ص
١١.
١٢. عبد السلام علي نوير ، استعداد الموقف التركي تجاه ازمة الخليج ، مجلة مستقبل
العالم الاسلامي ، العدد ٤ ، السنة ١ ، مالطا ، ١٩٩٠م ، ص ٨٩. جريدة الثورة
بغداد ، العدد، ٧١٩٣ في ١١ اب ١٩٩٠م
١٣. ميثاق خير هلال جلود منصور القره غولي ، العلاقات الخليجية - التركية
١٩٧٤م - ١٩٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية ، جامعة الموصل ،
٢٠١١م ، ص ١١٨؛ جريدة الح
١٤. ياة ، لندن ، في ٤ ايار ، ١٩٩١م
١٥. ابراهيم الداوقى ، صور التراك لدى العرب ، ط٠ ، بيروت ، ٢٠١١م ، ص ٤٣١.
١٦. حينما حددت الولايات المتحدة النظام العراقي هدفا ثانيا لها في حريها ضد ما أسمته
إرهابا، وأخذت تحشد قواتها لحرب محتملة كانت تركيا من أشد المعترضين لأسباب
سياسية وأمنية واقتصادية. فعملية كهذه شديدة الخطورة بالنسبة لتركيا. لأنها أولا تخاف
من انهيار اقتصادها المحتضر، ثانيا تخشى أن تتمخض العملية العسكرية عن انقسام
الأراضي العراقية وظهور دولة كردية في شمال العراق. وهو ما يشكل قضية أمنية

- خطيرة بالنسبة لأنقرة، حيث تخشى من سريان النزعة العرقية إلى أكراد شرقي الأناضول
فتتشب صدامات عسكرية بين القوات التركية والأكراد مجددا، فيؤدي ذلك إلى انفصال
المنطقة الشرقية عن البلد. للتفاصيل انظر احمد نوري النعيمي، العلاقات العراقية-
التركية " الواقع والمستقبل"، ص ١٠-٧.
١٧. سري الدين، عايدة العلي، المسألة الكردية في ملف السياسة الدولية، ط١، بيروت، ٢٠١١م،
ص ٢٠.
١٨. روبرت اولسن ، المسألة الكردية في العالقات التركية - اليرانية ، ترجمة : محمد
احسان ، ط٠ ، ار بيل ، ٢٠١١م ، ص ٣١.
١٩. نبيل حيدري ، تركيا دراسة في السياسة الخارجية منذ ١٩٣١م ، ط٠ ، بيروت ،
١٩٨١م، ص ٣١.
٢٠. D Norotan , Islam as Afactor in Tuykish Arab relations Durham ,
٢١. 1982 , AFFAIRS , 1983 , p. 174 . 41
٢٢. خليل ابراهيم محمود العبد الناصري ، السياسة الخارجية التركية ازاء الشرق الاوسط
للمدة الواقعة من ١٩٣١م - ١٩٩٠م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم
السياسية ، جامعة بغداد ١٩٩١م، ص ٢١٠ ؛ جريدة الثورة ، العدد ٧٧٣٩ ، في
٤ تشرين الثاني ، ١٩٩٠م .
٢٣. محمود علي الداود ، العلاقات العربية - التركية والعوامل المؤثرة فيها ، مجلة المستقبل
العربي ، العدد ٣١ ، تشرين الثاني ، ١٩٨٢م، ص ١١ . ٢٧
٢٤. عبد السلام علي نوير ، المصدر السابق، ص ١٣٩.
٢٥. قيس محمد نوري، الخيارات التركية في ضوء الاوضاع الراهنة في الخليج العربي، مجلة
اوراق تركية معاصرة ، العدد ١-٣، السنة ٤، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل،
١٩٩١م، ص ١٢.
٢٦. الموقف التركي من الاحتلال العراقي للكويت ١٩٩٠م - ١٩٩١م ، مجلة الخليج
العربي المجلد ٤٦، العدد ١-٢ ، السنة ٢٠١٨م، ص ٥٦.
٢٧. Turkish Review Quarterly Digest , Vol . 4 No . 22, Ankara , 1990 .
p. 99 .

٢٨. مجموعة من الباحثين ، العلاقات الدولية في الشرقين الادنى والاوسط ، ترجمة : دار
المساعدة السورية ، دمشق ، ٢٠١٢م ، ص٢١٢.
٢٩. نوال عبدالجبار سلطان الطائي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا ١٩٦١م-
١٩٨١م دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل،
٢٠١٢م، ص١٢١ ص١٢٤.
٣٠. احمد نوري النعيمي،العلاقات العراقية-التركية " الواقع والمستقبل"،ص١٠- ٧ .
٣١. ميثاق خير هلال جلود منصور القره غولي ، العلاقات الخليجية - التركية ١٩٧٤م -
١٩٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠١١م، ص
١٨٠.
٣٢. خليل ابراهيم الناصري، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية- التركية ، بغداد،
١٩٩١م ، ص١١٠.
٣٣. فيليب روبنس،تركيا والشرق الوسط ،ترجمة،ميخائيل نجم خوري،قبرص،١٩٩٤م
،ص٧٣.
٣٤. وليد رضوان،العلاقات العربية- التركية ، ط٠ ، بيروت ، ٢٠١١م ، ص١٩١-
١٩٠ .
٣٥. مؤيد ابراهيم كاظم الوندائي ، الحرب العراقية - الايرانية وأثرها على الامن القومي
الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣م ، ص١٩٤.
٣٦. مجموعة من الباحثين ، العلاقات العربية - التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين
، مركز الدراسات التركية ، جامعة الموصل ، ٢٠١١م ، ص٤١؛ فيليب روبنس ،
المصدر السابق ، ص٨٩.
٣٧. بيار ساليانجر، اريك لوران، حرب الخليج " الملف السري"، ط٠٠ ،بيروت،١٩٩٤م،
ص١٩٩.
٣٨. خليل ابراهيم محمود العبد الناصري، المصدر السابق،٢١٠ص ؛ نبيل الحيدري ،
المصدر السابق ، ص٧٦.
٣٩. خورشيد حسن دلي ، تركيا وقضايا السياسة الخارجية ، دمشق ، ١٩٩٩م، ص١١٣.
٤٠. بدر احمد عبد العاطي ، ايران وتركيا وباكستان وترتيبات ما بعد الحرب ، مجلة
السياسة الدولية، العدد ١١٣ ، القاهرة ، ١٩٩٠م، ص١٧.

٤١. احمد عامر ، الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت ، ج ١ ، ط ١ ، القاهرة ،
٢٠٠١ ، ص ١٨ .
٤٢. جلال عبد الفتاح ، العمليات العسكرية لغزو الكويت ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩١ م ،
ص ٩١ .
٤٣. جامعة الدول العربية ، مجلة شؤون عربية ، العدد ١٩ ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٣٢ .
٤٤. معهد الدراسات الاسيوية والافريقية الارشيف والتوثيق ، دراسات عن تركيا ، ج ٣ ،
الجامعة المستنصرية ، د. ت ، ص ١٩٣
٤٥. J.D Norotan , Islam as Afactor in Tuykish Arab relations Durhum .
1982 , AFFAIRS , 1983, pp45-50.
٤٦. جلال عبد هلال معوض ، السياسة التركية والوطن العربي في الثمانينات ، مجلة
شؤون عربية ، العدد ١٢ ، القاهرة ، ١٩٩١ م ، ص ٣١ .
٤٧. بيار ساليانجر ، اريك لوران ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .
٤٨. Turkish Review Quarterly Digest , Vol . 4 , No . 22 , Ankara ,
1990 , p. 99 . 11
٤٩. قيس محمد نوري ، المصدر السابق ، ص ٦٥ . احمد نوري النعيمي ، المصدر السابق ،
ص ٩٩ .
٥٠. مجموعة من الباحثين ، العلاقات العربية - التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين
، ص ٤١ .

التوجه الإيراني تجاه لبنان وأثره على المشرق العربي بين عامي

١٩٧٩-١٩٩٠

د.د. بشرى محمود الزوبعي

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة :

شهدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية العديد من المتغيرات الداخلية والخارجية التي تؤثر مجملها في توجه السلطة السياسية التي تقود النظام السياسي منذ وصول الثورة الإسلامية للحكم عام ١٩٧٩ وعلى الرغم من تغير أشخاص الحكم في إيران إلا أن الخط المحافظ مع الثورة بقي يتسم بمفهوم المحدد الثابت في توظيف السياسات الداخلية والدولية لدى قيادات السلطة.

تعد صلات الجوار والدين والتاريخ المشترك من أبرز العوامل التي تجمع العرب والإيرانيين، وقد عرفت العلاقات العربية الإيرانية مرحلة من الصراعات والمنافسات الطويلة التي لم تتوقف على مر التاريخ، ولكن منذ قيام النظام الجمهوري الإسلامي في عام ١٩٧٩، وانتصار الثورة الإيرانية حتى لعبت إيران دوراً أساسياً في ولادة ونشأة ونمو حزب الله اللبناني عام ١٩٨٢، على يد المرشد الروحي للحزب محمد حسين فضل الله الملقب، وبعض رجال الدين والدارسين في الحوزات بالنجف الأشرف وذلك لضمان تصدير الثورة، وقد بايعت قيادات الحزب كافة منذ نشأته حتى الأمين الحالي حسن نصر الله كوكلاء شرعيين لإيران في لبنان. أما إيران فقد حدث فيها تغير بعد عودة الخميني إليها في شباط من العام نفسه ١٩٧٩، وقاد ثورة إسلامية مدعومة بمشاعر الملايين من الشعب الإيراني، الذين وجدوا في الإسلام وشعاراته منقذاً ومخلصاً من غطرسة الشاه محمد رضا بهلوي وعلمايته، وبعد انتصار الثورة اضطر الشاه الى مغادرة إيران مخلفاً وراءه جيشاً قوياً كان يوصف بأنه خامس جيش في العالم، كما خلف وراءه ثروة كبيرة تحققت نتيجة الصعود الكبير في أسعار النفط آنذاك^(١).

النشأة التاريخية للعلاقات الإيرانية اللبنانية

قبل الخوض في الحديث عن واقع العلاقات الإيرانية اللبنانية في وقتنا الحاضر، يجب إلقاء الضوء على الجذور التاريخية التي نتجت عنها تلك العلاقة، ومن هنا يجب التوجه إلى موجات الهجرة التاريخية والتبادل الثقافي بينهما^(٢). ففي العهد الصفوي قام عدد كبير من العلماء المسلمين بالهجرة من لبنان إلى إيران، وقد مهدت تلك الهجرة تحولا في الفقه والفكر الإسلامي، ومازالت بعض الجامعات في إيران تدرس كتب هؤلاء العلماء بالرغم من مضي عدد من القرون على تلك الهجرة. كما هاجر عدد من العائلات الإيرانية خلال العقود التاريخية المختلفة إلى لبنان. وبالرغم من هذا التبادل العميق بين البلدين، فقد شهدت العلاقات بينهم بعض المد والجزر ولكنها لم تنقطع يوما حتى قبل اندلاع الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥ م.

علاوة على ذلك وجود بعض العلاقات الدبلوماسية بين البلدين والتي ترجع إلى عام ١٩١٢ وهو تاريخ إنشاء أول قنصلية إيرانية في لبنان، والتي تحولت في عام ١٩٢٧ إلى قنصلية لكل من لبنان وسوريا وفلسطين وكان مركزها بيروت. وبالإضافة إلى تلك العلاقات والتبادل المذكور أعلاه، تعد إيران من أوائل الدول التي اعترفت بلبنان دولة مستقلة عام ١٩٤٣ م ووسعت من مستوى علاقاتها معها وشهدت العلاقات قفزة نوعية وتطورت بينهما العلاقات المميزة على المستوى السياسي، كما شهدت تطور في العلاقات الاقتصادية والتجارية، فقد عقدت الدولتين ذلك تطورا خلال السنوات الأخيرة لسلسلة من الاجتماعات فيما عرف باللجنة الاقتصادية المشتركة، والتي انتهت بالتوقيع على العديد من الاتفاقيات المختلفة^(٣).

أما بالنسبة للعلاقات السياسية فبدأت رسميا في عهد الرئيس اللبناني الراحل كميل شمعون بين عامي ١٩٥٢-١٩٥٨، والتي ترافقت مع إنشاء حلف بغداد والذي كانت إيران جزءا منه، فقد ساهم هذا الحلف في التقارب الإيراني اللبناني، وازداد هذا التقارب بزيارة شاه إيران إلى لبنان عام ١٩٥٧، ثم تبع ذلك مجيء الإمام موسى الصدر إلى لبنان عام ١٩٥٨ وذلك بالاتفاق والتنسيق مع الشاه الذي كان قد أسس علاقة مع الجمعية العالمية الشيعية ومن ثم قام الشاه أيضاً بتمويل بناء مسجد الصفاء في بيروت، وتولى الصدر إمامة هذا المسجد، حيث تمكن بذلك من خلال شخصيته ومكانته العلمية وامتداده الإيراني من أن يحظى برعاية القوى السياسية والرؤساء، واستطاع من موقعه الديني أن يتحكم في تأثيرات اللعبة السياسية وأنشأ حركة شعبية عرفت (بحركة المحرومين)^(٤).

ومن هنا يمكننا القول بأنه: تعددت العلاقات بين كل من إيران ولبنان واختلفت مجالاتها وأهدافها لكلا البلدين، وفي هذا الإطار يمكننا توضيح الآتي:

الدوافع الداخلية :-

وهي تتمثل في حاجة إيران الملحة إلى تقوية الجبهة الداخلية لها والالتفاف حول هدف واحد وهو مناصرة الجماعات الشيعية المضطهدة على حد تعبيرهم، حيث تكمن الرغبة الخفية وراء هذا الهدف والتي تتعلق بالحفاظ على الهيكل العام للنظام السياسي الذي وضعت الثورة الإسلامية الإيرانية والذي جاء على قمته المرشد الأعلى، ولهذا تبنت الثورة الإيرانية بعض الشعارات الدينية من أجل كسب تعاطف الشعوب العربية بالمنطقة^(٥)، كما جعل النموذج الإيراني الثورة هي النموذج الأمثل لنصرة الإسلام ومن ثم تقوية النظام داخليا وتوفير كامل الأمان له.

ومن ناحية أخرى حققت تلك الشعارات رواجاً قاعدة شعبية هائلة بين شعوب المنطقة في بداية الأمر، وتم اعتبارها قدوة تحتذي بها من قبل شعوب الدول العربية، ومن هنا وبعدما وجدت إيران أرضية خصبة لنفسها للتحرك والانتشار من خلال الشعارات الدينية السابق ذكرها، عملت إلى إنشاء مجموعة من الحركات المؤيدة لها في العالم العربي، وقامت بإنشاء حزب الله في لبنان والحركة الحوثية في اليمن^(٦).

الدوافع الإقليمية:

وهذا الجانب يتعلق في الأساس بتوسيع وتقوية النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط كاملاً، من خلال:

- 1- تصدير الثورة الإيرانية إلى دول الإقليم ، لتعزيز وتقوية النفوذ الإيراني في العالم العربي، وأيضا محاصرة المشروعات الأخرى التي تمكن من احتواء الدور الإيراني.
 - 2- نشر التشيع والذي كانت لبنته الأساسية تتمثل في الاعتماد على الطوائف الشيعية الموجودة في العالم العربي لتحقيق هذا الهدف ، وهذا يستهدف بالتطبع إلى تكوين كيانات شيعية قوية في الدول العربية لمساندة السياسات الإيرانية في المنطقة.
- ويمكن التذليل على ذلك من خلال: حرب حزب الله الذي ينخرط في سوريا بأمر مباشر من ولاية الفقيه في طهران، ولمزيد من التوضيح يعد حزب الله الذراع العسكري الأول لإيران في الوطن العربي، وهذا يظهر واضحا من خلال الدور الإيراني في إنشاء الحزب المنبثق عن حركة أمل اللبنانية، وأيضا في البيان التأسيسي لنشأة الحزب، حيث يعكس الهوية الإيرانية - لحزب الله^(٧).

١ - العلاقات الإيرانية العراقية ١٩٨٠-١٩٨٨^(٨)

لقد تسبب الحدث الأول في جعل أولويات إيران هي الصمود في تلك الحرب والدفاع عن نفسها، وساءت علاقات إيران مع معظم الدول العربية بسبب تلك الحرب، وذلك لوقوفها بجانب العراق ودعمها لها بكافة الوسائل الحربية، وكان من الممكن ألا تهتم إيران بتطوير علاقاتها مع لبنان بسبب عدم وجود أي دور لها في هذه الحرب، كما كانت لبنان في تلك الأونة لاتزال تعيش مخاض الحرب الأهلية، ولم تكن مؤسساتها صالحة للتدخل بأي شكل من الأشكال في تلك الحرب، حيث كانت في حالة من الضعف والإنهاك.

٢ - الاجتياح الإسرائيلي للبنان:

لقد قلب هذا الحدث موازين الأحوال اللبنانية رأسا على عقب، حيث خرجت منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان واحتلت إسرائيل العاصمة بيروت.

ولكن من ناحية أخرى قامت إيران بتشجيع لبنان، وأفتى قائد الثورة الخميني بتشكيل مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ومن ثم بعد عام ١٩٨٢ ارتكزت علاقات إيران مع القوى الغير رسمية في لبنان أي القوى المناهضة للاحتلال الإسرائيلي، وذلك بداية من حزب الله الذي تأسس مؤخرا كحركة مقاومة، إلى الأحزاب اللبنانية الأخرى التي قامت طهران باستقبالها في زيارات عدة. في هذه الأونة كان دور الدولة الرسمي هو الدور الأضعف والأقل تأثير وفاعلية، وأثناء اتفاق الطائف وقفت إيران إلى جانب القوى المناهضة لهذا الاتفاق، مما أدى إلى قطع العلاقات الرسمية مع لبنان، ولقد تزامن اتفاق الطائف في لبنان مع توقف الحرب العراقية الإيرانية، ونتج عن هذا الاتفاق نهاية الحرب الأهلية، وبداية طريق جديد في شكل العلاقات الإيرانية اللبنانية، حيث بعد ذلك الاتفاق أصبحت العلاقات الإيرانية أكثر ثباتا ووضوحا مع لبنان كدولة، وقد قامت طهران بتوقيع عشرات الاتفاقيات مع لبنان في كافة المجالات ، وكذلك احتفظت طهران بكامل علاقاتها مع القوى الغير رسمية المناهضة في لبنان وفي مقدمتها حزب الله وظلت العلاقات الإيرانية اللبنانية محتفظة بمستوى من الاستقرار حتى تم اغتيال الرئيس الحريري عام ٢٠٠٥، ومن هذا الحدث حدث بعض الانقسام في

السلطة بلبنان^(٩) ، مما أدى إلى أخذ مواقف متشددة مع إيران وتم اتهامها بالتدخل في شؤونها، ولكن ما لبثت أن عادت العلاقات اللبنانية الإيرانية إلى الاستقرار مرة أخرى بعد عودة التفاهم بين سوريا ولبنان عام ٢٠١٠ ، ولقد تم تبادل الزيارات من المسؤولين في كلا الدولتين وتوقيع اتفاقيات عدة في كافة المجالات.

- مراحل تطور النفوذ الإيراني في لبنان:

1- قبل اتفاق الطائف : حيث كانت لبنان تعاني حرب أهلية شديدة اندلعت عام ١٩٧٥ ودامت لأكثر من ١٥ عام ، وفي نفس الوقت قامت الثورة الإيرانية ، وبعد نجاحها وتشكيل النظام السياسي الإيراني اتجهت طهران نحول دول الإقليم ومن بينها لبنان كما وضحنا سابقا أهمية لبنان بالنسبة إليها ، حيث كانت تمتلك طائفة شيعية كبيرة في ذلك، الوقت ، و استغلت طهران الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ فقامت بإرسال مجموعة كبيرة من الحرس الثوري إلى وادي البقاع في لبنان ، وتم اتصال هذه المجموعة بالتيار التابع لطهران داخل حركة أمل ، واتفاقهم على تشكيل حزبا جديدا تابعا لنظام ولاية الفقيه الإيراني ، فحدث انشقاق حزب الله عن حركة أمل وتم الإعلان عن تأسيسه عام ١٩٨٥ . ومنذ ذلك التاريخ وحزب الله يتلقى دعما إيرانيا في كل المستويات المالية والإعلامية والسياسية والعسكرية.^(١٠)

2- عقب اتفاق الطائف:

لقد تطور النفوذ الإيراني بعد هذا الاتفاق عام ١٩٨٩ ، والذي نتج عنه انتهاء الحرب الأهلية وتم نزع السلاح من كل الميليشيات المسلحة ماعدا حزب الله لم ينزع منه السلاح باعتبار أنه حركة مقاومة، لذا استغلت طهران هذا الوضع لتقديم المزيد من الدعم لحزب الله.^(١١)

وبالرغم من ذلك فقد تعثر النفوذ الإيراني في لبنان قليلا في تلك الفترة، وذلك بسبب الصدمات بين حركة أمل السورية في لبنان المعارضة للسياسات الإيرانية في لبنان وحزب الله، واستمرت تلك الصدمات لمدة ١٠ سنوات ثم انتهت لصالح حزب الله.

3- بعد انسحاب سوريا من لبنان تعمق الدور الإيراني في لبنان بعد اتفاق الطائف والاتفاقيات التي جرت مع النظام السياسي السوري وخاصة بعدما تولى بشار الأسد رئاسة دمشق عام ٢٠٠٠ ، ولذلك أصبح النفوذ الإيراني في لبنان في مأزق شديد بعد انسحاب سوريا من لبنان عقب تفجير موكب رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري ، حيث أن إيران كانت تعتمد بصورة مباشرة على الحليف السوري لتقوية نفوذها داخل لبنان ، ولهذا فقد حاولت طهران تعويض ذلك من خلال الدعم الأقوى لحزب الله ماليا وإعلاميا وفنيا وعسكريا ضد العدوان الإسرائيلي.

الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥ الأزمة والنظام

بدأت عوامل الحرب الأهلية بالنضوج مع أواخر الستينات من القرن العشرين وعلى امتداد النصف الأول من السبعينات، كان الوضع اللبناني قد دخل طوراً جديداً، طور الأزمة الاجتماعية المستقطلة بفعل استفحال تناقضات النظام الاقتصادي المتبع، وما بدأ يولده من آثار

سلبية مدمرة على الاقتصاد الوطني ككل في إطار انعدام التوازن بين قطاعاته وتبعيته
المتزايدة للسوق الرأسمالية العالمية^(١٢).

لذا كان من الطبيعي أن تشهد الأزمة الاقتصادية الاجتماعية بدء عملية انتقال من مستوى
التعبير المطلي المتناثر المفكك لفئات اجتماعية يصوغ كل منها مطلبه من موقعه المنعزل الى
مستوى التعبير المترابط عن هذه المطالب في سياق حركة شعبية عامة كان كل نمو تحققة
يدفع نضالاتها الاقتصادية الاجتماعية خطوة نحو التأسيس، أي نحو التحول من الصعيد
المطلي الى الصعيد السياسي العام^(١٣).

إن هذا الشكل الطائفي للحرب، رغم الافتعال الواضح فيه، ليس طارئاً بل تبلور بفعل ما
كرسه ميثاق ١٩٤٣، من تقاسم للسلطة وللمواقع الأساسية فيها، ومن تقاسم للبلاد، تبلور في
تمايز واضح برزت فيه امتيازات بشكل عام لفريق طائفي دون آخر وعلى حسابه، ولمناطق
ذات لون طائفي معين دون مناطق من لون طائفي آخر وعلى حسابه الأمر الذي رسخ الشكل
الطائفي للصراع السياسي، وعمقه وأعطاه هذه الاستقلالية النسبية عن محتواه السياسي،
وطبيعي أن نرى أن هذا الانقسام في ظل الامتيازات من جهة، والحرمان من جهة ثانية، التي
ترافقه، بين الطوائف والمناطق لا يلغي أساس الانقسام، ولا يلغي الفروق بين الفئات
الاجتماعية داخل كل هذه الطوائف، أي كان وضعها وموقعها في الانقسام وفي الحصص^(١٤).

فقد شهدت معظم المناطق والطوائف تبدلات سكانية هامة إثر الصدمات الدموية إذ نزح قسم
كبير من مختلف الطوائف اللبنانية إبان الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥) والتي لم تعرف فيها
الطوائف استقراراً أكيداً لأنها معرضة في معظمها للاقتلاع من الأراضي التي تسكنها منذ
مئات السنين^(١٥).

حتى أخذت كل فئة تشكل مليشيا وجيش خاص بها وتجاوز عدد هذه الميليشيات أكثر من
خمسین تنظيم لكل تنظيم مصادر تمويله الخاصة والدعم الدولي والإقليمي الخاص به والذي
يمثل توجهات وأيدولوجيات مختلفة وهذه التنظيمات هي:

- ١ - أفواج المقاومة الإسلامية (أمل)
- ٢ - اتحاد قوى الشعب العامل.
- ٣ - التجمع الشيوعي الثوري.
- ٤ - التنظيم الشعبي الناصري في لبنان.
- ٥ - الجبهة اللبنانية.
- ٦ - الجهاد الإسلامي لتحرير فلسطين.
- ٧ - [الحرس الشعبي \(لبنان\)](#).
- ٨ - [الحركة اللبنانية لدعم فتح](#).
- ٩ - [الحركة الوطنية اللبنانية](#).
- ١٠ - [الحزب التقدمي الاشتراكي](#).
- ١١ - [الحزب السوري القومي الاجتماعي](#).
- ١٢ - [الحزب السوري القومي الاجتماعي في لبنان](#).

- ١٣ - [الحزب الشيوعي اللبناني.](#)
- ١٤ - [الحزب العربي الديمقراطي.](#)
- ١٥ - [الفصائل المسلحة الثورية اللبنانية.](#)
- ١٦ - [القوات اللبنانية.](#)
- ١٧ - [القوات اللبنانية - القيادة التنفيذية.](#)
- ١٨ - [تيار المردة.](#)
- ١٩ - [جبهة الأحزاب الوطنية والقومية.](#)
- ٢٠ - [جبهة التحرير الفلسطينية.](#)
- ٢١ - [جبهة الرفض.](#)
- ٢٢ - [جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية.](#)
- ٢٣ - [جماعة الجهاد الإسلامية اللبنانية.](#)
- ٢٤ - [جماعة زحلة.](#)
- ٢٥ - [جيش التحرير الزغرتاوي.](#)
- ٢٦ - [جيش التحرير الشعبي \(لبنان\).](#)
- ٢٧ - [جيش التحرير الفلسطيني.](#)
- ٢٨ - [جيش لبنان الجنوبي.](#)
- ٢٩ - [جيش لبنان الحر.](#)
- ٣٠ - [جيش لبنان العربي.](#)
- ٣١ - [حراس الأرز.](#)
- ٣٢ - [حركة ٢٤ أكتوبر.](#)
- ٣٣ - [حركة التوحيد الإسلامي.](#)
- ٣٤ - [حركة السادس من فبراير.](#)
- ٣٥ - [حركة الشباب اللبنانية.](#)
- ٣٦ - [حركة الناصريين المستقلين - المرابطون.](#)
- ٣٧ - [حركة الوندويين الناصريين.](#)
- ٣٨ - [حزب البعث العربي الاشتراكي \(لبنان\).](#)
- ٣٩ - [حزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان.](#)
- ٤٠ - [حزب الكتائب اللبنانية.](#)
- ٤١ - [حزب الله.](#)
- ٤٢ - [حزب النجادة.](#)
- ٤٣ - [حزب الوطنيين الأحرار.](#)
- ٤٤ - [حزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي.](#)
- ٤٥ - [قوى الكتائب النظامية.](#)
- ٤٦ - [منظمة التحرير الفلسطينية.](#)
- ٤٧ - [منظمة العمل الشيوعي في لبنان.](#)

٤٨ - ميليشيا الشباب (لبنان)

٤٩ - ميليشيا نمور الأحرار ^(١٦)

ولقد لعب الوجود السكاني الداخلي، بوجهه الطائفي في مناطق معينة، دوراً أساسياً في الصدمات المحلية التي تطورت بسرعة تبعاً للتوازنات الطائفية المحيطة أو البعيدة كما لعب الشعور الطائفي دوراً هاماً في تكثيف الطوائف على امتداد الرقعة الجغرافية اللبنانية كلها، إذ صور لأبناء هذه الطوائف ان مصير الطائفة كلها مهددة بالزوال ولا بد من نجدة الضعفاء من أبنائها المحاصرين بالعدو الطائفي في أية منطقة لبنانية^(١٧).

التوجهات الإيرانية وأثرها على المشرق العربي ١٩٧٩-١٩٩٠

١. الخليج العربي:

يفرض القرب الجغرافي على دول الخليج العربي وطهران التفاعل تجاه القضايا والمستجدات المختلفة في بيئتها الإقليمية، وقد اخذ هذا التفاعل أشكالاً متنوعة من الصراع مروراً بالتنافس وصولاً الى التعاون الحذر، وقد كان ظهور مجلس التعاون الخليجي كإطار يجمع دول الخليج ردة فعل على التحولات في المحيط الإقليمي^(١٨).

حيث تم إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربي في أيار مايو ١٩٨١ وتألف من ست دول هي المملكة العربية السعودية والكويت وعمان وقطر والبحرين والإمارات، والمجلس عبارة عن تجمع كونفدرالي لمجموعة من الدول المحافظة هدفه الأساسي تعزيز امن الدول الأعضاء، لذلك فان تأسيس هذه المنظمة في أعقاب الثورة الإيرانية لم يكن من قبيل الصدفة^(١٩).

ظهر المجلس لمواجهة التحديات التي فرضتها الظروف المحيطة بالمنطقة ولعل من أبرزها سقوط نظام الشاه بعد الثورة الإيرانية، وهو ما فرض الكثير من التحديات على دول المنطقة وخصوصاً دول الخليج العربي والتي كان من أهمها القلق الأمني من مسألة تصدير الثورة^(٢٠).

مع قيام الثورة الإيرانية وما رافقها من تغيرات كلية في السياسة الخارجية شهدت المرحلة توترات بالغة في العلاقات بسبب سياسات تصدير الثورة وتزعم العالم الإسلامي، وما مثله هذا الأمر من مخاطر على المملكة العربية السعودية وكذلك بسبب الحرب مع العراق^(٢١).

لبنان أهمية كبيرة في تعزيز النفوذ الإيراني في المنطقة والمتمثل بدعم حزب الله، إذ يمكن إيران من التأثير في عدد من القضايا كالصراع مع إسرائيل والساحة اللبنانية.

فتصاعد العقوبات الدولية على ايران وتعدد محاور عزلها عن العالم أو التهديد بضررها جعل طهران اكثر تمسكاً بالأوراق القوية التي تملكها في المنطقة ومنها لبنان، حيث قام الحزب بتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكافة مضامينها الدينية والاجتماعية الى البيئة اللبنانية وتكون البيئة الشيعية غير التابعة للولي الفقيه الهدف الأول، كما يقوم الحزب باستخدام القوة الناعمة للترويج للحزب على نطاق الوطن العربي باسره كخطوة أولى، وكون الحزب لبنانياً والعدو

المفترض لإسرائيل فهذا يسهل كثيراً من مهمة ايران في الاختراق خاصة مع إرجاع قوة حزب الله لإيران^(٢٢).

كما أن وجود حزب الله بذاته وكونه مرتبطاً بإيران موطن قدم للسياسة الإيرانية التي تسعى الى استغلال مسألة معادتها لإسرائيل دون اصطدامها بها على الرغم من بعدها الجغرافي ويشكل ورقة مهمة للمساومة على أي وضع من الأوضاع المصيرية المتعلقة بإيران. حيث أن تحالف إيران مع حزب الله يسمح لطهران بإطالة جغرافية وسياسية وعسكرية على شمال إسرائيل، إضافة الى ذلك تعتبر الساحة اللبنانية في حد ذاتها ميداناً لتنافس الأدوار خاصة بين إيران والسعودية، وهو ما انعكس في حالة الاستقطاب بين القوى اللبنانية وانقسامها، وتعاضم قوة الحزب أدت الى تعاضم تأثيره على الساحة اللبنانية مما جعل إيران المؤثر الأول والمركزي على مجريات العملية السياسية في لبنان.

ومن خلال هذا انه عبر المراحل المختلفة التي شهدتها العلاقات بين إيران ودول الخليج لم تستقر على رؤية واحدة لما تمثله إيران بالنسبة إليها، هل هي عامل قوة أم مصدر تهديد؟ وقد برز الاختلاف في الرؤى الخليجية في مناسبات عديدة تأثراً بمتغيرات ديموغرافية وسياسية وتاريخية تختلف من قطر الى آخر، في داخل القطر ذاته من مرحلة الى أخرى، وهكذا فانه في غياب رؤية خليجية مشتركة ومصالح واحدة لدى دول مجلس التعاون لم تتبلور ردود واحدة تجاه السياسة الإيرانية في الخليج^(٢٣).

تميزت السياسات الأمنية والخارجية لإيران فيما يتعلق بمنطقة الخليج بثوابت معينة، وتتمحور أولى تلك السمات حول المكانة العسكرية والدبلوماسية الكبيرة التي تحتلها ايران في منطقة الخليج ذاته، وهناك العامل السعودي أي وضع المملكة السعودية ومساعدتها في المنطقة، والذي ترى طهران ان له نفس القدر من التأثير على دبلوماسيتها الإقليمية إضافة في الوقت ذاته الى الوجود العسكري الأمريكي، لذلك ترى طهران ان المسائل المتعلقة بالمواقف والنوايا السعودية على المستوى الدبلوماسي والأمريكي وعلى المستوى العسكري، تؤثر على طبيعة واتجاهات علاقتها الإقليمية^(٢٤).

بدأت العلاقات الرسمية بين ايران والمملكة العربية السعودية منذ العام ١٩٢٨ ولم تكن دائماً في احسن أحوالها، بسبب المؤثرات الإقليمية لاسيما بعد الثورة الإيرانية، وتطورت العلاقات في ظل تأثير نوعين من القوى السياسية الإيرانية حددت بقوة شكل السياسة الإيرانية تجاه المملكة العربية السعودية، هما المؤسسة الدينية المتأثرة بالخلاف من الحركة السلفية، أما القوة الأخرى والتي تبدو اكثر حضوراً في متابعة العلاقة مع السعودية فهي القوة العسكرية والأمنية والتي يرتبط تقييمها في العادة بالتحالفات الأمريكية في المنطقة^(٢٥).

تأثير إيران على المقاومة الفلسطينية

كان لشاه إيران علاقات وطيدة مع إسرائيل انعكست على سلوكه الخارجي تجاهها، وباندلاع الثورة تغيرت العلاقة حيث احتلت القضية الفلسطينية مكانة خاصة في السياسة الخارجية الإيرانية، وقد صرح الخميني في أكثر من مناسبة بان كل سياسات إيران لا قيمة لها ان لم يكن

لها إسهام في القضية الفلسطينية، فسحبت إيران اعترافها بإسرائيل وطردت بعثتها الدبلوماسية وحولت مقرها الى منظمة التحرير الفلسطينية وكان ياسر عرفات أول زائر لطهران بعد الثورة وصرح قائلاً بأن إيران بدت وكأنها العمق الاستراتيجي للقضية الفلسطينية^(٢٦).

حيث تبنت إيران منذ انتصار الثورة عملية أسلمة الصراع العربي الإسرائيلي لأن هذه الاسلمة ستتيح لإيران موقعاً مركزياً في توازنات القوى في المنطقة، وقد أدى هذا الى فتور العلاقات بين إيران وعرفات وزاد في الفتور موقف منظمة التحرير الفلسطينية المؤيد للعراق في حربته مع إيران^(٢٧).

ومن الناحية السياسية فقد حققت إيران عدة مكاسب من خلال ملف حزب الله والمقاومة الفلسطينية والحرب على إسرائيل منها:

- ١ - جذب شرائح عربية متعاطفة مع القضية الفلسطينية لتأييد إيران.
- ٢ - ردع المخالفين للسياسة الإيرانية في المنطقة، اذ كلما واجهت إيران انتقاداً لتمدد حضورها الإقليمي شهرت بعجز الدول العربية عن اجترار حلول للقضية الفلسطينية.
- ٣ - اسلمة القضية الفلسطينية تمكن إيران من لعب دور في الصراع وتبعد عنها الاتهامات بالطائفية التي تحد من دورها وتمدده.
- ٤ - التضامن مع قضية فلسطين يمهد الطريق لإيران كي تنزع المنطقة.
- ٥ - إجبار الولايات المتحدة الأمريكية على الاعتراف بإيران كقوة إقليمية لأن إيران تستطيع التأثير في اهم مصلحتين لواشنطن تدفق النفط وإسرائيل.
- ٦ - تعزيز المشروع الايدولوجي السياسي لإيران ومعه الجبهة الداخلية خلف النظام.^(٢٨)

تدرك إيران مركزية القضية الفلسطينية في المنطقة، لذلك سعت بكل السبل لأن تكون طرفاً فاعلاً فيها سواء من خلال الخطاب الثوري أو من خلال الدعم المالي والعسكري في ظل الفراغ العربي، وانعكس هذا الدور على المنطقة في شكل استقطاب سياسي، كما استفادت إيران من توظيف هذا الدعم للمساومة والضغط على المنافسين الإقليميين^(٢٩).

الخاتمة :

يمثل لبنان بحكم موقعه الجغرافي المهم مكان لصراع النفوذ بين الأمم والدول المختلفة وعلى مر العصور والتاريخ، وقد ساهم تنوعه الاثني والطائفي الذي يساعد على هذا الصراع، حيث تنتوع المذاهب والأديان فيه بين المسلمين وطوائفهم من (السنة والشيعية والعلويين والإسماعيليين) إضافة الى الديانة المسيحية وما تشمله من طوائف (الموارنة والروم الأرثوذكس، والأرمن الأرثوذكس، والأرمن الكاثوليك والسريان الأرثوذكس، الكلدان والإنجيليين، والأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك، اصف الى ذلك الدروز وانقسامهم الى قسمين الدروز والارسلانيون.

اضف الى هذه الانقسامات الداخلية الأهمية الجغرافية التي يمثلها لبنان بحكم الموقع والذي ترى فيه الدول انه بوابة لها أو صمام أمان لها كل وحسب وجهة نظره فنجد سوريا تعتبره صمام أمان لها وان أي تدخل عسكري في لبنان يؤدي الى سقوط العاصمة السورية دمشق

حسب المفاهيم العسكرية فكان لزاماً على سوريا ان تعمل وفق مصالحها القطرية في ذلك
اضف الى ان إسرائيل تجد في لبنان في حالة كونه قوي وموحد خطر على حدودها الشمالية،
في حين وجدت الدول الإقليمية فيه بعداً استراتيجياً لتحقيق أهداف وطموحات في المنطقة
مستفيدة من موقعه الجغرافي ومن الفسيفساء الطائفية والإثنية التي يتشكل منها لبنان فأخذت
كل دولة تدفع بالواجهة التي تمثلها.

ولا نبالغ ان قلنا ان هذه الإثنيات والطوائف قد انقسمت أيضاً الى تيارات حزبية تمثل التيارات
القومية المختلفة فظهر التيار الناصري والتيارات العروبية والتيارات الشيوعية والتيارات
الدينية والتي تمثل طوائف المجتمع اللبناني.

كذلك الفصائل المسلحة الفلسطينية والمنضوية تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية وما تمثله
من تهديد للكيان الصهيوني المغتصب.

أضف الى ذلك الدور التاريخي للمستعمر الفرنسي وما خلفه من آثار اجتماعية وأحقاد بين
الطوائف المختلفة فكان لزاماً لما وصل إليه الوضع وللأسباب السابقة أن ينشب الصراع بين
هذه الطوائف والمكونات واخذ كل واحد منها يبحث عن جهات أخرى تموله وتدعمه في هذه
الحرب، هذه الحرب التي استمرت لأكثر من عقد من الزمان والتي تعتبر من أطول حروب
القرن المنصرم وما شهدته من مآسي وويلات وتدخلات خارجية تمثلت بالاجتياح الإسرائيلي
للبنان عام ١٩٨٢، حتى وضعت الحرب أوزارها بعقد اتفاق الطائف بين الجهات المتنازعة
لتطوى صفحة الحرب الأهلية اللبنانية.

الهوامش :

١. جيمس بيل، سياسة الهيمنة، ٢٠٠٣، الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، مجلة دراسات
عالمية (إيران والعراق) العدد ٤٨، منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث
الاستراتيجية، ط ١. ص ٥٢.
٢. عبد العزيز الدوري، العلاقات العربية الإيرانية. الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل،
بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١.
٣. خالد عبد الحميد مسعود، الثورة الإيرانية وشرعية النظم السياسية العربية، رسالة
ماجستير، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٥.
٤. شيماء علي قناوي، محددات القوة العسكرية لإيران ١٩٧٩-٢٠٠٧، رسالة ماجستير،
جامعة القاهرة ٢٠٠٩، ص ٢٠ وما بعدها.
٥. أحمد ثابت، العرب وإيران هيمنة الأمن وفراغ القوة، المؤتمر السنوي الخامس للبحوث
السياسية.

٦. المصدر نفسه.
٧. خليجي مهدي، الظلال الإيراني على الحكومة اللبنانية، المشهد السياسي، ٢٠٠٦.
٨. نادية محمود مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة الى منظور جديد، السياسة الدولية عدد، ٨٢، أكتوبر ١٩٨٥.
٩. علاء محمد العبد مطر، أيولوجية الثورة الإيرانية وأثرها على توجهات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول الخليج العربي ١٩٧٩-٢٠٠٣، رسالة ماجستير، القاهرة، معهد البحوث والاستراتيجيات العربية ٢٠٠٤، ص ٣٠ وما بعدها.
١٠. سلطان محمد النعيمي، الفكر السياسي الإيراني من قيام الثورة الإيرانية وحتى عام ٢٠٠٠، رسالة دكتوراه، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٠ وما بعدها.
١١. المصدر نفسه، ص ٢٥ وما بعدها.
١٢. تاريخ لبنان الطائفي، د. علي عبد فتوني، دار الفارابي، بيروت- لبنان ط ١، ٢٠١٣، ١٢٤.
١٣. الحرب وتجربة الحركة الوطنية اللبنانية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٢١.
١٤. دروس واستنتاجات أولية في حرب أهلية لم تنته، كريم مروة، مجلة الطريق، العدد الرابع، كانون الأول ١٩٨٣، ص ١٧.
١٥. مسعود ضاهر، عن السلطة الطائفية في الحرب الأهلية اللبنانية، مجلة الطريق، العدد الرابع، كانون الأول ١٩٨٣، ص ٩٣-٩٤.
١٦. للمزيد من التفاصيل ينظر ويكيبيديا على الموقع:
https://ar.wikipedia.org/wiki/تصنيف:فصائل_في_الحرب_الأهلية_اللبنانية
١٧. تاريخ لبنان الطائفي، د. علي عبد فتوني، دار الفارابي، بيروت- لبنان ط ١، ٢٠١٣، ص ١٢٧.
١٨. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤، ص ١٥١.

١٩. جمال سند السويدي وآخرون، إيران والخليج البحث عن الاستقرار، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ١٩٩٦، ص١٤٦.
٢٠. محمد وائل القيسي، دول مجلس التعاون الخليجي بين النفوذ الأمريكي والتحديات الإيرانية، مجلة آراء حول الخليج، مركز الخليج للأبحاث، الإمارات، العدد ٩٠ مارس، ٢٠١٢، ص٦٤.
٢١. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤، ص١٥٣.
٢٢. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤، ص١٩٤.
٢٣. أحمد محمد طاهر، العلاقات الخليجية الإيرانية نظرة مستقبلية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، العدد ١٤٦، أكتوبر، ٢٠٠١، ص٥١.
٢٤. مهران كامرو وآخرون، علاقات الخليج الدولية تقرير موجز، قطر، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، كلية الشؤون الدولية بجامعة جورجتاون في قطر، ٢٠١٠، ص١٤.
٢٥. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤، ص١٥١.
٢٦. ايناس عبد السادة والهام عطية عواد، القضية الفلسطينية في منظار السياسة الخارجية الإيرانية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦، كانون الأول، ٢٠٠٧، ص٢.
٢٧. مصطفى اللباد، إيران والقضية الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٤، ربيع ٢٠١٣، ص٨٠.
٢٨. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤، ص٢٠٠.
٢٩. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤، ص٢٠٠.

المصادر :

١. أحمد ثابت، العرب وإيران هيمنة الأمن وفراغ القوة، المؤتمر السنوي الخامس للبحوث السياسية.
٢. أحمد محمد طاهر، العلاقات الخليجية الإيرانية نظرة مستقبلية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، العدد ١٤٦، أكتوبر، ٢٠٠١.
٣. ايناس عبد السادة والهام عطية عواد، القضية الفلسطينية في منظار السياسة الخارجية الإيرانية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦، كانون الأول، ٢٠٠٧.
٤. تاريخ لبنان الطائفي، د. علي عبد قنوني، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ٢٠١٣.
٥. جمال سند السويدي وآخرون، إيران والخليج البحث عن الاستقرار، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ١٩٩٦.
٦. جيمس بيل، سياسة الهيمنة، ٢٠٠٣، الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، مجلة دراسات عالمية (إيران والعراق) العدد ٤٨، منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١.
٧. الحرب وتجربة الحركة الوطنية اللبنانية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
٨. خالد عبد الحميد مسعود، الثورة الإيرانية وشرعية النظم السياسية العربية، رسالة ماجستير، القاهرة، ١٩٩٢.
٩. خليجي مهدي، الظلال الإيراني على الحكومة اللبنانية، المشهد السياسي، ٢٠٠٦.
١٠. دروس واستنتاجات أولية في حرب أهلية لم تنته، كريم مروة، مجلة الطريق، العدد الرابع، كانون الأول ١٩٨٣.
١١. سلطان محمد النعيمي، الفكر السياسي الإيراني من قيام الثورة الإيرانية وحتى عام ٢٠٠٠، رسالة دكتوراه، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٠ وما بعدها.
١٢. السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، شنين محمد المهدي، ٢٠١٤.
١٣. شيماء علي قناوي، محددات القوة العسكرية لإيران ١٩٧٩-٢٠٠٧، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ٢٠٠٩.
١٤. عبد العزيز الدوري، العلاقات العربية الإيرانية. الاتجاهات الراهنة وأفاق المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١.
١٥. علاء محمد العبد مطر، ايدولوجية الثورة الإيرانية وأثرها على توجهات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول الخليج العربي ١٩٧٩-٢٠٠٣، رسالة ماجستير، القاهرة، معهد البحوث والاستراتيجيات العربية ٢٠٠٤.
١٦. محمد وائل القيسي، دول مجلس التعاون الخليجي بين النفوذ الأمريكي والتحديات الإيرانية، مجلة آراء حول الخليج، مركز الخليج للأبحاث، الإمارات، العدد ٩٠ مارس، ٢٠١٢.
١٧. مسعود ضاهر، عن السلطة الطائفية في الحرب الأهلية اللبنانية، مجلة الطريق، العدد الرابع، كانون الأول ١٩٨٣.

١٨. مصطفى اللباد، إيران والقضية الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٩٤، ربيع
٢٠١٣.

١٩. مهران كامرو وآخرون، علاقات الخليج الدولية تقرير موجز، قطر، مركز الدراسات
الدولية والإقليمية، كلية الشؤون الدولية بجامعة جورجتاون في قطر، ٢٠١٠،

٢٠. نادية محمود مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة الى
منظور جديد، السياسة الدولية عدد، ٨٢، أكتوبر ١٩٨٥.

المواقع الإلكترونية:

- تصنيف:فصائل_في_الحرب_الأهلية_اللبنانية/https://ar.wikipedia.org/wiki/فصائل_في_الحرب_الأهلية_اللبنانية

سياسة مصر في عهد الرئيس محمد حسني مبارك تجاه حرب الخليج الثانية

م.د. ليث أحمد علي

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة :

شكل الاجتياح العراقي للكويت نقطة تحول في العلاقات العربية – العربية، بسبب قيام العراق باجتياح دولة الكويت وضمها اليه بالقوة المسلحة في بادرة هي الاولى من نوعها في تاريخ هذه العلاقات، ولقد كانت مصر محل الدراسة عنصراً مؤثراً ومتأثراً بهذا الاجتياح والحرب التي تلتها، بحكم دورها الريادي في العالم العربي، ووجود مقر جامعة الدول العربية فيها وعلاقتها المتشابكة مع اطراف الصراع، اذ كانت تحتفظ بعلاقات وثيقة مع العراق كونها عضواً في مجلس التعاون العربي، فضلاً عن علاقاتها الإيجابية مع الكويت وبقية دول الخليج العربي، و لموقعها الاستراتيجي في قلب منطقة الشرق الاوسط ووجود قناة السويس التي كانت معبراً لقوات التحالف الدولي المعادي للعراق الذي قادتته الولايات المتحدة الأمريكية التي ترتبط بها مصر في تحالف استراتيجي منذ عهد الرئيس محمد انور السادات والتي كان لها دور كبير في التأثير على الموقف المصري من الازمة والحرب.

المحور الأول: موقف مصر من الاجتياح العراقي للكويت

تدهورت العلاقات بين العراق والكويت والامارات العربية المتحدة، نتيجة لاتهام العراق لهاتين الدولتين بزياده الانتاج النفطي خارج السقف الذي حددته منظمة الاوبك اضافة الى اتهامه للكويت بالاستيلاء على جزء من أراضي حدودية تابعة للعراق، وبهدف احتواء الازمة أجرى الرئيس المصري محمد حسني مبارك اتصالات هاتفية مع الملك فهد ملك السعودية، الشيخ جابر الصباح امير الكويت، الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة لاحتواء الموقف وإيجاد حلول لهذه الازمة^(١)، وقال في خطابه بمناسبة ذكرى ثوره ٢٣ تموز ١٩٥٢ "ان الخلافات العربية سحابة صيف لا بد ان تنقشع لأننا كلنا اخوه".

ولقد كانت السياسة المصرية تجاه الازمه نتيجة لثلاثة عوامل دافعة لها هي مصالح مصرفي الخليج، رغبه مصر في لعب دور اقليمي أساسي، والضغط الذي تعرضت له من قبل الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

ولذلك أخذ الرئيس محمد حسنى مبارك قراراً بزيارة العراق والكويت من خلال عقد لقاء بينهما تحضره السعودية ومصر^(٢)، واستهل جولته بزيارة العراق في ٢٤ تموز ١٩٩٠ وكانت الإدارة الأمريكية قد زودته معلومات عن نية العراق القيام بعمل عسكري ضد الكويت، وقد التقى بالرئيس العراقي صدام حسين ومما ورد في الاجتماع قوله له " انا في اعتقادي أنه مهما كبرت حجم المشاكل بينكم وبين الكويتيين فنحن في النهاية جميعا عرب: وانا أقدر رأيك في ان تحل المسألة عربيا وان يتم القضاء على جذورها"^(٣). وقد قال صدام حسين لنظيره المصري "لن استخدام القوة العسكرية مادامت المفاوضات بين الكويت والعراق قائمة، وانما يا أخ مبارك، أرجو عدم الكشف عن ذلك للكويتيين لئلا يزدادوا غطرسة وادعاء"^(٤)، ورد الرئيس محمد حسنى مبارك قائلا "هل تقصد ان تواجد قواتك على الحدود الكويتية بقصد الردع والتخويف؟ فأجابه صدام... هذا ما اقصد بالضبط ولا اريد مهاجمة الكويت: اردت ان ابعث في نفوسهم الخوف والرعب حتى يجبروا على الاستجابة لمطالبنا المشروعة"^(٥). وتم الوصول الى تفاهم بين الطرفين لإجراء مباحثات في جدة في ٣١ تموز ١٩٩٠ بين وفدين عراقي وكويتي برعاية الملك فهد ملك السعودية^(٦). ومباشرة بعد انتهاء هذا اللقاء توجه الرئيس محمد حسنى مبارك الى الكويت وأبلغ اميرها الشيخ جابر الصباح "تأكدوا يا سمو الامير انني سمعت من فم صدام حسين انه لن يرسل قواته ولا ينوي مهاجمة الكويت"، الا انه لم يبلغهم قوله "طالما استمرت المفاوضات"^(٧).

يمكن الاستدلال بما مر أنفا أن الرئيس محمد حسنى مبارك تكونت لديه قناعة بتلقيه وعداً من الرئيس العراقي صدام حسين بعدم مهاجمة الكويت وهذا الامر ستكون له تداعيات على موافقه من الازمة.

وأثر الاجتياح العراقي للكويت في ٢ اب ١٩٩٠ اطلع الرئيس محمد حسنى مبارك على تقدير موقف تم اعداده من قبل مكتبه بالتعاون مع وزاره الخارجية والمخابرات العامة فحواه ما يلي^(٨):

١. أن اجتياح القوات العراقية للكويت كان من اللازم عدم استبعاد حصوله نتيجة للأوضاع الإقليمية والدولية، وسعي العراق في ان يكون قوه لديها الحضور الفاعل اقليمياً.

٢. أن العراق قد بيت النية مسبقاً لهذا الاجتياح، ولربما يكون أحد اسباب مشاركته في مجلس التعاون العربي الذي ضم العراق والاردن ومصر واليمن هو عزل سوريا وضمن اصطفاف مصر الى جانبهم.

٣. شكل هذا الاجتياح مساساً لمصالح مصر على أكثر من صعيد، اذ فرض عليها أن تختار بين مجلس التعاون العربي، وبين دول الخليج ذات الثروات الكبيرة والتي باستطاعتها تقديم العون لمصر.

٤. أن التدخل العسكري الاجنبي امر غير مستبعد وذلك لان الولايات المتحدة لديها مصالح نفطية واستراتيجية، وهذه المصالح لا تسمح لها بقاء احتلال العراق للكويت وبالتالي على الخليج وفيه ثلث احتياطات العالم من النفط.

٥. أن العراق سيسعى بمختلف الطرق لاحتواء رد الفعل المصري، ولربما سيحاول الاستفادة من علاقاتها مع الولايات المتحدة لتهدئة الأخيرة.

٦. أن من الواجب على مصر احتواء الازمة بكل ما هو متيسر لها من طاقات بشكل يسمح للعراق بسحب قواته من الكويت على وجه السرعة، مع المحافظة على ماء وجهه ان كان فعل ذلك، ومن الملزم لمصر تجنيد العالم العربي لتحقيق تلك الغاية.

وانعكاساً لتلك الرؤية استنكرت مصر غزو العراق للكويت وطالبته بسحب قواته منها وقادت جبهة الممانعة العربية لهذا الاحتلال^(١٠). أذ اصدرت وزارة الخارجية المصرية بياناً في ٢ اب ١٩٩٠ جاء فيه^(١١):

"أولاً: انسحاب القوات العراقية من الاراضي الكويتية

ثانياً: الكف عن محاوله تغيير نظام الحكم في الكويت بالقوة، وترك الشؤون الداخلية للكويت للشعب الكويتي الشقيق يقررها بإرادته الحرة وقراره المستقل
ثالثاً: ارتباط البلدين باتباع اسلوب محدد لتسوية الخلافات القائمة بينهما بالطرق الودية والمفاوضات السلمية".

وفي ذات اليوم التقى كل من الرئيس محمد حسني مبارك والملك حسين ملك الاردن في اجتماع في مدينة الإسكندرية ويقول الرئيس محمد حسني مبارك عن هذا الاجتماع "اقترحت عقد مؤتمر قمة عربي مصغر في جده في غضون أيام قليلة يحضره خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، والرئيس صدام حسين، وبعض الرؤساء العرب الاخرين. وكان هدفي من عقد هذا المؤتمر وهو بادرة مني- الاتفاق على خطوات يخرج بها العراق من

المأزق الذي وقع فيه مع حفظ ماء وجهه على اساس ان يخبرنا الرئيس العراقي دون علانية على انه يوافق على مبدا الانسحاب من الكويت وعوده الشرعية اليه قبل ان ادعو الى هذا المؤتمر حتى يطمئن قلبي، لاني لو دعوت الى مؤتمر بدون هاتين النقطتين لم يستجاب لهذه الدعوة. وقد اتصلت اثناء وجود الملك حسين وامامه وفي قصر راس التين بالإسكندرية اتصلت بالرئيس صدام حسين وقلت له انني اتفقت مع الملك على مبدأ عقد قمة مصغرة على أساس نقطتين سوف يطلعه الملك عليهما عند زيارته الى بغداد في اليوم الثالث من أغسطس (أب) - اي في اليوم التالي للغزو.... وتوجه الملك حسين الى بغداد وقابل الرئيس صدام، وبعد عودته الى عمان اتصل بي الساعة الرابعة والنصف مساء في نفس اليوم وأخبرني ان الجانب العراقي قد وافق على حضور القمة المصغرة واستبشرت. خير سألت الملك عما إذا كان الرئيس صدام قد وافق على التعهد بالانسحاب من الكويت وعدم التعرض للحكومة الشرعية ولدهشتي البالغة اجابه الملك حسين بانه لم يبحث أي تفاصيل مع الرئيس صدام. وهكذا انهارت فكرة عقد المؤتمر من أساسها، ولم أستطع ان اتقدم بدعوة الى الرؤساء العرب للاجتماع^(١٢).

الا أنه يذكر في هذا السياق أن مصر أكدت على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق، ولم يصدر اي تصريح من قبل اي مسؤول مصري من قريب او بعيد على عكس ذلك، وتجلى ذلك في تصريحات جازمة له بانه لا تدخل في شؤون العراق الداخلية، وأن مصر اسست لرؤيتها للازمة الكويتية على رفض تدخل العراق في شؤون الأخيرة، وبالتالي ليس من المنطق قيامها بنفس الشيء مع العراق^(١٣).

يتضح من ذلك ان سياسة مصر من الازمة ارتكزت على محورين الاول ضرورة انسحاب العراق من الكويت بهدف المحافظة على علاقاتها القوية مع دول الخليج العربي والثاني رفض التدخل في شؤون العراق الداخلية من منطلق كونها عضواً في مجلس التعاون العربي.

وقد استقبل الرئيس محمد حسني مبارك رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في ٦ اب ١٩٩٠ الذي ابلغه انه أن الوقت ما يزال سانحاً لإيجاد حل عربي للازمة وأبدى الرئيس محمد حسني مبارك موافقته على ذلك وابلغه ان سوريا دعت الى عقد مؤتمر قمة عربي، مضيفاً أنه يرى توجيه دعوه لعقد مؤتمر في القاهرة أيضاً^(١٤). وبالفعل تم عقد مؤتمر القمة العربي في القاهرة لمدة ٩ - ١٠ اب ١٩٩٠ والقي الرئيس محمد حسني مبارك الكلمة الافتتاحية جاء فيها^(١٥):

أولاً: "أن الخيار امامنا واضح بين عمل عربي فعال يصون المصالح العليا للامة العربية ويحفظ لنا العراق والكويت معاً على اساس المبادئ التي ارتضيها فيصلاً بين المباح والمحرم وبين الحق والباطل، واما تدخل خارجي لا قول لنا فيه ولا سيطرة لنا عليه، ولا يمكن ان يكون المحرك عليه هو الحفاظ على كيان العرب وحقوقهم. بل انه سوف يسترشد بالضرورة بأهداف القوة التي تضطلع به وتسانده

ثانياً: أن المظلة العربية للخروج من هذا المأزق تمثل الخيار المأمون والمضمون الذي التزمنا به جميعاً بقبوله يوم وقعنا ميثاق جامعه الدول العربية.

ثالثاً: ...

رابعاً: أن مبدأ اللجوء الى القوة داخل الأسرة العربية هو مبدأ مرفوض بالنظر الى الخطورة التي يمثلها للنظام العربي كله. فهو يلغي تماماً مفهوم التضامن العربي ويضرب في مقتل فكره وحدة المصلحة والمصير، ويدفع العربي مرغماً الى التفكير بأخيه العربي على اساس انه قد يشكل خطراً عليه وعلى أمنه ومصالحه....

خامساً: أن مبدأ الاستيلاء على الارض بالقوة يشكل تهديداً جسيماً للامة العربية بالذات واضرار بقضاياها الأساسية".

كما اتخذ مؤتمر القمة العربي قراراً بأرسال قوات عربية لحماية السعودية، وفي اليوم التالي ارسلت مصر قواتها اليها تطبيقاً لهذا القرار"^(١٦).

لقد كانت المشاركة المصرية ثاني أكبر مشاركة عربية، ضمت الفرقة الثالثة ميكانيك، الفرقة الرابعة المدرعة، اللواء ٢٠ صاعقة، وبلغ مجموعها ٤٠ ألف مقاتل وأربعمئة الدبابة^(١٧). وبموازاة الحشد العسكري المصري فان مصر لم توقف جهودها الدبلوماسية لإيجاد مخرج للازمة إذا قام الرئيس محمد حسني مبارك في ١٩ آب ١٩٩٠ باستدعاء السفير العراقي في القاهرة، وطلب اليه نقل رسالة الى الرئيس العراقي صدام حسين تضمنت ثلاثة نقاط هي^(١٨):

١. على الرئيس العراقي اعادة بلورة موقفه من الازمه بهدف ايجاد حل لها.

٢. أبدى الرئيس محمد حسني مبارك استعداده للقيام باي اتصالات او مبادرات بهدف

ضمان خروجه من الازمة.

٣. أن الرئيس محمد حسني مبارك لديه القدرة على القيام بكل شيء يمنع سفك الدم في صراع

عربي -عربي. أعقبها رسالة اخرى بنفس الطريقة في ٢٣ اب ١٩٩٠ ورد فيها^(١٩):

١. أن الوحدات المصرية التي تم نشرها في السعودية كانت بطلب من الأخيرة وليس هنالك اي دور لدوله اخرى في هذا الامر.

٢. أن مصر لا تصوغ سياساتها الخارجية تنفيذا لإرادات اجنبية.

٣. أن الرئيس محمد حسنى مبارك لم يفقد الامل بتلبية العراق دعوات الدول العربية والمجتمع الدولي للانسحاب من الكويت وأن هذه الطريقة بإمكانها ان تجعل الرأي العام العالمي يغير موقفه منه.

فضلاً عن توجيه الرئيس محمد حسنى مبارك نداء الى الرئيس العراقي لسحب قواته من الكويت في ٢١ اب ١٩٩٠ جاء فيه "اناشد الرئيس صدام حسين ان ينقذ الانسان والكيان في عالمنا العربي من حرب مدمرة سوف تأكل الاخضر واليابس ولا يعلم الا الله كيف ستكون النهاية المفزعة إذا بدأت، وكم ستكون الاضرار والاطار إذا ما اندلعت النار لتعود بنا الي وراء كله ظلام وضياح.

أناشد الرئيس صدام حسين ان يتخذ القرار بانسحاب القوات العراقية من ارض الكويت لكي تعود الاوضاع الى ما كانت عليه. ان الاجماع العربي -العربي يتطلع اليك أن تقدم على هذه المبادرة التي سوف تكون موضوع تقدير العالم العربي وعلى مستوى العالم كله غربا وشرقا وشمالا وجنوبا. انني اتوجه اليك في هذا النداء في هذه الساعات الفاصلة الحاسمة الصعبة وكلية ثقة أنك ستستجيب اليه تقديرا منك المصلحة العربية العليا التي هي فوق كل اعتبار، ولن تكون الامة العربية هي الامة العاجزة عن حل مشكلاتها وتحقيق تضامنها واداء حقوقها بعقول ابنائها وقياداتها"^(٢٠).

وأجرى الرئيس محمد حسنى مبارك في الاسبوع الاول من تشرين الثاني ١٩٩٠ مباحثات مع الرئيس الفرنسي ووزيري خارجية الولايات المتحدة والصين وتم الاتفاق على ان تنفيذ الحصار الاقتصادي بشكل مطلق وشديد على العراق من قبل كافة دول العالم بأمكانه تجنيب فك الدماء ومنع اللجوء للخيار العسكري^(٢١).

المحور الثاني: موقف الحكومة والقوى السياسية المصرية من اندلاع الحرب

عندما اندلعت الحرب في ١٧ كانون الثاني ١٩٩١ رات القوى السياسية المصرية فيما عدا حزب الوفد والقيادة السياسية، ان مساعي التسوية السلمية لازمه الخليج التي سببها الاجتياح والاحتلال العراقي للكويت وسعيه لضمها بقوة السلاح، لم يتم بذل الجهد الكافي لحلها، وعزت

ذلك الى ان الولايات المتحدة الأمريكية ارادت التعجيل بشن العمليات العسكرية بهدف تحطيم
القدرة العسكرية العراقية^(٢٢).

أصدرت جماعة الاخوان المسلمين بياناً في ٢٢ كانون الثاني ١٩٩١ جاء فيه "حشد العدو
للعين حليف الصهيونية المتعطشة لسفك دماننا اعوانه وجيوشه ثم فتح ١/١٧ / ١٩٩١ نيراناً
متأججة تعصف في العراق واهله ومنشأته الحيوية تحاول ان تدمره أبشع تدمير. ان اطماع
التحالف الصليبي الصهيوني الاستعمارية ظاهره واضحة بل هي معلنة أكدها كل رؤسائه الى
شعبه وهي انهم يريدون بترول المنطقة خاضعاً له... ان الاسلوب التدميري الهمجي الذي
تدك به قوات تحالف البغي والعدوان ارجاء العراق الشقيقة يدل على ان الغرض الرئيسي ليس
اصابة منشأة عسكريه، بل القضاء على كل المرافق والمنشآت المدنية والفتك بشعب العراق
المسلم الشقيق^(٢٣). ودعا الرئيس محمد حسني مبارك امام اجتماع مشترك لمجلس الشعب
والشورى في ٢٤ كانون الثاني ١٩٩١ الى حل لإيقاف الصراع بشكل جذري اذ قال "لا مفر،
اولاً، من الانسحاب العراقي من الكويت، وفقاً لقرارات قمة القاهرة، ومجلس الامن رقم
(٦٦٠)، وتوفير الغطاء العربي للانسحاب العراقي. ثم تبدأ مرحلة التناور، بالتنسيق مع
الاطراف المعنية، للتوصل الى صيغه تحفظ للعراق كرامته وتضمن عيشه في امان" و اضاف
قائلاً ان الرؤية المصرية لإنهاء الازمة تقوم على اساس الحفاظ على العراق والكويت على حد
سواء. والوقت لا يزال متاحاً للرئيس العراقي لان يوقف هذه الكارثة. الا ان حاكم العراق يؤثر
التضحية بشعبه وجيشه على التراجع من اجل زعامة زائفة"^(٢٤).

يمكن القول مما سبق ذكره ان الرئيس محمد حسني مبارك انتقد لاعتقانه القيادة السياسية
العراقية في تعاملها مع الازمة منذ بداياتها واصرارها على عدم التراجع وانسحاب قواتها من
الكويت. ورفضه المتواصل لكل نداءات القيادة المصرية في هذا الصدد.

• الحرب البرية

ومن ناحية اخرى فان الدور العسكري المصري في الحرب انقسم الى مرحلتين^(٢٥):

١. تعزيز القدرات الدفاعية لدول الخليج العربي المواجهة للعراق، من خلال تقديم الدعم
للسعودية والامارات العربية المتحدة.

٢. استكمال عملية جمع الوحدات القتالية للمشاركة في العملية الاستراتيجية الهجومية
والمشاركة ايضا بشكل مؤثر في تنفيذ عملية اخراج الجيش العراقي من الكويت.

وفي سياق متصل قال الجنرال نورمن شوارزكوف خلال مقابله مع اذاعه الجيش الاسرائيلي "لقد كانت هناك قوات عسكريه لأكثر من دوله عربيه لكنها لم تشارك جميعها بصورة فعلية في القتال واعتقد ان المحاربين المصريين كانوا أفضل المحاربين العرب الذين شاركوا في القتال ضد العراقيين" (٢٦).

واضافة الى ذلك فان نسبة مشاركات وحجم الجيش المصري مقارنة بالقوات العربية الاخرى تتضح من خلال الجدول الاتي (٢٧).

الصف	القوات العربية	القوات المصرية	النسبة
افراد	١٣٨,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٢٥%
دبابات	٩١٧	٣٥٨	٣٠%
مدفعية	٥٦٦	٢١٥	٣٨%
صواريخ	١,١٣٩	٢٥٢	٢١,٥%

* كمال احمد عامر، المصدر السابق، ص ٢٥١-٢٥٣.

أما ما يخص تنفيذ القوات المصرية للعملية البرية فأنها انقسمت الى ثلاث مراحل رئيسية، المرحلة الاولى ٢٤ - ٢٥ شباط ١٩٩١، اذ تغلبت القوات المصرية على المواقع التي اقامتها القوات العراقية، وتم ارسال دوريات من قوات الصاعقة المصرية لتحديد عمل معدات اشعال الخنادق بالنار وبدعم من القوات الخاصة السعودية لتحقيق هذه المهمة، وفي اليوم التالي تمكنت الفرقة الثالثة الميكانيكية من التغلب على الدفاعات الأساسية للقوات العراقية، وفي مساء ذات اليوم تمكنت هذه الفرقة من تحقيق الاهداف المنوطة بها ووصلت الى منطقة جنوب الابرق واستولت على منطقه بعمق ٣٠ كم شمال الكويت بالتعاون مع قوات سعودية وكويتية وقوات تابعه للأتلاف الدولي وفيما يتعلق بالمرحلة الثانية فقد تمكنت الفرقة الثالثة الميكانيكية من الاستيلاء على خط يقع شمال منطقة الابرق بحوالي ٢ كم وذلك في صباح ٢٦ شباط ١٩٩١، وفي مساء نفس اليوم تم تكليف اللواء السادس مشاة ميكانيكي التابعة للفرقة الرابعة المصرية واللواء الصاعقة بمهمة تطهير مدينتين الكويت والجهراء، وفي نهاية ذات اليوم وصلت القوات المصرية الى جنوب الجهراء واستولت على قاعدة علي السالم الجوية، وفي ما يخص المرحلة الثالثة الممتدة من ٢٧ - ٢٨ شباط ١٩٩١ فان قوات الصاعقة المصرية تمكنت

في صبيحة يوم ٢٧ شباط ١٩٩١ من دخول منطقة الجبراء والسيطرة عليها، وفي الساعة العاشرة من صبيحة نفس اليوم قام اللواء السادس الميكانيكي من الفرقة الرابعة المدرعة واللواء الصاعقة عدا كتيبة بالمشاركة مع القوات السعودية والكويتية باقتحام مدينة الكويت والسيطرة عليها، وفي نهاية يوم ٢٨ شباط ١٩٩١ تم تجميع وحدات اللواء السادس الميكانيكي من الفرقة الرابعة المدرعة واللواء صاعقة عدا كتيبة في جنوب قاعدة علي السالم الجوية^(٢٨).

• تداعيات حرب الخليج الثانية على مصر

أظهرت حرب الخليج الثانية عجز المنظمات الإقليمية التي تم تأسيسها في البلاد العربية، فقد فشل مجلس التعاون العربي في التوصل لتفاهات بين اعضائه وخصوصاً مصر التي اتخذت قراراً بالانسحاب منه بسبب اجتياح الجيش العراقي للكويت، وقد صرح الرئيس محمد حسني مبارك "ان المجلس يبدو كأنه قام اساساً بالاستيلاء على الكويت والخليج والنفط العربي"، مضيفاً "ان العراق والاردن حاولا مرات العمل على تكوين فريق عربي يضم مصر في حرب سواء كان خطأً او صحيحاً"^(٢٩).

علاوة على الاثار الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على الحرب اذ فقدت مصر ١٠ مليارات دولار، هي عبارة عن مواد ومدخرات كانت موضوعة في المصارف الكويتية التي كان اودعها العمال المصريون في الكويت فضلاً عن مستحقات المصريين في العراق، وقد دعا رئيس الوزراء المصري عاطف صدقي الى استيعاب تداعيات هذه الحرب وان عليهم بقدر الاستطاعة ان يشاركوا في تحمل هذه الاعباء خصوصاً بعد تضرر قطاع السياحة وقلة مدخولات قناة السويس وايضا الارتفاع الذي شهدته العديد من السلع الرئيسية في العالم^(٣٠).

كما اعفت الولايات المتحدة الأمريكية ديون مصر العسكرية والبالغة ٧،١ مليار دولار وايضا حصلت مصر على منحة مقدارها ١،٣ مليار دولار كمساعدات عسكرية، ومنذ اندلاع حرب الخليج الثانية عادت المفاوضات التي كانت متوقفة بين مصر وصندوق النقد الدولي للحصول على قرض بالرغم من رفضها العديد من شروطه اذ حصلت على قرض قيمته ٣٧٥،٢ مليون دولار لمعالجه العجز في ميزانها التجاري وتمكن رئيس الوزراء المصري عاطف صدقي من الاستفادة من هذا القرض في القيام بإصلاحات اقتصادية في البلاد ومن جهة اخرى اسقطت دول الخليج العربي ٧ مليار دولار من ديون كانت مترتبة على مصر بهدف تمكين الأخيرة من استيعاب انعكاسات الحرب على اقتصادها^(٣١).

الخاتمة :

أتمت سياسة مصر في عهد الرئيس محمد حسني مبارك تجاه حرب الخليج الثانية باستخدام اداتين انصبت كلاهما في تحقيق مصالح صانع القرار السياسي المصري. هما: الأداة الدبلوماسية: ما ان لاحت في الأفق بوادر الخلاف العراقي- الكويتي نتيجة لزيادة الإنتاج النفطي الكويتي فضلاً عن السيطرة على أراضي حدودية عراقية حتى سارعت الدبلوماسية المصرية باستخدام نفوذها لدى طرفي الصراع لمعالجة الازمة في مراحلها الاولى ومنعها من الوصول الى مراحل تنذر بامتدادات اكبر للصراع بحيث يكون من العسير الوصول الى حل عربي ينهي الازمة من جذورها، ولم يكن مستبعداً ان تنظر مصر الى مصالحها في الخليج اذ توجد فيه عمالة مصرية كبيرة تشكل ثقلأ واضحاً في النظرة الشمولية للاقتصاد المصري، فضلاً عن تطلعاتها لإعادة رسم دورها الإقليمي الكبير الذي فقدته منذ اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨، كما لا يمكن اغفال تأثير عامل الضغط الأمريكي على مصر في تعاملها مع الازمة منذ البداية، لقد كان الرئيس محمد حسني مبارك مدركاً تماماً ان قيام العراق بعمل عسكري ضد الكويت سيؤدي الى تدخل امريكي يثير الاضطراب ويعرقل التوصل لحل سلمي للازمة. الأداة العسكرية: لم يلجأ صانع القرار السياسي المصري الى استخدام هذه الأداة الا بعد استنفاد كافة الوسائل السلمية لحل الازمة بين العراق والكويت ودياً، فأرسلت مصر قواتها الى السعودية للمشاركة في التحالف الدولي المعادي للعراق بثقل كبير ومؤثر بلغت نسبته ٢٥% من مجموع القوات العربية المشاركة، وكشفت العمليات البرية عن حسن تنظيم واعداد هذه القوات ومشاركتها الفاعلة في الحرب البرية التي ابتدأت في ٢٤ شباط ١٩٩١، وليؤشر ذلك في مجمله الى نتيجة مؤسفة الا وهي تقادم الخلافات العربية- العربية والتي وصلت الى حد استخدام القوة المسلحة نتيجة لتعنت القيادة السياسية العراقية آنذاك.

الهوامش :

١. محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أو هام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٩٢، ص ٣٢٢-٣٢٤.
٢. خضير ابراهيم سلمان، السياسة الخارجية المصرية حيال المنطقة العربية منذ انتهاء الحرب الباردة، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية العلوم السياسية- جامعه النهرين، بغداد ٢٠١٥، ص ١٧١.

٣. حسين علي عبود الطائي، حرب الخليج ١٩٩١ - حقائق ووثائق، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد ٢٠١٨، ص ٦١.
٤. محمود بكري، جريمة امريكا في الخليج الاسرار الكاملة، العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩١، ص ٢٠٥-٢٠٧.
٥. مصطفى طلاس، حرب تحرير الكويت، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الرابعة، دمشق ٢٠٠٢، ص ٥٩.
٦. حسين علي عبود الطائي، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.
٧. عدنان احمد سلوم واسامه مرتضى، الافاق المستقبلية للعلاقات العراقية - الكويتية ما بعد نيسان ٢٠٠٣، دار ومكتبه البصائر، الطبعة الاولى، بيروت ٢٠١١، ص ٣٤.
٨. بيير سالنجر واريك لوران، حرب الخليج: الملف السري، ترجمه محمود الغباش، الطبعة الاولى، منشورات شركه الارض ودار قرطبة، قبرص ١٩٩١، ص ٣٧٤.
٩. محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ٣٧٤.
١٠. خيرى عبد الرزاق جاسم، (العراق ومصر مبادئ ام مصالح) مجلة شؤون عراقية (بغداد)، العدد الثالث، اب ٢٠٠٩، ص ٣٨.
١١. بيان وزارة الخارجية المصرية حول الاجتياح العراقي للكويت ١٩٩٠/٨/٢ الحرب على العراق: يوميات - وثائق - تقارير ١٩٩٠ - ٢٠٠٥، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت ٢٠٠٧، ص ٣١٣.
١٢. خطاب حسني مبارك الرئيس المصري حول موقفه من تطورات الخليج الذي القاه امام الاجتماع المشترك بين مجلس الشعب والشورى في ١٩٩١/١/٢٤، يوميات وثائق الوحدة العربية، ١٩٨٩ - ١٩٩٣، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٩٥، ص ٧٤٩.
١٣. احمد صدقي الدجاني (واخرون)، ازمه الخليج وتداعياتها على الوطن العربي: اوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٧، ص ٢٧٦-٢٧٧.
١٤. محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ٤١٤.

١٥. سامي عصاه، وثائق حرب الخليج حقيقة ما جرى في مؤتمر القمة العربي في القاهرة، دور الرئيس محمد حسني مبارك فيما ال اليه المؤتمر، (النصوص- التحليل- والاستنتاج)، مكتبه بيان، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٩٤، ص٢١-٢٣.
١٦. مصطفى طلاس، المصدر السابق، ص٨١.
١٧. تحليل اداء الجيش المصري في حرب الخليج ١٩٩١
<http://zak-readings-blogspot.com/2014/10/1991.html>
١٨. محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص٥٠٧.
١٩. حسين علي عبود الطائي، المصدر السابق، ص٥٠٧.
٢٠. نص النداء الذي وجهه محمد حسني مبارك الرئيس المصري الى صدام حسين الرئيس العراقي لسحب القوات العراقية من الكويت في ٢١ اب ١٩٩٠، يوميات وثائق الوحدة العربية، المصدر السابق، ص٧١٤.
٢١. كمال احمد عامر، الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج ١، سلسله تاريخ المصريين (٢٠٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص١٢٦-١٢٧.
٢٢. مواقف وردود الفعل المصرية خلال مرحله عاصفه الصحراء
<http://www.moqatel.com/openshare/booth/IraqKwit/27/sec/8>. Doc-
Cdt.html
٢٣. عبد المنعم سليم جبارة، الاخوان المسلمون وازمه الخليج، ويكيبيديا الاخوان المسلمين.
<https://www.Ikhwanwiki.com/index.php>
٢٤. العراق: الكويت الجذور الغزو التحرير- المواقف وردود الفعل الدولية والعربية والإقليمية خلال مرحله عاصفه الصحراء.
<https://www.sources.marefa-org>
٢٥. كمال احمد عامر، المصدر السابق، ص٢٥١-٢٥٣.
٢٦. خضير ابراهيم سلمان، المصدر السابق، ص١٧٨.
٢٧. كمال احمد عامر، المصدر السابق، ص٢٤٠.
٢٨. المصدر نفسه، ص٢٥١-٢٥٣.

٢٩. نمير طه ياسين وبيداء سالم صباح، (مصر وتدايعات حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ -
١٩٩١)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد الثامن، العدد ٢٥، تشرين الاول
٢٠١٦، ص ٣٠٤.
٣٠. المصدر نفسه، ص ٣٠٥.
٣١. المصدر نفسه، ص ٣٠٩-٣١٠.

المصادر:

١. احمد صدقي الدجاني (واخرون)، ازمة الخليج وتدايعاتها على الوطن العربي: اوراق
عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات
الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٧.
٢. الحرب على العراق: يوميات - وثائق - تقارير ١٩٩٠ - ٢٠٠٥، مركز دراسات الوحدة
العربية، الطبعة الاولى، بيروت ٢٠٠٧.
٣. بيير سالنجر واريك لوران، حرب الخليج: الملف السري، ترجمه محمود الغباش، الطبعة
الاولى، منشورات شركه الارض ودار قرطبة، قبرص ١٩٩١.
٤. حسين علي عبود الطائي، حرب الخليج ١٩٩١ - حقائق ووثائق، مؤسسه تائر العصامي،
بغداد ٢٠١٨.
٥. خضير ابراهيم سلمان، السياسة الخارجية المصرية حيال المنطقة العربية منذ انتهاء
الحرب الباردة، اطروحة دكتوراه منشورة، كلية العلوم السياسية- جامعة النهريين، بغداد
٢٠١٥.
٦. يوميات ووثائق الوحدة العربية، ١٩٨٩ - ١٩٩٣، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة
الاولى، بيروت ١٩٩٥.
٧. سامي عصاصه، وثائق حرب الخليج حقيقة ما جرى في مؤتمر القمة العربي في القاهرة،
دور الرئيس محمد حسني مبارك فيما ال اليه المؤتمر، (النصوص- التحليل- والاستنتاج)،
مكتبه بيان، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٩٤.
٨. عدنان احمد سلوم واسامة مرتضى، الافاق المستقبلية للعلاقات العراقية - الكويتية ما بعد
نيسان ٢٠٠٣، دار ومكتبه البصائر، الطبعة الاولى، بيروت ٢٠١١.

٩. كمال احمد عامر، الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج ١، سلسله تاريخ
المصريين (٢٠٠٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١.
١٠. محمد حسنين هيكل، حرب الخليج او هام القوة والنصر، مركز الازهرام للترجمة والنشر،
الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٩٢.
١١. محمود بكري، جريمة امريكا في الخليج الاسرار الكاملة، العربية للطباعة والنشر
والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩١.
١٢. مصطفى طلاس، حرب تحرير الكويت، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة
الرابعة، دمشق ٢٠٠٢.

الدوريات

١٣. خيري عبد الرزاق جاسم، (العراق ومصر مبادئ ام مصالح) مجله شؤون عراقية
(بغداد)، العدد الثالث، اب ٢٠٠٩.
١٤. نمير طه ياسين وبيداء سالم صباح، (مصر وتدايعات حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ –
١٩٩١)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد الثامن، العدد ٢٥، تشرين الاول
٢٠١٦.

مواقع الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)

١٥. تحليل اداء الجيش المصري في حرب الخليج ١٩٩١
<http://zak-readings-blogspot.com/2014/10/1991.html>
١٦. عبد المنعم سليم جبارة، الاخوان المسلمون وازمه الخليج، ويكيبيديا الاخوان المسلمين.
<https://www.Ikhwanwiki.com/index.php>

١٧. العراق: الكويت الجذور الغزو التحرير- المواقف وردود الفعل الدولية والعربية
والاقليمية خلال مرحلة عاصفة الصحراء.

<https://www.sources.marefa-org>

١٨. مواقف وردود الفعل المصرية خلال مرحلة عاصفة الصحراء
<http://www.moqatel.com/openshare/booth/IraqKwit/27/sec/8>. Doc-
Cdt.html

الموقف الإقليمي والدولي من تجربة الوحدة اليمنية (١٩٩٠-١٩٩٤)

د.م.د. سمير عبد الرسول العبيدي
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة:

تمتع اليمن بموقع استراتيجي مهم، بحكم موقعه في شبه الجزيرة وإطلالته الكبيرة على البحر الأحمر والبحر العربي، ما جعله محط الأنظار عبر تاريخه السياسي الطويل الزاخر بالأحداث التاريخية المهمة.

كان تحقيق الوحدة اليمنية، مطلب تاريخي مهم لليمنيين، من أجل إنهاء حالة الانقسام التي نتجت عن مؤثر خارجي، تمثل بالاحتلال البريطاني للشطر الجنوبي (١٨٣٩-١٩٦٧)، وعقب الاستقلال شهدت اليمن حراك سياسي محموم، استمر منذ توقيع اتفاقية القاهرة بتاريخ ٢٨ تشرين الأول ١٩٧٢، بدعم الجامعة العربية، وحتى توقيع اتفاقية ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٩، حيث توافرت الظروف السياسية الملائمة على الصعيد الداخلي والخارجي، لإعلان الوحدة اليمنية، تلك التي تباينت المواقف الإقليمية والدولية منها، لكنها بالإجمال أثرت فيها بشكل مباشر، وهو ما حاول البحث تبيان أسبابه.

تكون البحث من مقدمة وتمهيد مع ثلاثة مباحث وينتهي البحث بالخاتمة، تطرق التمهيد إلى "الأهمية الجيوسياسية لليمن"، تلك التي جعلته محط اهتمام القوى الخارجية، ثم ظروف إعلان الوحدة اليمنية.

تطرق المبحث الأول إلى "مؤثرات وملامح السياسة الخارجية اليمنية"، إلى أهم العوامل التي أثرت على السياسة الخارجية اليمنية بخاصة مع دول الجوار العربي أو ضمن المحيط العربي، لكونها من أهم العوامل التي أدت إلى إعلان الوحدة اليمنية في هذا التوقيت بالتحديد. درس المبحث الثاني إلى "الموقف الإقليمي والدولي من الوحدة اليمنية" إذ ركز هذا المبحث على الموقف العربي وبالأخص دولتي الجوار (السعودية وعمان) التي يتم دراسة موقفها ضمن مجلس التعاون الخليجي، كذلك موقف دول مجلس التعاون الذي تأسس في ١٦ شباط ١٩٨٩، وغيرها من القوى الفاعلة على الصعيد العربي، ثم تطرق للموقف الإيراني لكون إيران من الدول المؤثرة في تطور الأحداث السياسية بالمنطقة بحكم الموقع المهم، والجوار التاريخي.

تناول المبحث الثالث "الموقف الدولي" وبالتحديد موقف القوى العظمى التي احتكرت السيطرة على مقاليد السياسة الدولية للمدة (١٩٤٥-١٩٩١)، لذا وجب التوقف ملياً عندها بحكم وجود علاقات وثيقة لها مع شطري اليمن، إضافة إلى موقف الاتحاد الأوروبي.

تمهيد:

أ. الأهمية الجيوسياسية لليمن.

يمثل موقع الدولة عاملاً مؤثراً على مكانتها الداخلية والخارجية ويعتمد ذلك على أمور عدة من بينها فاعليتها الإقليمية والدولية، ولاسيما إن كانت تلك الدولة مغلقة أو مفتوحة على العالم من خلال اتصالها المباشر بالبحار والمحيطات أو أن تقع على الممرات المائية أو طرق الملاحة الدولية، إن لموقع الدولة انعكاس على سياستها الخارجية ويحدد طبيعة مشاركتها في المجتمع الدولي كما يعين من مدى مناعة الدولة ضد الغزو الخارجي وطبيعة الحدود للدفاع عن أمنها القومي، فالموقع الاستراتيجي للدولة يمنحها وزناً إقليمياً ودولياً ويلعب دور كبير في رسم سياستها الخارجية، وبرزت الأهمية الجيوسياسية لليمن عبر موقعها الجغرافي المهم

والذي، تم الانتباه إليه منذ قرون عدة مع بدء حركة الاستكشافات الجغرافية، إذ تبلغ مساحتها
٥٤٩٤١٩ كم^٢

وهذه المساحة الواسعة لها سمات ايجابية متعددة، تتضح خلال دراسة أهمية الموقع الجغرافي
اليمني من خلال دراسة موقعها الفلكي ما بين دائرتي عرض ٤٠-٢٠، إلى ٢٦-١٩ شمالاً خط
الاستواء، وموقعها بالنسبة إلى المساحات المائية وكذلك بالنسبة لليابسة، أي الموقع البحري
والقاري للدولة ودراسة موقعها بالنسبة للدول المجاورة إليها^(١).

تقع اليمن في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية، ويحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن
الشمال المملكة العربية السعودية، ومن الجنوب البحر العربي والمحيط الهادي ومن الشرق
سلطنة عمان وبذلك تكون محاطة بدولتين عربيتين تتشارك معهما بروابط تاريخية، وهو ماله
أهميته من الناحية السياسية.

تمتد اليمن من الشرق إلى الغرب بمسافة تقدر ١٥٠٠ كم، أي ثلاثة أضعاف المسافة الممتدة
من الشمال إلى الجنوب، والتي تُقدر بنحو ٥٠٠ كم، فهي أشبه بالشكل المستطيل في
الجغرافية السياسية، كما تبلغ طول الحدود اليمنية مع السعودية ١٤٥٨ كم، وتُعد حدود طويلة
تمتد من ميناء ميدي في محافظة حجة مروراً بسلسلة من الجبال منتهية بالنقطة التي تلتقي
عندها الحدود العمانية السعودية، أما الحدود العمانية فيبلغ طولها ٢٨٨ كم تمتد من منطقة
رأس ضربة على بحر العرب إلى نقطة تلتقي عندها مع الحدود اليمنية السعودية، في حين تبلغ
طول الحدود اليمنية البرية ١٧٤٦ كم^(٢).

تحتل اليمن موقعاً استراتيجياً مهماً في الخريطة السياسية للوطن العربي وخاصة منطقة
الجزيرة العربية والخليج العربي، فهي تمسك بمفاصل الباب الجنوبي للبحر الأحمر فتتحكم في
لقائه الجغرافي بالمحيط الهندي، كما تُمسك بمقدمة القرن الإفريقي، كذلك يمتاز موقع اليمن
بفضاءات إستراتيجية مفتوحة نحو المنطقة العربية والقارة الإفريقية وجنوب آسيا وشبه
القارة الهندية، إذ تبدو اليمن كمنفذ بحري مهم عند ملتقى مضيق هرمز وباب المندب والفضاء
البحري المفتوح على المحيط الهندي.

إن الأهمية الإستراتيجية لموقع اليمن ترتبط ارتباطاً وثيقاً، بالأهمية الإستراتيجية لمضيق
باب المندب، الذي تنبع أهميته أساساً من ارتباطه الوثيق بالأهمية الإستراتيجية التي يتمتع بها
البحر الأحمر، بوصفه من أبرر محاور التنافس والصراع الدولي، إذ تحتضن اليمن البحر
الأحمر والمحيط الهادي عبر منطقة خليج عدن، وترتبط حزام أمن الجزيرة العربية والخليج
العربي ابتداءً من قناة السويس وإنهاءً بشط العرب، وتتحكم بطرق الملاحة البحرية الصاعدة
إلى آسيا عبر بحر العرب^(٣).

يمتد البحر الأحمر طولياً فيما بين السويس والعقبة في أقصى الشمال وباب المندب في
أقصى الجنوب لمسافة تبلغ ٢٣٠٠ كم، ويُعد من أهم طرق المواصلات البحرية في العالم،
وحمل التجارة بين الشرق والغرب، وهو بهذا يتميز بموقع جغرافي واستراتيجي هام في ملتقى
ثلاث قارات، وتطل عليه تسع دول عربية^(٤).

تشكل سواحل البحر الأحمر التي تشمل خليج عدن، وخليجي العقبة والسويس وغالبيتها
العظمى عربية، مما يجعله بحيرة عربية بين مشرق الوطن العربي ومغرب، إذ تمتلك
السعودية جبهة بحرية تطل على البحر الأحمر بساحل يبلغ طوله نحو ١٨٨٠ كم، أما اليمن
فلها من جهة الغرب جبهة بحرية تطل بها على البحر الأحمر طولها ٥٠٠ كم تقريباً، ومن
الجنوب خليج عدن بجبهة بحرية طولها ١٤٠٦ كم، كما تتصدر اليمن دول حوض البحر
الأحمر من حيث أطوال سواحلها التي بلغت ١٩٠٦ كم، وهو ما يوازي ٢٢,٣% من إجمالي

أطوال السواحل، تليها السعودية بنسبة ٢٢%، ثم مصر بالمركز الثالث بنسبة ١٥,٢%، ثم تأتي بقية الدول بعد ذلك^(٥).

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستخلص الأهمية الإستراتيجية التي جلبها الموقع الإستراتيجي لليمن وعلى وفق الترتيب الآتي:-

١. اليمن من البلدان القليلة التي تطل على بحرين لهما أهمية إستراتيجية كبيرة، هما البحر الأحمر وبحر العرب، وتكتسب منهما جزءاً كبيراً من أهميتهما الجيوستراتيجية.

٢. تضفي إطلالة اليمن على مضيق باب المندب وامتلاكها لعدد من الجزر، أهمية قصوى، وذلك لقدرتها على السيطرة على حركة الملاحة المارة عبر هذين البحرين من وإلى أوروبا.

٢. إن قرب اليمن من قارة أفريقيا جعلها بمثابة همزة الوصل بينها وبين قارة آسيا، لذا تشكل دائرة التحكم والسيطرة التي تجمع بين آخر نقطة في القارة الآسيوية العربية باتجاه شبه الجزيرة العربية وأول نقطة في القارة الإفريقية باتجاه إلى القرن الإفريقي.

٣. إن ما تمتلكه اليمن من سواحل طويلة ولأسيما الجنوبية منها والمطلّة على بحر العرب والمحيط الهندي، يمنحها إمكانية التحكم بخطوط الملاحة مع الخليج العربي، التي تضم أهم مصادر النفط العالمية^(٦).

ب. إعلان الوحدة اليمنية ٢٢ أيار ١٩٩٠.

إن طبيعة التطورات السياسية التي شهدتها اليمن عبر تاريخه السياسي الطويل بكل ما تنطوي عليه حياته السياسية من قوى وأحزاب وكيانات سياسية ومجتمعية، قد أخذت أبعاداً مختلفة فرضتها ظروف التقسيم على مسيرة تلك القوى ودورها في إطار الحركة الوطنية، حيث كان لكل من شمال اليمن وجنوبه نطاقه الجغرافي وحدوده السياسية ونظامه السياسي وبنيتة الاقتصادية الخاصة، كما إن طبيعة السلطة في كلا الشطرين مختلفة عن الأخرى في مجمل الخصائص السياسية والجذور الفكرية والإيديولوجية والتطلعات السياسية، قبل أن تنهياً الأوضاع لتحقيق وحدته الاندماجية^(٧).

لكن خلال حروبهم وصراعاتهم لم يهمل اليمنيون الوحدة، قضيتهم المركزية ومخرجهم المشرف من تلك المنازعات، وقد تمكنوا من إعداد وثائق الوحدة ودستورها خلال مدة الحرب الباردة التي شهدت في سنواتها الأخيرة، وبصورة خاصة بدءاً من مطلع العام ١٩٨٠، تقارباً ملحوظاً بين الشطرين، وقد ساهم ذلك في تسهيل توقيع الاتفاق على الوحدة الاندماجية بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٩^(٨).

نجح اليمنيون بتحقيق وحدتهم المرتقبة في ٢٢ أيار ١٩٩٠ عقب نضال مرير وتحديات كبرى داخلية وخارجية، لكن الوحدة الناشئة بقيت مثقلة بجملة من التحديات، يرجع بعضها إلى ما تميز به اليمن عبر تاريخه المضطرب من تناحر وصراعات مزمنة، كان من أهم أسبابها طبيعة المجتمع القبلي في غالبيته العظمى، ما أوجد نمطاً من الولاء المستمر للقبيلة وخلافات حادة مع السلطة المركزية، ذلك ما انعكس بجلاء على مختلف أنماط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الشطرين، فشاع الفقر والجهل والمرض، خاصة في الشمال، في حين كانت الأمور اخف وطأة في الجنوب الذي خضع للاحتلال البريطاني عام ١٨٣٩، ثم عقب الاستقلال في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧، تبنى الاتجاه الماركسي خلال مدة حكم الحزب الاشتراكي اليمني (١٩٦٩-١٩٩٠)؛ ما شكل احد أهم نقاط التباين والخلاف فيما بعد^(٩).

المبحث الأول: مؤثرات وملامح السياسة الخارجية اليمنية.

تأثرت العلاقة بين شطري اليمن بحالة التنافس الدولي أثناء الحرب الباردة، فأتجه نظام الحكم في الجنوب نحو المعسكر الشرقي ونشط في تبني وتطبيق فلسفته السياسية والاقتصادية

والاجتماعية، مستنداً في ذلك على دعمه العقائدي بالأساس، كما حظي بمختلف أنواع الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري، في حين مال النظام السياسي في الشمال نحو المعسكر الغربي، لكن مع الاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع الاتحاد السوفيتي، وقامت السعودية بدور الوسيط في علاقة الشطر الشمالي بالولايات المتحدة والدول الغربية، فحصل من جراء ذلك على الدعم السياسي والعسكري.

بنهاية عقد الثمانينات من القرن العشرين، حدثت تحولات هيكلية كبيرة في النظام السياسي والاقتصادي الدولي نتيجة لانتهاء الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، وكان لتلك التحولات الجذرية في بنية النظام الدولي، ما أثر بشكل إيجابي في تذليل بعض المعوقات التي كانت تقف في طريق إعادة تحقيق وحدة شطري اليمن ودفع جهود الوحدة خطوات كبيرة نحوها^(١٠).

لذا وبشكل نسبي فقد شكل هذا الموضوع في جانب من جوانبه دافعاً مهماً إلى حد ما في تذليل الصعوبات وتحقيق الوحدة اليمنية، بفعل المتغيرات الجوهرية التي حدثت في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية، التي شرعت بدرء مخاطر الصراع الدولي المحتمل بين الأيدلوجيتين الاشتراكية والرأسمالية، وإنهاء الانتشار الكبير لأسلحة الدمار الشامل التي لا يمكن أن يستثنى دمارها أحداً، وهو الأمر الذي قرب من الوفاق الدولي، ليتم الاستغناء عن محاور التأييد التقليدي، والتي كانت من أسباب التنافس بين المعسكرين لتقديم المساعدات وكسب التأييد في المحافل الدولية^(١١).

كما شهدت مدة الثمانينات محاولات عدة لتطوير أطر التعاون العربي، وكسر حالة الجمود، فظهرت ثلاثة كيانات قطرية نأت بنفسها عن التوجه القومي، إذ هيمن عليها الجانب الاقتصادي أكثر من السياسي، وهي مجلس التعاون الخليجي بدوله الست، ومجلس التعاون العربي الذي ضم (العراق، مصر، الأردن، اليمن)، وأتحاد المغرب العربي الذي ضم (ليبيا، الجزائر، تونس، المغرب، موريتانيا).

كان مجلس التعاون الخليجي أول هذه الأطر وتم إعلانه في أعقاب اجتماع وزراء خارجية دول الخليج العربي في الرياض في ٤ شباط ١٩٨١، في حين تم التوقيع على نظامه الأساسي في أبو ظبي في ٢٦ أيار ١٩٨١، انطلاقاً مما يربط بين دوله الست من "علاقات خاصة وسمات مشتركة وأنظمة متشابهة"، ومما "تشعر به من أهمية قيام تنسيق وثيق بينها في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية"، حيث كان التعاون والتنسيق في ما بينها في المجالات الاقتصادية والمالية على قمة أولويات المجلس عند إعلانه، ليتم اختيار الرياض مقراً للأمانة العامة.

وفي ١٦ شباط ١٩٨٩ تم التوقيع على اتفاقية مجلس التعاون العربي في بغداد، الذي ضم (العراق، الأردن، مصر، الشطر الشمالي من اليمن) وفي حين اقتصرت عضوية مجلس التعاون الخليجي على دولة الست، ونصت اتفاقية مجلس التعاون العربي على كونه مفتوحاً لكل دولة عربية ترغب في الانضمام إليه، وجاء التكامل الاقتصادي بين دوله كأولوية حاكمة لأهدافه، لكن وعلى الرغم من أنه اعتير قيام سوق مشتركة بين أعضائه هدفاً يؤدي إلى السوق العربية المشتركة، إلا أنه ظل جزئياً وضيق الرؤى، في حين تم اختيار عمان مقراً للأمانة العامة.

وفي اليوم التالي مباشرة، أي في ١٧ شباط ١٩٨٩، تم توقيع معاهدة إنشاء اتحاد المغرب العربي في مراكش، انطلاقاً من " ما يجمع شعوب المغرب العربي من أواصر متينة قوامها الاشتراك في التاريخ والدين واللغة"، ومرة أخرى كان للتعاون الاقتصادي مكانة مهمة في أهداف الاتحاد^(١٢).

لكن وبقيام دولة اليمن الموحد تغير المشهد السياسي والاستراتيجي في جنوب الجزيرة العربية والقرن الإفريقي، فعلى صعيد الصورة السياسية الظاهرة انكمش عدد دول المنطقة برقم واحد، فبدلاً من أربع دول تشغل جنوب الجزيرة العربية، أصبح العدد ثلاثاً، وينطبق الأمر ذاته على إجمالي عدد أعضاء الجامعة العربية، ومنطقة القرن الإفريقي بساحليها الشرقي والغربي، أما على صعيد المشهد الاستراتيجي، فقد تكون واقع توازن جديد أثر على الصعيد العسكري والاقتصادي والاجتماعي، وللوهلة الأولى يمكن القول إن الوحدة اليمنية قد رفعت من مكانة الشطرين في خريطة التوازن الشامل في المنطقة، لكن يجب التحفظ قليلاً، نتيجة أن التحرك الايجابي ليس مطلقاً في الواقع، لدى مقارنة ما تتمتع به اليمن من إمكانيات مقارنة ببعض الدول الأخرى المطلة على البحر الأحمر (كالسعودية أو مصر) (١٣).

يُعد قيام الوحدة وما تلاها من تحولات دستورية في البلاد نقلة نوعية في حياة اليمن السياسية، كونها سجلت انعطافة مهمة على طريق تطبيق الديمقراطية واقتراب البلاد من التعددية والمشاركة السياسية الحقيقية في الحكم (١٤)، كما تأثرت الحياة السياسية في الشطر الشمالي كما هو الحال في الشطر الجنوبي، بطبيعة التوازنات الإقليمية والدولية التي افرزها الواقع الدولي، ولاسيما توجهات بعض القوى الفاعلة في منطقة الخليج والجزيرة العربية وعلى تخومه خلال مدة الحرب الباردة، وما فرضته الأحداث والتحويلات السياسية الكبرى التي شهدتها مدة ما بعد الحرب الباردة من حقائق ومعطيات جديدة كانت لها تأثيراتها على الساحة السياسية في المنطقة والتي تمثلت بظهور حراك سياسي- اجتماعي كانت له انعكاساته على مجمل الحياة السياسية فيها، فضلاً عن دور المنظمة الدولية في إقرار مبدأ عدم التدخل الإنساني مطلع تسعينات القرن العشرين، إذ أصبحت قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان، مبدأ مهم من مبادئ القانون الدولي والدعوة إلى التحديث والإصلاح السياسي (١٥).

بالإجمال ظهر واقع جديد بالنسبة لدور اليمن في خارطة التوازن الإقليمي، إذ تضاعفت إمكانيات اليمن في المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وأضحت ذات قيمة إستراتيجية في جنوب شبه الجزيرة العربية، عقب أن فرضت نفسها طرفاً إقليمياً واعداً بدور مرموق على مستوى العلاقات الإقليمية والدولية في منطقة شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام إقليمي متميز لاعتبارات عدة أهمها اعتبارات الأمن والاستقرار الذي تُعد اليمن أحد أركانه الأساسية في منطقة من أكثر مناطق العالم أهمية (١٦).

لقد تحددت أهداف ومبادئ السياسة الخارجية اليمنية، فيما يأتي:

١. تحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار الإقليمي، والتأكيد بأن اليمن الموحد هو أحد عناصر هذا الاستقرار، وإن الوحدة في حد ذاتها مكون رئيسي في هذا المسعى.

٢. إن اليمن الموحد يسعى من خلال الحوار الأخوي، إلى تغليب مبدأ المصالح المشتركة إلى حل المشكلات الموروثة بين اليمن وجيرانه، خصوصاً المشكلات الحدودية مع كل من عُمان والسعودية.

٣. إن اليمن الموحد قيمة مضافة للمصالح والقيم العربية، وإنه يسعى إلى المحافظة وتطوير تلك المصالح العربية القومية، وإن استمراره عضواً في مجلس التعاون العربي دليل على هذا الأمر ذي الأهمية الإستراتيجية.

٤. إن اليمن الموحد جزء من النظام الدولي، بكل ما فيه من تغيرات وتحولات، وإنه حريص على التعامل مع الدول والكيانات السياسية كافة على قاعدتي عدم التدخل في الشؤون الداخلية وتبادل المصالح المشتركة (١٧).

**المبحث الثاني: الموقف الإقليمي والدولي من الوحدة اليمنية.
أ. الموقف العربي.**

على الصعيد العربي فإن الوضع في نهاية عقد الثمانينات وما تلاه، كان أكثر ملائمة لقيام الوحدة اليمنية سواء كان ذلك على مستوى الوحدات السياسية (الدول العربية)، أو في إطار المؤسسات الرسمية للنظام الإقليمي العربي ممثلة في الجامعة العربية ومؤسساتها المختلفة، فقد كان تأييد الدول العربية لخطوات الوحدة والزيارات التي قامت بها الوفود المشتركة من شطري اليمن إلى البلدان العربية لشرح الخطوات الوحدوية للمسؤولين أثر كبير فيها، فعلى سبيل المثال قام وزير العمل والشؤون الاجتماعية في منتصف كانون الأول ١٩٨٩، بزيارة مشتركة لكل من دول الاتحاد المغاربي، ودول مجلس التعاون الخليجي، لتوضيح ما تم انجازه من خطوات على طريق الوحدة، كما قام بنفس المهمة وزير شؤون الوحدة حيث قاما بزيارة مشتركة لدول مجلس التعاون الخليجي، فضلاً عن الزيارات والاتصالات التي تمت بين قيادتي الشطرين مع عدد من القادة العرب بهدف كسب تأييدهم للوحدة، إذ تُعد تلك الزيارات من أهم خطوات كسب التأييد العربي لمشروع وحدة اليمن، إلى ذلك أشار الرئيس اليمني علي عبدالله صالح في زيارته للسعودية في ٢٦ شباط ١٩٩٠، رداً على بعض التقولات بشأن رفض السعودية لخطوات الوحدة المتسارعة ولانعكاساتها المحتملة على علاقاتها المستقبلية، وحول هذا السياق أفاد "كل ما كان عالقاً في الذهن سواءاً لدى اليمن والمملكة، تم التوصل إليه بطريقة أخوية" (١٨).

على الصعيد الرسمي قوبلت الوحدة اليمنية بالترحاب فأرسل القادة والمسؤولون العرب برقيات تهنئة مؤرخة في ٢٣ أيار ١٩٩٠، نورد مقتطفات من بعضها، نستهلها ببرقية محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية :

"يسرني غاية السرور أن ابعث إليكم ومن خلالكم إلى الشعب اليمني الشقيق بخالص التهنئة القلبية لإعلان قيام دولة الوحدة اليمنية برئاسةكم والتي تُعد بادرة وحدوية بناءة على الساحة العربية تسهم في دعم التضامن والترابط العربي بما يكفل الخير لكافة شعوب امتنا العربية المجيدة...".

حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية :

"يسعدني في هذا اليوم التاريخي الذي حقق فيه الشعب العربي اليمني بكفاحه وبجهود قادة اليمن المخلصين هدفه العالي بتوحيد اليمن أن أبعث إليكم وإلى الشعب العربي اليمني أخلص التهاني بأسم الشعب العربي السوري وبأسمي مقرونة بصادق تمنياتنا لهذه الخطوة المباركة بالرسوخ والنجاح كخطوة على طريق الوحدة العربية...".

جابر احمد الصباح أمير دولة الكويت :

"في هذه اللحظات التاريخية التي أعلنتم فيها قيام الجمهورية اليمنية..يسرني أن أعرب لكم عن ابتهاج وسعادة أشقائكم في الكويت بهذا الحدث الهام فبأسم شعب الكويت وبأسمي أيضاً أقدم لكم اخلص التهاني والتمنيات فلقد عادت لليمن مكانتها التاريخية المرموقة إننا نبارك جهودكم وجهود إخوانكم المخلصين الذين عملوا بكل تضحية من أجل الشعب اليمني في كل مكان...".

قابوس بن سعيد سلطان عمان :

"يطيب لنا بمناسبة إعلان الوحدة اليمنية أن نبعث لفخامتكم وللشعب اليمني الشقيق بأحر التهاني بهذا الحدث التاريخي الذي جمع الشعب اليمني بدولة واحدة.. وإننا إذ نهنئكم نؤكد لفخامتكم دعمنا وتأييدنا المستمر لآبناء الشعب اليمني الشقيق وتضامننا الكامل معه لأجل رفعة وتقدمه...".

زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة :

"بمناسبة اعلان قيام الجمهورية اليمنية المتحدة تحقيقاً لأمال وتطلعات الشعب اليمني الشقيق يسرني في غاية السرور ان اعرب لفخامتكم عن أحر التهاني القلبية بأسم شعب وحكومة الإمارات العربية المتحدة وباسمي شخصياً مؤكداً ان هذا الحدث التاريخي الهام قد فرح به كل عربي مؤمن بأمتة وعروبتة...".

الشاذلي بن جديد رئيس جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، بتاريخ ٢٤ أيار ١٩٩٠:
"تلقينا بسعادة بالغة نبأ الاعلان عن قيام دولة اليمن الواحد الذي يجسد حلم الشعب اليمني الشقيق الراسخ في استعادة وحدته المنشودة التي ناضل من أجل تحقيقها أمداً طويلاً ضد الاستعمار وضد كل أسباب التفرقة والتمزق والهيمنة وضحي من أجل بلوغ هذا الهدف بخيرة أبنائه البررة...".

وفي اليوم ذاته وصلت برقية تهنئة من عمر احمد حسن البشير رئيس مجلس قيادة ثورة الإنقاذ الوطني – السودان، جاء فيها ما نصه :

"يسعدني في هذا اليوم التاريخي الذي يشهد ميلاد الوحدة اليمنية أن اعبر لكم بأسمي ونيابة عن شعب السودان وحكومته ومجلس قيادة ثورة الإنقاذ الوطني عن سعادتنا البالغة بهذا الانجاز العظيم الذي تحقق بفضل جهودكم وجهود أخوتكم الميامين في قيادة اليمن... (١٩).
كما تمثل الدور الايجابي للتجمعات العربية الإقليمية في تذليل الصعوبات الإقليمية التي كانت تعترض سبيل الوحدة، لذا يمكن الإشارة في هذا السياق إلى مجلس التعاون العربي، فقد كان لقيامه أثر ايجابي في إعادة تحقيق الوحدة لأسباب كثيرة، من بينها الآتي :

١. خلق حالة من التوازن الإقليمي، إذ قلل ولو بشكل غير مباشر احتمالات الموقف المعارض لقيام الوحدة اليمنية من قبل الدول التي كانت تبدي تخوفها من ذلك.

٢. عكس اشتراك الشطر الشمالي في تأسيسه مؤشراً لمكانته في الساحة السياسية العربية، ومن ثم خلق نمط من الشعور لدى قيادته السياسية عن حجم الدور الذي يجب عليها أن تضطلع به في انجاز الوحدة، ومن جهة أخرى وجهت بعض الانتقادات إلى النظام السياسي في الشطر الشمالي مفادها انه كان يجب عليه أن يتجه أولاً لتحقيق هدف الوحدة ومن ثم ينتقل إلى الإطار الأوسع.

٣. بمعزل عن مدى صحة وجهة النظر السابقة، فإن عدم اشتراك الشطر الجنوبي في عضوية مجلس التعاون العربي، قد أوجد لدى قادته الشعور بالعزلة كونه أصبح محصوراً بين تجمعين عربيين كبيرين، التعاون العربي والتعاون الخليجي، كما تزامن ذلك مع تداعي الاتحاد السوفيتي الداعم الرئيسي له، وبذلك لم يعد يملك الإمكانية للاستمرار ككيان مستقل.

وعقب إعلان الوحدة اليمنية في ٢٢ أيار ١٩٩٠، وافق مجلس التعاون العربي بقمته المنعقدة في بغداد بتاريخ ٢٧ أيار ١٩٩٠، على اعتبار دولة اليمن الموحد عضواً بالمجلس استمراراً لعضوية الجمهورية العربية اليمنية في المجلس (٢٠).

وبالنسبة إلى الجامعة العربية، فإن اليمن هو عضو مؤسس فيها ويرى دوماً أن الجامعة هي بيت العرب جميعاً ومظلة العمل العربي المشترك، ويؤكد الحرص على تنشيط وتفعيل دور الجامعة العربية بما يحقق الهدف الذي أنشئت من أجله وهو تحقيق التعاون الشامل بين الدول العربية على طريق الوحدة، والحقيقة أنها تستطيع أن تلعب دوراً مهماً ومؤثراً في مسيرة التضامن العربي وخدمة القضايا العربية واستنباط آليات متطورة لتعزيز التكامل والعمل العربي المشترك (٢١).

لذا باركت الجامعة العربية، قيام الوحدة اليمنية أثناء انعقاد قمة بغداد الطارئة للمدة ٢٥-٢٨ أيار ١٩٩٠، وجاء ذلك التأييد والمباركة تتويجاً للجهود الكبيرة التي بذلتها الجامعة العربية في

المراحل المختلفة التي مرت بها مسيرة الوحدة اليمنية ابتداءً من اتفاقية القاهرة التي وقعت برعايتها في ٢٨/١٠/١٩٧٢، تلك التي مثلت الإطار القانوني لدولة الوحدة اليمنية^(٢٢). ضمن هذا السياق من الممكن تتبع الدور الريادي للجامعة العربية، في البرقية التي أرسلها الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة العربية بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٩٠، وهذا نصها:
"في هذا اليوم التاريخي المشهود الذي يتم فيه الاعلان عن الوحدة اليمنية، يسعدني ان اعرب لفخامتكم عن مشاعر الاكبار والتقدير للجهود المضنية التي بذلتوها مدعومين باخوانكم ومساعدكم والتي توصلت على مدى سنوات عديدة من أجل انجاز الوحدة في أحسن الظروف وإذ أرفع إلى فخامتكم اصدق التهاني بهذا الحدث السعيد فإنني اشاطركم تطلعاتكم السامية وطموحات الشعب اليمني الشقيق إلى بناء مقومات وحدته، أرضاً وشعباً بما يعزز لحمته ويدعم عمله التنموي ويكرس جهده المشكور لخير امته العربية، ولئن اعربت جامعة الدول العربية عن اعترازها بما حققتموه من هدف نبيل وبما تعترمون القيام به لتوطيد دعائم الوحدة فلأن المثل الذي ضربتموه يجسد الخطوة الضرورية على درب الوحدة العربية الشاملة"^(٢٣).

وأثناء انعقاد قمة بغداد الطارئة (٢٥-٢٨ أيار ١٩٨٩) شارك وزراء الخارجية العرب اليمن أفرحها وقاموا برفع علم اليمن الواحد وإنزال علمي التشطير، وقد انضم وفدا اليمن في وفد واحد وتناول البيان الختامي للقمة الوحدة اليمنية بالتهنئة معبراً عن ذلك بقوله:
"يرى المؤتمر في هذه الوحدة تجسيداً لمبادئ الصدق والإخوة ودليلاً على قدرة الإنسان العربي وطاقاته اللامحدودة في تجاوز الصعاب والعراقيل.. ومثالاً رائعاً يحفز الأمة العربية على المضي قدماً لتحقيق طموحاتها المشروعة في الوحدة الشاملة"^(٢٤).
بالرغم من مواقف التأييد، لكن الموقف العربي الإقليمي كانت له جوانب أخرى غير معلنة، تتراوح بين الشك والبرود، فالسعودية والكويت، مثلاً، لم تبدأ حماسية كبيرة لقيام الوحدة، لأنها ولدت غي ظل صراع إقليمي مكتوم مع الرئيس العراقي، الذي دعم الوحدة اليمنية بقوة من جهة، وبعض حكام الخليج العربي من جهة ثانية، وكان ذلك الصراع قد عبر عن نفسه من خلال تشكيل مجلس التعاون العربي، والذي بدأ في توقيته وكأنه رد على مجلس التعاون الخليجي الذي تأسس عام ١٩٨١، ولم يضم العراق أو اليمن كما سعى الشطر الشمالي في ظل مشاكل حدودية مع السعودية، إلى التقارب مع العراق في محاولة للموازنة إزاء النفوذ السعودي^(٢٥).

ب. الموقف الإيراني.

كانت العلاقات بين اليمن وإيران علاقات طبيعية حالها كحال أي علاقات قائمة مع بلد إسلامي شقيق، هناك تبادل للزيارات بين المسؤولين والوفود الرسمية، وهناك تبادل تجاري وإن كان على مستوى محدود، حيث يقام في اليمن عدد من المعارض التجارية للمنتجات الإيرانية، إذ تواجدت رغبة مشتركة لدى الدولتين لتطوير علاقاتهما وفق مبدأ المصالح المشتركة، بحسب وجهة نظر القيادة الإيرانية، باعتبار إيران دولة إسلامية كبرى بإمكانها التحرك بفعالية ضمن العالم الإسلامي، كذلك ضمن نطاق المنطقة، جراء معطيات الجوار الجغرافي والعلاقات القديمة بين شعوب المنطقة والشعب الإيراني، فما ينبغي أن يسود في علاقات إيران مع أشقائها وجيرانها هو البحث عن القاسم المشترك الذي يحقق التقارب بين الجميع ويزيل أي شكوك أو هواجس وينمي التعاون والمصالح المشتركة، لأن ذلك من شأنه خدمة الجميع^(٢٦).

اهتمت القيادة الإيرانية بالتطورات الجارية في جنوب شبه الجزيرة العربية وفي اليمن، تحديداً، إذ عانت من اختلالات عميقة في علاقاتها مع دول الخليج العربي والولايات المتحدة،

ما شكل بيئة ضاغطة جعلتها تتبنى سياسة خارجية تقوم على أساس بناء وتشكيل شبكة من الروابط والتحالفات الإقليمية في المحيط السياسي والجغرافي لها لغرض امتلاك مزيد من القدرات على مواجهة التهديدات التي تتعرض لها ومن ثم زيادة فرصها في تعزيز مكانتها الإقليمية، فكانت في مقدمة الدول التي بادرت بالإعلان عن تأييدها ودعمها للوحدة اليمنية، فبدأت العلاقات الإيرانية - اليمنية تشهد تنامياً ملحوظاً في مختلف المستويات السياسية والثقافية والاقتصادية، ولعل زيارة وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي لليمن في عام ١٩٩١ لمباركة الوحدة، وإعلان رغبة بلاده بفتح صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الثنائية، كان لها أثر كبير في دفع العلاقات للمزيد أواصر التعاون، وقد ردت إيران بشكل إيجابي على رغبة اليمن في بناء علاقات وثيقة معها.

شكلت الوحدة اليمنية محط اهتمام صانع القرار في إيران، وقد اتضح ذلك من خلال لقاءات المسؤولين الإيرانيين مع نظرائهم اليمنيين وتصريحاتهم الرسمية بضرورة الحفاظ على وحدة اليمن، الأمر الذي شكل منعطفاً حقيقياً في تاريخ العلاقات الإيرانية- اليمنية، ودافعاً نحو تجاوز البلدين للماضي وإغلاق ملف الخلافات، جراء مساندة الشطر الشمالي للعراق إبان حرب الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨)، ولعل إصرار إيران على دعم وتأييد الوحدة اليمنية، مرده لإدراك القيادة الإيرانية أهمية اليمن الموحد كحليف تستطيع من خلاله تحقيق مصالحها الإستراتيجية في المنطقة، فضلاً عن تطابق موقف الدولتين في رفض الوجود الأجنبي في منطقة الخليج العربي^(٢٧).

المبحث الثالث: الموقف الدولي.

إن التنافس بين القوى الكبرى وعلى الأخص بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، قد شمل منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الإستراتيجية والغنية بالثروات الطبيعية، وأسندت مفاهيم الإستراتيجية السوفيتية في البحر الأحمر، على:

١. محاربة النفوذ الأمريكي في منطقة القرن الإفريقي وشبه الجزيرة العربية، وقد نجحت إلى حد ما في ذلك، إذ أقامت تحالفات ومعاهدات مع نظام الحكم في الشطر الجنوبي.
٢. محاولة نشر مبادئها الأيديولوجية في المنطقة العربية ومنطقة القرن الإفريقي.
٣. إيجاد موطيء قدم لأساطيلها البحرية في منطقة من أهم المناطق البحرية في العالم.
٤. الاستفادة من الثروات الطبيعية الهائلة الموجودة في المنطقة^(٢٨).

لكن شهد النصف الثاني من الثمانينات، تراجع حدة الحرب الباردة، مع وصول غورباتشيف Gorbachev إلى السلطة في الاتحاد السوفيتي (١٥ آذار ١٩٨٥- ٢٥ كانون الأول ١٩٩١) ، إذ قد دشّن برنامجاً متكاملاً للإصلاح اقتصادياً (البيريسترويكا)، إلى جانب إعادة هيكلة السياسة الخارجية السوفيتية، وقد انطلق التوجه الجديد في مجال السياسة الخارجية من مجموعة من المبادئ التي مثلت إعادة هيكلة للعلاقات مع الولايات المتحدة على أساس التعاون، لا الصراع، أهمها، توازن المصالح، وليس توازن القوى، والاعتماد المتبادل، والأمن كل لا يتجزأ، ونبذ الحرب، وبدء مرحلة جديدة من العلاقات السوفيتية- الأمريكية، قوامها الحوار وتكثيف الاتصالات بين البلدين، والاحترام المتبادل، وبناء الثقة، وتجاوز الاختلافات الأيديولوجية، وتهدئة النزاعات الإقليمية، وإنهاء بؤر التوتر مع الولايات المتحدة في دول العالم الثالث بصفة عامة، مما أدى إلى تراجع نسبي في حدة المواجهة بين القوتين العظميين في المنطقة العربية^(٢٩).

إن المتغيرات والأحداث التي شهدتها النظام السياسي الدولي منذ نهاية عقد الثمانينات نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي وكتلته الشرقية بآثارها السلبية والإيجابية على شطري اليمن، قد عجلت من قيام دولة الوحدة التي بدأت إرهاصاتها الأولى مطلع السبعينيات، و تراوحت ما بين

مد وجزر، تلك الوحدة التي صنعت نظاماً سياسياً موحداً فضل خيار الديمقراطية والمشاركة السياسية استجابة لمتطلبات الوضع السياسي الدولي وركوب موجة الديمقراطية التي عمت مناطق كثيرة في العالم الثالث^(٣٠).

لذا وبالرغم من تنافس القطبين الدوليين وتصادم مصالحهما في مدة الحرب الباردة إلا أنه بعد انتهائها وانهيار الاتحاد السوفيتي في ٢٦ كانون الأول ١٩٩١، ثم انسحابه من الساحة الدولية وانحصاره داخل حدوده نتيجة المتغيرات الداخلية، فقد اختفى التنافس بين القطبين وإن بقيت المصالح قائمة^(٣١).

كانت العلاقات اليمنية- الأمريكية خلال هذه المرحلة تسير في ظل توازن دولي أفرزته نتائج الحرب العالمية الثانية بين المعسكرين الغربي والشرقي، وكان المبدأ الاشتراكي هو السائد في الشطر الجنوبي عقب الاستقلال عام ١٩٦٧ في حين اكتفى الشطر الشمالي بإقامة علاقات متوازنة مع المعسكرين، وهو ما ألقى بتأثيراته على العلاقات اليمنية- الأمريكية، إذ توجهت السياسة الأمريكية إلى دعم الشطر الشمالي لمحاصرة المد الشيوعي في الشطر الجنوبي وبعد انتهاء الحرب الباردة وقيام الوحدة اليمنية، دخلت العلاقات مرحلة جديدة أكثر تطوراً، لاسيما بعد اعتماد النهج الديمقراطي أداة للتداول السلمي للسلطة، ممثلاً بذلك أنموذجاً يحتذى به في المنطقة وأن يحظى بالدعم الأمريكي^(٣٢).

رحبت الحكومة الأمريكية باتفاق ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٩، بوصفه تطوراً يدعم الأمن والاستقرار في هذه المنطقة الإستراتيجية المهمة في شبه الجزيرة العربية، وصرح الرئيس الأمريكي جورج بوش George Bush أثناء زيارة علي عبدالله صالح لواشنطن في ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٠، بأن "الولايات المتحدة قادرة على تقديم المساعدة لليمن لتحقيق بعض الأهداف في الاقتصاد والتنمية، وأن واشنطن زادت برنامج المعونات الغذائية (400-PL) لهذه السنة".

من الأرجح أن الولايات المتحدة وجدت في الوحدة اليمنية فرصة سانحة لتقليص النفوذ السوفيتي واليساري في الشطر الجنوبي، ووجدت في الرئيس اليمني علي عبدالله صالح ضالتها، وكتعبير عن تقديرها لدوره في إنجاز الوحدة اليمنية استقبلته في أول زيارة رسمية يقوم بها كرئيس يمني للولايات المتحدة في ٢١ أيار ١٩٩٠، وتم توقيع عدد من الاتفاقيات للمساعدة الاقتصادية^(٣٣).

إن الولايات المتحدة لم تقم بموقف المتفرج إبان تحقيق الوحدة اليمنية بل أيدت قيامها، يحدها عدد من الأسباب أهمها:

١. مصالح شركات النفط الأمريكية إثر اكتشافها النفط بكميات تجارية في اليمن، مما دعا نائب الرئيس جورج بوش إلى زيارة اليمن لافتتاح خطوط تدفق النفط اليمني من الآبار إلى ميناء التصدير إلى الغرب.

٢. لليمن مكانة إستراتيجية في الجزيرة العربية، بسبب الموقع المهم والكثافة البشرية، مع وجود مستقبل نفطي واعد، كل هذه معطيات لا يمكن للولايات المتحدة تجاهلها.

٣. القضاء على ما تبقى من التوجهات اليسارية في الشطر الجنوبي التي قد تهدد أنظمة الحكم في الخليج العربي.

وقد عبر علي عبدالله صالح عن ذلك عندما أجاب على سؤال مراسل جريدة الحياة اللندنية، في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩٠:

* هل تعتقد أن المتغيرات الدولية ساعدت في تحقيق الوحدة اليمنية ؟

-فأجاب: نعم المتغيرات لها دور مساعد في إعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني لأن الظروف مواتية أكثر من أي وقت مضى يمنياً وإقليمياً ودولياً^(٣٤).

بالمقابل لليمن رؤية مبدئية ثابتة في علاقاته الإقليمية والدولية تقوم على أساس التعاون والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة، في الوقت الذي يرفض فيه التدخل في شؤونه الداخلية، ووفقاً لذلك سعى لإقامة علاقات متوازنة مع كافة الدول ومنها الولايات المتحدة التي تدرك أهمية الدور اليمني بالمنطقة بغية دعم السلام والاستقرار فيها^(٣٥). وفيما يخص العلاقة مع الاتحاد الأوروبي، فقد شهدت تطورات متلاحقة سواء مع فرنسا التي لديها تعاون ممتاز مع اليمن، بحكم مصالحها المتعددة في المنطقة بالأخص الاقتصادية منها، أو مع ألمانيا التي تمثل العلاقات معها حالة نموذجية مثلى، إذ تقدم دعماً سخياً لليمن لصالح مسيرة التنمية والديمقراطية، بحكم وجود خصوصية في علاقاتها ترتبط بالتجربة المماثلة التي عاشها البلدان في ظل التشطير، ثم إعلان الوحدة الألمانية بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٨٩، وما بذلاه من جهود من أجل وحدتهما التي شاءت الظروف أن تتحقق بفارق زمني بسيط، ناهيك عما واجهه البلدين من قضايا ومشكلات متقاربة نتجت عن عملية إعادة الاندماج الوطني في كلا البلدين والتغلب على آثار التشطير^(٣٦).

وبالنسبة لبريطانيا رحبت الحكومة البريطانية بالوحدة اليمنية، إذ جاء في كلمة المندوب البريطاني للأمم المتحدة في ٢٥ أيار ١٩٩٠ "نتقدم بالتهنئة لليمن بإعادة وحدته، ومنذ أمد طويل، وهناك روابط بين بريطانيا واليمن، ونحن نرى في هذه الوحدة قوة للاستقرار في المنطقة، ونرحب بها كثيراً، ونهنيء قيادة اليمن في الوصول إلى هذا الانجاز العظيم"^(٣٧). يظهر هذا التوجه الجديد، إنه على الرغم مما ساد تاريخ العلاقات البريطانية- اليمنية من تعقيدات ومعضلات ناتجة عن مخلفات الاستعمار البريطاني للشطر الجنوبي (١٨٣٩- ١٩٦٧)، إلا أن الرغبة المشتركة لقيادة البلدين في طي صفحات تجارب الماضي المريرة، والتطلع لبناء قاعدة جديدة للعلاقات تُبنى على مبدأ المصالح المشتركة، لتطوير مجالات التعاون، كما حظي اليمن بعلاقات ممتازة وتعاون متطور مع هولندا التي قدمت هي الأخرى دعمها لمسيرة التنمية والديمقراطية الناشئة في البلاد، كذلك ترسخت العلاقات مع إيطاليا وبلجيكا وباقي دول المجموعة الأوروبية، تلك التي أبدت إعجابها بالنهج الديمقراطي الجديد في دولة الوحدة اليمنية^(٣٨).

الخاتمة

لم يكن تحقيق الوحدة اليمنية في ٢٢ أيار ١٩٩٠، بالحدث العابر في تاريخ اليمن المعاصر، بل جاء لينهي حالة التشطي والانقسام الداخلي التي استمرت منذ العام ١٨٣٩، كما اقتضى الأمر سلسلة من النقاشات والاتفاقيات المختلفة منذ اتفاق القاهرة بتاريخ ١٣ أيلول ١٩٧٢، الذي شكل نقطة الشروع لمسيرة الوحدة اليمنية، وتم بوساطة الجامعة العربية، ما يعطي مؤشر مهم عن دور الأطراف الفاعلة على الساحة السياسية سواء عربياً أو دولياً في التأثير على مسار الوحدة.

لقد تأثرت العلاقة بين شطري اليمن بحالة التنافس الدولي أثناء الحرب الباردة، فأُتجه نظام الحكم في الجنوب نحو المعسكر الشرقي ونشط في تبني وتطبيق فلسفته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مستنداً في ذلك على دعمه العقائدي بالأساس، كما حظي بمختلف أنواع الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري، في حين مال النظام السياسي في الشمال نحو المعسكر الغربي، لكن مع الاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع الاتحاد السوفيتي، وقامت السعودية بدور الوسيط في علاقة الشطر الشمالي بالولايات المتحدة والدول الغربية، فحصل من جرائها على الدعم السياسي والعسكري.

لقد شهد النصف الثاني من الثمانينات، تراجع حدة الحرب الباردة، مع وصول غورباتشيف إلى السلطة بالاتحاد السوفيتي في آذار ١٩٨٥، فقد دشّن برنامجاً متكاملاً للإصلاح اقتصادياً

(البيريسترويكا)، إلى جانب إعادة هيكلة السياسة الخارجية السوفيتية، وقد انطلق التوجه الجديد في مجال السياسة الخارجية من مجموعة من المبادئ التي مثلت إعادة هيكلة للعلاقات مع الولايات المتحدة على أساس التعاون، لا الصراع، أهمها، توازن المصالح، وليس توازن القوى، والاعتماد المتبادل، والأمن كل لا يتجزأ، ونبذ الحرب، وبدء مرحلة جديدة من العلاقات السوفيتية- الأمريكية، قوامها الحوار وتكثيف الاتصالات بين البلدين، والاحترام المتبادل، وبناء الثقة، وتجاوز الاختلافات الأيديولوجية، وتهنئة النزاعات الإقليمية، وإنهاء بؤر التوتر مع الولايات المتحدة في دول العالم الثالث بصفة عامة، مما أدى إلى تراجع نسبي في حدة المواجهة بين القوتين العظميين في المنطقة العربية.

يُعد قيام الوحدة وما تلاها من تحولات دستورية في البلاد نقلة نوعية في حياة اليمن السياسية، كونها سجلت انعطافة مهمة على طريق تطبيق الديمقراطية واقترب البلاد من التعددية والمشاركة السياسية الحقيقية في الحكم، كما تأثرت الحياة السياسية في الشطر الشمالي كما هو الحال في الشطر الجنوبي، بطبيعة التوازنات الإقليمية والدولية التي أفرزها الواقع الدولي، ولاسيما توجهات بعض القوى الفاعلة في منطقة الخليج والجزيرة العربية وعلى تخومه خلال مدة الحرب الباردة، وما فرضته الأحداث والتحولات السياسية الكبرى التي شهدتها مدة مابعد الحرب الباردة من حقائق ومعطيات جديدة كانت لها تأثيراتها على الساحة السياسية في المنطقة والتي تمثلت بظهور حراك سياسي- اجتماعي كانت له انعكاساته على مجمل الحياة السياسية فيها، فضلاً عن دور المنظمة الدولية في إقرار مبدأ عدم التدخل الإنساني مطلع تسعينات القرن العشرين، إذ أصبحت قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان، مبدأ مهم من مبادئ القانون الدولي والدعوة إلى التحديث والإصلاح السياسي.

بالإجمال ظهر واقع جديد بالنسبة لدور اليمن في خارطة التوازن الإقليمي، إذ تضاعفت إمكانيات اليمن في المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وأضحت ذات قيمة إستراتيجية في جنوب شبه الجزيرة العربية، عقب أن فرضت نفسها طرفاً إقليمياً واعداداً بدور مرموق على مستوى العلاقات الإقليمية والدولية في منطقة شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام إقليمي متميز لاعتبارات عدة أهمها اعتبارات الأمن والاستقرار الذي تُعد اليمن أحد أركانه الأساسية في منطقة من أكثر مناطق العالم أهمية.

الهوامش.

١. حسن كريم محمد الشمري، الأهمية الجيوبولتيكية لليمن في الصراع الإقليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٧، ص ٤٠-٤١.
٢. أديان عامر عبد الكريم، الأهمية الجيوبولتيكية للبحر الأحمر في الإستراتيجيات الإقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٨، ص ٤١-٤٢.
٣. فضل عبد الغني أحمد المعادين، اليمن والأمن القومي العربي (دراسة في الجغرافية السياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٤، ص ٥٣.
٤. د. محمد صالح ربيع العجيلي، مدن الموانئ العربية (تحليل جيواستراتيجي)، ط ١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠، ص ٥٣.
٥. أديان عامر عبد الكريم، المصدر السابق، ص ١٢.
٦. فضل عبد الغني أحمد المعادين، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤. للتفاصيل ينظر: د. محمد صالح ربيع العجيلي، المصدر السابق، ص ٥٤-٨٤.
٧. المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، أثر العوامل الخارجية في الحياة السياسية اليمنية، دراسات دولية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد ٤٩، تموز ٢٠١١،

- ص ١٢٨-١٢٩ . للتفاصيل ينظر: خالد بن محمد القاسمي، اتفاق صنعاء مسار جديد في طريق الوحدة اليمنية، ط١، الشارقة، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٩٠.
٨. فيصل جلول، اليمن (الثورتان، الجمهوريتان، الوحدة ١٩٦٢-١٩٩٠) ط٢، بيروت، دار الجديد، ٢٠٠٠، ص٥. للتفاصيل ينظر: صالح حسين الحاذق، الوحدة اليمنية (نواة الوحدة العربية الشاملة)، عدن، مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر، ١٩٩٢، ص١٠٣-١٨٤؛ د. سمير عبد الرسول العبيدي، تجربة الوحدة اليمنية (دراسة تاريخية - سياسية)، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٩، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص١٠٢-١١٣.
٩. جمال سند السويدي (إعداد) و آخرون، حرب اليمن ١٩٩٤ الأسباب والنتائج، ط١، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ١٩٩٥، ص١٠-١٢. للتفاصيل ينظر: عبد الرحمن يوسف بن حارب، الوحدة اليمنية التاريخ- الواقع- المستقبل، ط١، الشارقة، دار الثقافة العربية، ١٩٩٠، ص ٦٩-٢١٢.
١٠. عبد العزيز محمد ناصر الكميم، الوحدة اليمنية (دراسة سياسية في عوامل الاستقرار والتحديات)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، كانون الثاني ١٩٩٦، ص٦٦. للتفاصيل ينظر: المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣٩.
١١. سعيد أحمد الجناحي، الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة، ط١، الجمهورية اليمنية، صنعاء، مركز الأمل للدراسات والنشر، ١٩٩٢، ص٥٨٧.
١٢. الدكتورة نورهان الشيخ، موقف الاتحاد السوفيتي وروسيا من الوحدة العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير ٢٠١٣، ص١٦٠-١٦١. للتفاصيل ينظر: سمير محمد أحمد العبدلي، الوحدة اليمنية والنظام الإقليمي العربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧، ص ١٠٥-١١١.
١٣. حسن أبو طالب، الوحدة اليمنية دراسات في عملية التحول من التشطير إلى الوحدة، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني ١٩٩٤، ص ٣١٠.
١٤. للتفاصيل ينظر: محمد أحمد العشملي، من أوهام الهزيمة إلى واقعية النصر (دولة الوحدة اليمنية وتحديات المستقبل)، ط١، صنعاء، مركز النهار للدراسات السياسية، ١٩٩٨، ص ١٥٣-٢٥٧.
١٥. المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، المصدر السابق، ص ١٢٩. للتفاصيل ينظر: د. أحمد سيد حسين، دور القيادة السياسية في إعادة بناء الدولة (روسيا في عهد بوتين)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (١١٤)، نيسان ٢٠١٥، ص ٢٠١-٢١١.
١٦. ولاء عبد جالي الحميداوي، العلاقات الإيرانية - اليمنية بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٥، ص ٨٤.
١٧. حسن أبو طالب، المصدر السابق، ٣١٢. للتفاصيل ينظر: فضل عبد الغني أحمد المعادين، المصدر السابق، ص ١٢٠-٢٠١.
١٨. عبد العزيز محمد ناصر الكميم، المصدر السابق، ص ٦٨.
١٩. إبراهيم العشماوي، الوحدة اليمنية بعيون عربية، ط١، صنعاء، منشورات صحيفة ٢٦ سبتمبر، ١٩٩١، ص ٦٥-٦٦.
٢٠. المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، المصدر السابق، ص ١٤٦-١٤٩.
٢١. رياض نجيب الريس، رياح الجنوب (اليمن ودوره في الجزيرة العربية ١٩٩٠-١٩٩٧)، ط١، بيروت- لندن، رياض الريس للكتب والنشر، أيلول ١٩٩٨، ص ٦٧-٦٨.

٢٢. عبد العزيز محمد ناصر الكميم، المصدر السابق، ص ٦٩ .
٢٣. إبراهيم العشماوي، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦ . للتفاصيل ينظر: سمير محمد أحمد
العبدلي، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٤ .
٢٤. سمير محمد أحمد العبدلي، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٤ .
٢٥. عبدالله الفقيه، التكتل على قاعدة الديمقراطية في الجمهورية اليمنية ١٩٩٠-٢٠٠٩
(المحاولات، والمعوقات، والشروط المطلوبة)، مجموعة بحوث ضمن كتاب (نحو كتلة
ديمقراطية في البلدان العربية)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، آذار ٢٠١٠،
ص ١١٠ .
٢٦. رياض نجيب الريس، المصدر السابق، ص ٦٤-٦٥ .
٢٧. ولاء عبد جالي الحميداوي، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٧ .
٢٨. سمير محمد أحمد العبدلي، المصدر السابق، ص ٣٢٨-٣٢٩ .
٢٩. الدكتورة نورهان الشيخ، المصدر السابق، ص ١٦٢ للتفاصيل ينظر: سمير محمد أحمد
العبدلي، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٦ .
٣٠. المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، المصدر السابق، ص ١٥٢. للتفاصيل ينظر:
دلمى مضر الأمانة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة
العربية، (ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧٣)،
آذار ٢٠٠٩، ص ٨٥-٩٤ .
٣١. سمير محمد أحمد العبدلي، المصدر السابق، ص ٣٢٩ . للتفاصيل ينظر: دناظم عبد
الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية- الأوروبية على قضايا الأمة العربية (حقبة ما بعد
نهاية الحرب الباردة)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني ٢٠٠٧،
ص ٩٩-١٠٣ .
٣٢. المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، المصدر السابق، ص ١٤٨-١٤٩ .
٣٣. د.علي الدين هلال، الدول الكبرى والوحدة العربية ١٩١٥-٢٠١٥، (ط١، بيروت،
مركز دراسات الوحدة العربية، حزيران ٢٠١٧، ص ١٨٧-١٨٨ .
٣٤. سمير محمد أحمد العبدلي، المصدر السابق، ص ٨٠-٨١ .
٣٥. رياض نجيب الريس، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣ .
٣٦. المصدر نفسه، ص ٧٣ .
٣٧. د.علي الدين هلال، المصدر السابق، ص ١٨٨ .
٣٨. رياض نجيب الريس، المصدر السابق، ص ٧٤ .

المصادر.

أ.الرسائل الجامعية غير المنشورة.

١. أديان عامر عبد الكريم، الأهمية الجيوبوليتيكية للبحر الأحمر في الإستراتيجيات
الإقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٨ .
٢. حسن كريم محمد الشمري، الأهمية الجيوبوليتيكية لليمن في الصراع الإقليمي، رسالة
ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٧ .
٣. عبد العزيز محمد ناصر الكميم، الوحدة اليمنية (دراسة سياسية في عوامل الاستقرار
والتحديات)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، كانون الثاني
١٩٩٦ .
٤. فضل عبد الغني أحمد المعادين، اليمن والأمن القومي العربي (دراسة في الجغرافية
السياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٤ .

٥. ولاء عبد جالي الحميداوي، العلاقات الإيرانية - اليمنية بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٥.

ب. الكتب العربية.

١. إبراهيم العشماوي، الوحدة اليمنية بعيون عربية، ط١، صنعاء، منشورات صحيفة ٢٦ سبتمبر، ١٩٩١.

٢. د.أحمد سيد حسين، دور القيادة السياسية في إعادة بناء الدولة (روسيا في عهد بوتين)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (١١٤)، نيسان ٢٠١٥.

٣. جمال سند السويدي (إعداد) و آخرون، حرب اليمن ١٩٩٤ الأسباب والنتائج، ط١، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ١٩٩٥.

٣. حسن أبو طالب، الوحدة اليمنية دراسات في عملية التحول من التشطير إلى الوحدة، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني ١٩٩٤.

٤. خالد بن محمد القاسمي، اتفاق صنعاء مسار جديد في طريق الوحدة اليمنية، ط١، الشارقة، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٩٠.

٥. رياض نجيب الريس، رياح الجنوب (اليمن ودوره في الجزيرة العربية ١٩٩٠-١٩٩٧)، ط١، بيروت- لندن، رياض الريس للكتب والنشر، أيلول ١٩٩٨.

٦. سعيد أحمد الجناحي، الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة، ط١، الجمهورية اليمنية، صنعاء، مركز الأمل للدراسات والنشر، ١٩٩٢.

٧. سمير محمد أحمد العبدلي، الوحدة اليمنية والنظام الإقليمي العربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧.

٨. صالح حسين الحاذق، الوحدة اليمنية (نواة الوحدة العربية الشاملة)، عدن، مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر، ١٩٩٢.

٩. عبد الرحمن يوسف بن حارب، الوحدة اليمنية التاريخ- الواقع- المستقبل، ط١، الشارقة، دار الثقافة العربية، ١٩٩٠.

١٠. عبدالله الفقيه، التكتل على قاعدة الديمقراطية في الجمهورية اليمنية ١٩٩٠-٢٠٠٩ (المحاولات، والمعوقات، والشروط المطلوبة)، مجموعة بحوث ضمن كتاب (نحو كتلة ديمقراطية في البلدان العربية)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، آذار ٢٠١٠.

١١. د.علي الدين هلال، الدول الكبرى والوحدة العربية ١٩١٥-٢٠١٥، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، حزيران ٢٠١٧.

١٢. فيصل جلول، اليمن (الثورتان، الجمهوريتان، الوحدة ١٩٦٢-١٩٩٠) ط٢، بيروت، دار الجديد، ٢٠٠٠.

١٣. د.لمى مضر الأمانة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧٣)، آذار ٢٠٠٩.

١٤. محمد أحمد العشملي، من أوهام الهزيمة إلى واقعية النصر (دولة الوحدة اليمنية وتحديات المستقبل)، ط١، صنعاء، مركز النهار للدراسات السياسية، ١٩٩٨.

١٥. د.محمد صالح ربيع العجيلي، مدن الموانئ العربية (تحليل جيواستراتيجي)، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠، ص ٥٣.

١٦. د.ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية- الأوروبية على قضايا الأمة العربية (حقبة ما بعد نهاية الحرب الباردة)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني ٢٠٠٧ .

١٧. الدكتورة نورهان الشيخ، موقف الاتحاد السوفيتي وروسيا من الوحدة العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير ٢٠١٣ .

ج.البحوث المنشورة.

١. د.سمير عبد الرسول العبيدي، تجربة الوحدة اليمنية (دراسة تاريخية – سياسية) ،المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٩ ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- ٢.المدرس الدكتور علي محمد حسين العامري، اثر العوامل الخارجية في الحياة السياسية اليمنية، دراسات دولية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد ٤٩، تموز ٢٠١١ .

البعد الجيوستراتيجي الدولي للمشرق العربي بعد عام ٢٠٠١

ا.د. نوار محمد ربيع الخيري
كلية العلوم السياسية

المقدمة :

يحظى الشرق الأوسط عامةً والمشرق العربي تحديداً بأهمية واضحة وكبيرة في التفكير الاستراتيجي الدولي ابتداءً وفي التطبيق الاستراتيجي لاحقاً ، فهو يمثل بوابة المصالح الدولية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لما يحمله من مميزات متمثلة بالموقع الجغرافي الاستراتيجي الرابط بين قارات العالم ، إلى جانب ما يزخر به من مواد خام ولاسيما من المعادن وموارد الطاقة من النفط والغاز ، الأمر الذي جعل المنطقة محل تنافس وتواجد للقوى الدولية وبأشكال ومسميات مختلفة وعلى مر المراحل التاريخية ، إلا إن بعض تلك المراحل وبعض الأحداث الدولية الكبيرة والمؤثرة تسجل انعطافة في واقع ومتغيرات النظام السياسي الدولي ، فكانت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ قد سجلت تلك الانعطافة الجديدة في التفكير الاستراتيجي الدولي حيال منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية و المشرق العربي تحديداً من خلال التأثيرات التي أفرزتها والمتغيرات التي رافقتها وأعقبها ، إذ أفرزت تلك الأحداث عاملاً مؤثراً بشكل جديد وهو الإسلام والمقصود هنا الجماعات الإسلامية المتطرفة ، بمعنى التركيز على المنطقة العربية والإسلامية بشكل خاص ، فاندفعت القوى الدولية ولاسيما الغربية والولايات المتحدة الأمريكية تحديداً للاقتصاص من تلك الجماعات وإعلان الحرب على الإرهاب في تلك المنطقة المحورية الأهمية ، فكانت الحملة موجهة ضد أكثر من دولة من دول المنطقة سواء بشكل احتلال مباشر أو سيطرة - تبعية- أو مساعدات اقتصادية وأمنية ، أو حتى من خلال البرامج الثقافية ، تستطيع فيها القوة الأمريكية من رسم خطتها واستراتيجياتها للمنطقة وتنفيذها بما يحقق أهدافها ويعمق تواجدها فيها الذي تجد فيه ضرورة لأنها على الرغم من كونها تمثل القوة العظمى الوحيدة في النظام الدولي إلا أنها تواجه قوى دولية أخرى تسعى إلى منافستها ومزاحمتها على المصالح في المنطقة . استناداً إلى ما تقدم يقوم البحث على افتراض ان منطقة المشرق العربي التي تعرضت سابقاً إلى مراحل من الاحتلال والسيطرة الاستعمارية على وفق (اتفاقية سايكس- بيكو) تمر اليوم بمرحلة أخرى جديدة من التنافس والصراع الدولي لما تشكله من أهمية جيوسراتيجية كبيرة وبطرق جديدة وآليات مستحدثة وعلى وفق رؤية ومصالحة وقدرة كل قوة دولية . وعليه سنتناول البحث في إعطاء صورة عن منطقة المشرق العربي ، ثم توضيح تأثير أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ على السياسة الأمريكية ، وسياسات ومواقف القوى الدولية في مرحلة ما بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ ، والتنافس الدولي على منطقة المشرق العربي والموقف العربي حيال ذلك .

- ومن الله التوفيق -

- أولاً : نظرة عامة على المشرق العربي :

المشرق العربي كمصطلح جغرافي يطلق على المنطقة التي تشكل جزءاً من الشرق الأوسط والجزء الشرقي من الوطن العربي ، ويمتد - أي المشرق العربي- من البحر الأبيض المتوسط غرباً حتى هضبة إيران شرقاً ، ويضم دول الهلال الخصيب أساساً وهي كل من العراق وسوريا وفلسطين والأردن ولبنان إلى جانب دول شبه الجزيرة العربية وهي المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن وحياناً تضاف له كل من مصر والسودان من قبل البعض^١ .

لقد تعرضت منطقة المشرق العربي إلى غزوات وحروب وعلى مختلف المراحل التاريخية من الإغريق والرومان والبيزنطيين والصليبيين والمغول مروراً باحتلال الدولة العثمانية و من ثم استعمار الدول الأوروبية ممثلاً ببريطانيا وفرنسا في التاريخ الحديث والاحتلال (الإسرائيلي) لأراضي فلسطين وانتهاءً بالاحتلال الأمريكي للعراق^٢ ، إلى جانب الأوضاع غير المستقرة في بقية الدول العربية .

لقد جاءت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ لتعزز الاهتمام الأمريكي - لاسيما مع وجود الجمهوريين آنذاك - وصعود المحافظين الجدد - وتركيزهم الجغرافي الشرق أوسطي - بالشرق الأوسط وبالتحديد المشرق العربي ذي الأهمية الجيوستراتيجية^٣ ، والاقتصادية بمخزونه من مصادر الطاقة العالمية من النفط والغاز إلى جانب وجود أكثر نقاط التوتر والصراع المباشر وغير المباشر والمؤثرة في سياسات ومصالح القوى الدولية الكبرى ولاسيما السياسة الأمريكية^٤ .

- ثانياً : أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ والسياسة الأمريكية :

بعد أن تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية لأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ بدأت بصياغة خطاب سياسي جديد للتعامل مع دول العالم بتشخيص الدول الصالحة وغير الصالحة أو دول محور الخير ودول محور الشر. وقد تضمن ذلك سياسة التشدد مع الدول المسلمة لاسيما الدول العربية واتهام الإسلام والمسلمين بأنهم يميلون إلى العنف ورفض القيم الغربية مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وفي الإطار نفسه أعيدت فكرة نظرية صراع الحضارات التي كان (صامويل هانتنغتون) قد طرحها قبل أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ بتقسيمهم العالم إلى عالم الخير متمثلاً بحضارة الغرب وعالم الشر متمثلاً ببعض الدول العربية والمسلمة المارقة . وقد توسعت النظرة الأمريكية لأهمية الأيديولوجيا في الحرب على الإرهاب بالتركيز على التدخل في الجوانب الثقافية والتعليمية للشعوب ولاسيما العربية المسلمة ، للحيلولة دون ظهور التيارات الدينية المناقضة للعولمة والفكر والحضارة الغربية^٥ . كما اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ إلى إعطاء الأولوية للحرب على الإرهاب واستعمال أسلوب الضربات الوقائية ضد التهديدات من المجموعات المسلحة^٦ ، وقد أصدر مجلس الأمن في الأمم المتحدة قراره المرقم ١٣٦٨ الذي أعطى التفويض للولايات المتحدة الأمريكية للرد على المعتدين والمسؤولين عن اعتداء ١١ أيلول ٢٠٠١ من خلال الإجراءات التي سنتخذها وترى إنها مناسبة وأياً كان نوعها^٦ .

إن فكرة التقسيم القديمة التي كانت منذ (اتفاقية سايكس- بيكو) لتجزئة الدول العربية عاودت الظهور بعد عام ٢٠٠١ من خلال مشاريع الحكم الفيدرالي ودعم القوى المجتمعية من خلال الدخول من مدخل دعم الديمقراطية وتمكين الأقليات ، وقد تجسدت بدراسات وخرائط ومراكز الفكر والبحوث الغربية وأبرز هذه الخرائط دراسة (حدود الدم) للنايب الأسبق لرئيس هيئة الأركان الأمريكي (رالف بينترز) في مجلة القوات المسلحة الأمريكية . تبعها في

المرحلة ما بين عامي ٢٠٠٧ - ٢٠١٠ دعوة مراكز البحث الغربية إلى دعم مطالب المعارضة الراديكالية بالانفصال السياسي والحكم الذاتي ، وبرزت في مظاهر التعاون بين المؤسسات الرسمية الغربية وبعض الجماعات المتطرفة التي تدعو للانفصال السياسي والاستقلال الإداري ، فتقدم بعض الباحثين الغربيين بطروحات لإعادة رسم خريطة المشرق العربي على أسس أثنوية ومذهبية . وفي مرحلة لاحقة في المدة ما بين عامي ٢٠١١ و ٢٠١٣ ومع حركة التغيير في الدول العربية ظهر مفهوم (التجزئة داخل الحدود) فتبنت مراكز البحوث الغربية أطروحات تتضمن الدعوة إلى تأسيس كيانات فيدرالية أو إلى إعادة فرز القوى المجتمعية وفق معادلة تقنينية تقوم على التقاسم بين القوى المجتمعية داخل الدولة الواحدة ، إذ يرى المنظرين الغربيين إن الخلافات الحدودية وتدهور العلاقات الأثنوية الداخلية والبيئية للدول العربية تهدد منظومات الأمن الدولية كلها ما يستدعي التدخل الخارجي لمعالجة بؤر التوتر المحلية لبعض الدول المشرقية ، فاعترفت الدول الغربية والمجتمع الدولي بخطر الجماعات المتطرفة وتعرض مصالح الدول الغربية من طرق الإمداد لمصادر الطاقة للتهديد من قبل تلك الجماعات لاسيما في الدول الهشة . إذن فقد قادت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ والمرحلة التي أعقبها إلى تبني الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية أمنية جديدة لمواجهة الفكر المتطرف في بعض دول الشرق الأوسط والمشرق العربي من خلال توظيف القوى المجتمعية داخل هذه الدول لغرض إحداث تغييرات في بنية ومؤسسات الإدارة والحكم^٧ .

تنطلق الاستراتيجية الأمريكية اتجاه دول الشرق من مرتكزين يتمثل الأول باتخاذ القرار السليم بعد تجربة كل الخيارات والبدائل ، والثاني يعتمد على دور المؤسسات الأمنية والاستخباراتية ومراكز الفكر وليس الدور العسكري المباشر ، وهذه المؤسسات تعمل وفق ثوابت تهدف إلى خدمة المصالح الأمريكية بغض النظر عن مصالح دول المنطقة، إلى جانب ذلك ان السياسة الأمريكية اتجاه الشرق تسعى من خلالها إلى السيطرة على كل الاتجاهات أو الأطراف حتى المتناقضة ، أي إجادة إدارة المتناقضات والتعامل مع الشيء وضده- أي أطراف الصراع أو الخلاف-، فعلى الصعيد الاقتصادي تخطط السياسة الأمريكية لتقليل وإيقاف الاستثمار عالي التكلفة في أعماق البحار في مجال النفط وعدم التوسع في استخراج النفط الصخري بل ستعتمد على النفط الخليجي العربي منخفض القيمة بالدفع باتجاه خفض أسعاره وإغراق الأسواق النفطية بزيادة العرض ، في محاولة لتقليل المدخولات إلى تلك الدول المنتجة وسيؤدي ذلك إلى تقليل الإنفاق وتقليص الموازنات ولإسيما الخليجية وإيجاد حالة من الجمود الاقتصادي وإضعافها، لذا تقوم تلك الدول بالبحث والاعتماد على مصادر اقتصادية أخرى للاستثمار فيها وليس فقط النفط . وعلى الصعيد الأيديولوجي وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي حددت السياسة الأمريكية الإسلام كخصم حقيقي ومصدر الخطر للغرب وللولايات المتحدة الأمريكية التي تعمل على إضعاف الدول المسلمة من خلال تفجير الصراعات الداخلية والبيئية لإضعافها ، كما وتعمل على اشتداد الصراعات المسلحة بين الجماعات الإسلامية المختلفة لإبقاء حالة الحرب قائمة مع عدم امتلاك هذه الدول للقدرات العسكرية المتطورة^٨ . أي إن إدخال الإسلام والعامل الديني جاء من فكرة استراتيجية أمريكية حول ضرورة صناعة العدو الأخضر هو الأنسب وذلك لموقع دول العالم الإسلامي من الشرق الأوسط إلى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، وفي الوقت نفسه امتلاكها لمصادر الطاقة من النفط والغاز وللوفرة الديموغرافية فيها ، فكانت الحروب الأمريكية لما بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ أو ما أسمته الحرب على الإرهاب هو لإعادة ترتيب العالم حسب المصالح الأمريكية ، فتعددت المشاريع الخاصة بالشرق الأوسط والمشرق العربي فأضحت دول المشرق العربي ساحة

للصراع ومحاربة الإرهاب ، فكانت حروب النفط والغاز والمياه والإرهاب كوسائل للاعبين الدوليين والإقليميين في سعيهم لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية ومشاريع على حساب المنطقة العربية والدول المشرقية^٩ . وبعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية باحتلال أفغانستان عادت السياسة الأمريكية إلى استعمال سياسة مضادة للدول العربية ترافقها مع حملة إعلامية وسياسية ضد الدول العربية وتحديداً مصر والمملكة العربية السعودية فشهدت العلاقات العربية الأمريكية والغربية بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ حالة انعدام للثقة^{١٠} .

ثالثاً : الدور الروسي في المشرق العربي عام ٢٠٠١ :

أعدت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ تنبيه روسيا الاتحادية إلى ضرورة مراجعة الجغرافية السياسية والتركيز على مناطق استراتيجية مهمة في العالم ، ومراجعة سياستها اتجاه الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وضرورة أخذ دورها في النظام الدولي فقدمت نفسها كشريك للغرب في محاربه الإرهاب بدلاً من أن تكون مهدداً له ، فأضحى هناك تأييد وتعاون من دول شمال العالم الكبرى للسياسة والعمليات العسكرية الأمريكية من الأخطار التي ترى انها قادمة من دول جنوب العالم^{١١} ، إلا ان ذلك لا يعني ترسيخ للتعاون الروسي - الأمريكي بل العكس لأن هدف روسيا الاتحادية هو استعادة دورها الدولي ، ويتضح ذلك من تحول المشرق العربي إلى مركز للصراع الذي يعكس التنافس الروسي - الأمريكي في المشرق العربي وفي أماكن أخرى ، فروسيا الاتحادية تسعى لكسر الطوق الأمريكي بكل السبل وبشكل يوضح ان المشرق العربي هو ميدان الصراع بعده ميدان المصالح العالمية التي تحدد استراتيجيات القوى الكبرى وسلوكها السياسي المباشر وغير المباشر في المنطقة^{١٢} .

تبدو ملامح الرؤية الروسية في أخذ دورها ومكانها الدولي في الحرب في سوريا وفي تنويع علاقاتها لتشمل دول المشرق العربي^{١٣} ، فسعت إلى استكمال رسم حدودها السياسية وأهدافها في إطار عقيدة سياسية خارجية أمنية وعسكرية ، وحددت الوسائل التي تحقق ذلك من خلال تطوير علاقاتها مع الدول العربية والتنظيمات الإقليمية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي ، وأداء دور الوسيط (النزيه - من وجهة النظر الروسية-) في تسوية الخلافات العربية والشرق أوسطية ، ولتحقيق ذلك تعمل روسيا الاتحادية على الربط بين الدبلوماسية الروسية ومواقف الرأي العام العربي في تفسير التطورات في المنطقة التي تحمل الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها مسؤولية ما تؤول إليه الأوضاع ، وعدم الوثوق بالنوايا الأمريكية في تدخلها في المنطقة ، ناهيك عن استعمال روسيا الاتحادية عملية بيع السلاح لدول المنطقة كسوق لتصريف السلاح الروسي ولتوثيق علاقاتها مع دول المنطقة ، كتوقيع الصفقة التسليحية بين سوريا وروسيا الاتحادية التي تزود سوريا ب(٣٦) صاروخ دفاع جو (بانتيير- س1) ، وتوقيع اتفاقية بين روسيا الاتحادية والمملكة العربية السعودية للتعاون في المجالين العسكري والتقني^{١٤} .

لقد ركزت روسيا الاتحادية في عهد الرئيس فلاديمير بوتين على الدعم السياسي والدبلوماسي والاقتصادي لحلفائها الأساسيين المشرقيين من خلال الأسلحة والطاقة وأصبحت نتيجة توثيق علاقاتها ودورها لا تحتاج إلى جهد كبير لتأكيد نفوذها في المنطقة ، فوضعت نصب عينيها ضرورة تعميق وتعزيز تأثيرها الجيوبوليتيكي في المنطقة المشرقية كعمق جيواستراتيجي لها يساعدها في السيطرة أو الحضور الفاعل في مجريات السياسة الدولية ولاسيما ظاهرة الإرهاب ، واقتصادياً لأن منطقة الشرق تظل مكمل اقتصادي كبير ومهم لما تضمه من ثروات متعددة لجذب الاستثمارات للتغلب على الأزمات الاقتصادية الروسية ،

وعليه فقد احتفظت بل وطورت علاقات متينة مع دول الشرق الأوسط والشرق العربي لإثبات دورها في المنطقة وفي النظام الدولي بشكل عام^{١٥}.
لقد طورت روسيا الاتحادية علاقاتها مع مصر سياسياً واقتصادياً وعسكرياً منذ عام ٢٠٠١، إذ تبادل الطرفان زيارات رئاسية وفود عسكرية، وتم توقيع عدد من الاتفاقيات منها إنشاء محطة الضبعة النووية والاتفاق على سبل مواجهة انتشار الإرهاب والتطرف^{١٦}. وفي العراق عارضت روسيا الاتحادية الاحتلال الأمريكي ووصفته بالانتهاك للقانون الدولي، ورفضت مفهوم محور الشر الذي أطلقه الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش) لوصفه العراق وإيران وكوريا الشمالية، كما وكان لروسيا الاتحادية دور في تسليح العراق في مواجهة (داعش)^{١٧}.

ولا يقف الطموح الروسي عند تسجيل المواقف أو العلاقات السياسية والاقتصادية، بل تطمح إلى ما هو أبعد من ذلك الذي جسده في حالة سوريا، فقد سعت روسيا الاتحادية إلى الوصول إلى منفذ بحري في المنطقة فقد وقع الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) في كانون الأول ٢٠١٧ قانون توسيع قاعدتي (طرطوس وحميميم) لترسيخ الوجود الروسي في سوريا، وجلب حاملة الطائرات الروسية (كوزينسوف) إلى سوريا بهدف تحقيق التفوق البحري لروسيا الاتحادية في شرق البحر الأبيض المتوسط فهي ولاسيما في مرحلة تعزيز وجودها في المنطقة تستعمل وحسب المسؤولين الروس البحرية الروسية في سياق الردع غير النووي، كما وقامت روسيا الاتحادية بنشر أسلحة متطورة مثل نظام الدفاع الجوي القصير المدى (بانيسير) ونظام الدفاع الجوي (أماز أنتي S-400) المجهز بصواريخ أرض - جو (SAM) عالية الارتفاع في قاعدة (حميميم) الجوية ثم في مدينة (مصيف) الشمالية الغربية، إلى جانب نظام (كراسوخا) الأرضي للحرب الإلكترونية (KRET Krasukha-S4)، وكذلك نشرت نظام الدفاع الساحلي (باستيون K300PP)، ونظام الصواريخ الباليستي (إسكندر 9K720)^{١٨}.

إذن فالقيمة الجغرافية والاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط والشرق العربي فرضت على السياسة الروسية أن تضعها في مقدمة أولوياتها لأنه لا يمكن أن تتشكل بنية النظام الدولي بعيداً عن التأثير والأهمية الاستراتيجية للمنطقة التي تتحدد فيها مراكز التوازنات والقوى، إلى جانب كونها تحدد الأدوار الدولية والإقليمية وتأثيراتها، فتعمل روسيا الاتحادية على أن يكون لها دور ومكان في المنطقة^{١٩}، فقد كانت روسيا الاتحادية حاضرة في أوضاع التغيير في الدول العربية فعلى سبيل المثال أبدت اهتماماً بالتغيير في مصر وكانت التصريحات الروسية حذرة من الحراك الشعبي الاحتجاجي وما يحمله التغيير من أوضاع ومتغيرات جديدة، وبعد نجاح عملية التغيير جاء الدعم الروسي لذلك والرغبة في التعاون مع النظام الجديد^{٢٠}، ومع بقية الدول العربية كذلك تعمل روسيا الاتحادية على التنسيق والتعاون من خلال تقاربها مع دول الخليج العربي في المجال التقني والاقتصادي والاستراتيجي العسكري وفي مجال الطاقة والمجال الدبلوماسي من خلال النقاء المصالح العربية و الروسية، بل والسعي إلى الشراكة العربية - الروسية مستقبلاً، ففي مجال الطاقة تنسق روسيا الاتحادية مع الدول العربية في إطار محورين، الأول الحفاظ على استقرار السوق النفطية وضمان حد أدنى لأسعار النفط من خلال التحكم بالإنتاج، علماً ان روسيا الاتحادية تشترك في اجتماعات منظمة أوبك كمراقب، والثاني الاستثمار الروسي في قطاع النفط العربي من خلال المشاركة في عمليات البحث والتنقيب وتطوير الإنتاج لاسيما وهي تمتلك التكنولوجيا والخبرة في مجال التنقيب عن النفط واستخراجه، وفي مجال الصناعات البتروكيمياوية كذلك. وفي المجال

الاقتصادي تمثل الدول العربية سوقاً لاستيعاب الصادرات الروسية من السلع الاستراتيجية ،
ناهيك عن تنشيط صادراتها من الأسلحة لدول المنطقة لإنعاش الدخل القومي الروسي^{٢١} .

رابعاً : التنافس الدولي في المشرق العربي :

يتمثل التنافس الدولي في المشرق العربي بين القوى الدولية المتمثلة بالولايات المتحدة
الأمريكية و روسيا الاتحادية (موضوع البحث) ، والقوى الإقليمية متمثلة بتركيا وإيران في
سعي كل منها إلى الانتشار من خلال إثارة الأزمات والحروب في منطقة المشرق العربي من
لبنان إلى اليمن مع مشاركة (إسرائيلية) لإنهاء القضية الفلسطينية ، مقابل دور سوري يحاول
إيقاف الجيوبوليتيك الغربي وأدوار ضعيفة لبعض الدول العربية ، فالمنطقة العربية وتحديدًا
المشرق العربي تجابه تهديد التحول إلى أجزاء أو أقسام ، فالقوى الدولية وبقيادة أمريكية
تحاول إنشاء جيوبوليتيك جديد للمنطقة من قبل القوى الدولية يقابله جيوبوليتيك إقليمي ،
وتكون الدولة العربية ساحة المواجهة كجغرافية وبالوكالة كلاعبين ، مع الاستمرار باستنزاف
موارد الطاقة من النفط والموارد الأخرى ، فقد بدت الاستراتيجية الأمريكية أو الجيوبوليتيك
الأمريكي من عام ٢٠٠١ إلى ٢٠١٠ بالسيطرة المباشرة عن طريق الحروب العسكرية في
العراق وسوريا واليمن وبأشكال غير مباشرة في أماكن عربية أخرى ، كما واستعملت أسلوب
المكونات الداخلية القومية والأثنية والقبلية^{٢٢} ، إذ تسعى السياسة الأمريكية وفي ظل إدارة
الرئيس (دونالد ترامب) على جعل العلاقات بين الأنظمة العربية أكثر مصلحة وبعيدة عن
الأبعاد الأيديولوجية وتغليب حالة عدم التجانس الاجتماعي بين المجتمعات العربية والمشرقية
، والسعي لتفكيك الحركات الإسلامية وتكريس التمايزات العرقية والدينية والطائفية في الدول
العربية، والعمل على توجيه الدول العربية بأنظمتها السياسية إلى اقتصاد السوق كأولوية
للولايات المتحدة الأمريكية والابتعاد عن الحمائية الاقتصادية^{٢٣} .

أما روسيا الاتحادية أو الجيوبوليتيك الروسي فانطلق من السعي لإعادة مكانة روسيا
ودورها بل وتعزيزها بالتواصل الجغرافي بإيصال وجودها إلى سوريا للدفاع عن موسكو في
مناطق نفوذها أو مجالها الحيوي السابق في القوقاز وأوكرانيا وآسيا الوسطى ، وجاء بطريقة
التعاون عسكرياً وغير عسكرياً مع الدولة السورية والحلفاء الشرق أوسطيين . فانقسمت
المنطقة جيوبوليتيكياً إلى قسمين أمريكي وحلفائه في مواجهة روسي وحلفائه استناداً إلى
مصالح كل منهما^{٢٤} .

تعمل روسيا الاتحادية كذلك على جلب وجذب القوى الدولية المنسجمة معها كالصين في
التواجد والتأثير في الساحة المشرقية لإبعاد الدول الأخرى المتنافسة ولاسيما الغرب والولايات
المتحدة الأمريكية ومحاولة التفوق عليها بإرباكها في قضايا المنطقة الكثيرة والمختلفة ، إذ
قامت الاستراتيجية الروسية على التحرك العسكري المباشر لضمان مصالحها في مواجهة
الاستراتيجية الأمريكية الساعية إلى احتوائها ، بمعنى ان التدخل الروسي في الصراع في
سوريا يركز على هدف تحدي الهيمنة الأمريكية في الشؤون الدولية ، إلى جانب هدفها الآخر
في مساعدة نظام الرئيس السوري (بشار الأسد) الذي يعد الأكثر تحالفاً مع روسيا الاتحادية^{٢٥} ،
من أجل تسهيل تحقيق مصالحها في المنطقة ، ومواجهة الغرب وتهديدات حلف شمال
الأطلسي المستمرة لها^{٢٦} .

إذن فالسياسة الروسية تسعى إلى تحديد وتثبيت تحركاتها في المنطقة من خلال العمل على
إنهاء الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجياً عبر منافستها ومزاحمتها في المنطقة لأنها – أي
روسيا الاتحادية – تطمح إلى إعادة موازين القوى الدولية مع إدراكها ان قوتها لا تعادل أو
تكافئ القوة العسكرية أو الاقتصادية الأمريكية في مرحلة بناء القوة الروسية ، إلا إنها مع ذلك
ترفض أن تبقى كقوة من المرتبة الثانية ، وجسدت قوتها تلك بتموضع أسطولها مجدداً في

البحر الأبيض المتوسط مدعوماً بقاعدة عسكرية روسية في سوريا . وكذلك كانت الحرب الأمريكية على العراق قد أسهمت في ترسيخ النفوذ الروسي في المنطقة ، وفي جانب آخر كان موقف روسيا الاتحادية من وصول قيادات حركة حماس إلى الحكم في الأراضي الفلسطينية واستقبال قياداتها في روسيا عام ٢٠٠٧ القائمة على علاقاتها مع الحركة وقادتها قد شكل فرصة ومجال لروسيا الاتحادية لأن تعزز موقفها ودورها في المنطقة ، مع استمرار تطوير علاقاتها مع (إسرائيل) ومصالحها معها ، ناهيك عن المصلحة الاقتصادية التي تتوخاها وتسعى لها روسيا الاتحادية في المنطقة التي نجحت فيها- أي روسيا الاتحادية- في الموائمة بين أهدافها ومصالحها الاقتصادية والاستراتيجية^{٢٧} . فنشر روسيا الاتحادية لبحريتها في البحر الأبيض المتوسط لا يوازي أو يكافئ قدرات حلف شمال الأطلسي ، إلا إنها تسعى للحفاظ على ذلك التواجد البحري ولا تتخلى عن قواعدها في سوريا ، وكذلك بالنسبة لمصالحها الاستثمارية مع سوريا فقد ارتفع حجم التبادل التجاري بين سوريا وروسيا الاتحادية في عام ٢٠١١ إلى حوالي (١،٩٧) مليار دولار ، فبذلك تريد إفهام الولايات المتحدة الأمريكية أنها لن تتخلى عن مواقعها ودورها في المنطقة^{٢٨} ، وقد وضع وزير الخارجية الروسي (سيرجي لافروف) أهمية سوريا بالنسبة لروسيا الاتحادية (بأن سوريا من أهم الدول في الشرق الأوسط وان زعزعة الاستقرار هناك ستكون له عواقب وخيمة في مناطق بعيدة جداً عن سوريا نفسها) ، فروسيا الاتحادية ترى في سوريا نقطة ارتكاز مهمة وأساسية في أمن منطقة الشرق الأوسط وعدم الاستقرار فيها يؤدي إلى زعزعة الأوضاع في دول مجاورة ما يهدد الأمن الإقليمي بشكل حاد ، وما تخشاه روسيا الاتحادية هو أن يصل ذلك التهديد إلى أنظمة دول نطاق روسيا الاتحادية في آسيا الوسطى^{٢٩} .

فيما يتعلق بأدوار أو موقف القوى الدولية الأخرى كالاتحاد الأوروبي من التنافس الدولي في المشرق العربي بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ يلاحظ أنها لم تتحرك بشكل موحد رغم وحدتها في مجالات عدة ، أي ان ردود أفعالها اتجاه الأحداث لم تكن تعكس سياسة خارجية موحدة ، فكانت مواقفها فردية وحسب ظروف كل منها فكشفت عن عجزها في أن تشكل سياسة موحدة وقوية مقارنة بقوتها الاقتصادية^{٣٠} .

أما بالنسبة (إسرائيل) فقد تزامن الهجوم الأمريكي على الإرهاب مع حربها - حرب (أرييل شارون) على الانتفاضة-، وانشغال الدول العربية بتأكيد خيار السلام ومحاربة الإرهاب وتأييد الانتفاضة كحق شرعي ورفض ربطها بالإرهاب، ولكن السياسة (الإسرائيلية) حاولت الربط بين الانتفاضة والحرب على الإرهاب ، وحاول (أرييل شارون) تقديم مجازره ضد الشعب الفلسطيني والانتفاضة بأنه يقوم بدور الوكيل عن السياسة الأمريكية في محاربة الإرهاب في الشرق الأوسط ، مع التأييد الأمريكي لتلك السياسة^{٣١} ، فعلى عكس كل دول العالم التي أدانت (أرييل شارون) وجرائمه في الأراضي الفلسطينية بررت الولايات المتحدة الأمريكية سياسته ودعمتها، و عدَّ الرئيس الأمريكي (أرييل شارون) (رجل سلام) ، وقامت بدعم (إسرائيل) بمزيد من الأسلحة^{٣٢} ، بعد أن كانت للولايات المتحدة الأمريكية رؤية بإقامة دولة فلسطينية كمحاولة للتقرب من الدول العربية والتي لم تستمر إذ عاودت الولايات المتحدة الأمريكية تأييد (أرييل شارون)^{٣٣} .

أما روسيا الاتحادية فعلى الرغم من علاقاتها مع (إسرائيل) فإن موقفها من تسوية الصراع العربي- (الإسرائيلي) يستند إلى قرارات مجلس الأمن والمبادرة العربية السلمية لعام ٢٠٠٢ وخريطة الطريق لعام ٢٠٠٣ التي اقترحتها اللجنة الرباعية المكونة من روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة كأسس لتسوية الصراع

فروسيا الاتحادية إذن تدعم إنشاء دولة فلسطينية مستقلة تعيش إلى جانب (إسرائيل) على أساس حدود عام ١٩٦٧^{٢٤}.

وفيما يتعلق بالتنافس الدولي في المشرق العربي حول مصادر الطاقة فالملاحظ ان دور النفط في الاقتصاد العالمي يعد أحد أسباب توجه الولايات المتحدة الأمريكية نحو الشرق الأوسط حتى مع تزايد إنتاجها من النفط وذلك لأن الإقلال من اعتمادها على نفط الشرق يؤدي إلى صعوبة تفسير سبب اهتمامها بالشرق الأوسط والمشرق العربي تحديداً لدى الشعب الأمريكي ، أو ان تقليل اعتمادها على نفط الشرق يؤدي إلى تراجعها عن موقفها أو دورها في المنطقة مما يقوض من نفوذها وقوتها لدى حلفائها ويخدم خصومها ، لذا فإنها ترى انه عليها أن تبقي اهتمامها بنفط الشرق لتبرير سياستها بالضغط على دول المنطقة من حيث التغييرات السياسية وتطبيق الديمقراطية ، وفي الوقت نفسه ان زيادة إنتاجها من النفط سيزيد من نفوذها وقوتها في تعزيز مصالحها في مختلف المناطق^{٢٥}. وبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ وزيادة حدة الصراع الدولي ولاسيما على مصادر الطاقة ، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرض هيمنتها على العالم من خلال السيطرة على منابع النفط في العالم ولاسيما مناطق آسيا الوسطى والشرق الأوسط ، فالاستراتيجية الأمريكية تجعل ضرورة أمن الطاقة من ضرورة الأمن القومي الأمريكي ، والعمل على منع القوى الأخرى من منافستها على هذه الموارد، إلى جانب السيطرة على الممرات المائية في العالم وفي الشرق الأوسط والمشرق العربي من أجل ضمان وصول إمدادات الطاقة لها^{٢٦}.

- خامساً : الموقف العربي :

انعكس الوضع السياسي الاقتصادي والأمني للنظام الدولي لمرحلة ما بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ بشكل سلبي على الدول العربية من خلال التوجه الدولي وتحديداً الأمريكي المتحالف مع بعض القوى الدولية والمتنافس مع قوى دولية أخرى ولاسيما روسيا الاتحادية إلى تلك الدول^{٢٧}، وذلك لأن الدول العربية أو عناصر عربية تحديداً كانت مركز الاتهام بالضلوع في تلك الأحداث ، فكان إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط ومنها الدول العربية ودول المشرق العربي تحديداً لتكون المجال الحيوي أو للحرب على الإرهاب من خلال التهديد بالعمل المسلح ضد بعض الدول ، واستعمال وسائل استخبارية وأمنية ضد أنظمة وتنظيمات وأفراد^{٢٨}، فظهرت الكثير من الأزمات وانفجر البعض منها في الدول العربية والمشرقية ، فأمام أوضاع عدم الاستقرار التي تعيشها الدول العربية وأمام تلك المشاريع والطروحات الغربية على الدول العربية اتخاذ مواقف أكثر جدية وإيجابية لمواجهة الأوضاع المستجدة سياسياً وأمنياً وحتى اقتصادياً من خلال دعم الاقتصاد الإنتاجي لكل دولة عربية وتحقيق الأمن الغذائي والمائي العربي ، والسعي لتحقيق التكامل العربي والاستثمارات العربية المتبادلة ، إلى جانب إمكانية إقامة مجالس أو منظمات أو تجمعات تعاونية تكاملية عربية والاهتمام ، بالأوضاع الأمنية والعسكرية لكل دولة بما يتناسب ويتوافق مع وضعها ومهامها الدفاعية^{٢٩}، وبغير ذلك ستبقى المنطقة العربية مهددة في ظل غياب وضعف وتفكك بنيوي عربي وعدم وجود مشروع عربي موحد^{٣٠}.

الخاتمة :

أبرز البحث في البعد الجيوستراتيجي الدولي للمشرق العربي بعد أحداث ٢٠٠١ النتائج

الآتية :-

- بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ قسمت الولايات المتحدة الأمريكية الدول بين دول صالحة أو دول خير ودول غير صالحة أو دول شر، وتركز ذلك في بعض الدول العربية والمسلمة والمتمركزة بقلب منطقة المشرق العربي فابتكرت السياسة الأمريكية عدو جديد تمثل بالإسلام والدول المسلمة ، إذ ترى فيه خطراً عليها ، إلا ان موقع هذه الدول المسلمة وامتلاكها لمصادر الطاقة من النفط والغاز شكل الهدف الأكثر أهمية .

- عند إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإرهاب في المنطقة المشرقية تحديداً لتكون الميدان لتلك الحرب وظفت مختلف الآليات العسكرية وغير العسكرية في التعامل مع تلك الدول ، وأوجدت مشاريع احتوائية جديدة لتقسيم المنطقة وتجزئتها وبآليات جديدة أيضاً ، وبتأييد من حلفائها ولاسيما (إسرائيل) ، معللة تدخلها بتهديد المصالح الدولية والأمن العالمي .

- لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية بمفردها في الساحة المشرقية بل كانت هناك وجود لقوى دولية أخرى من ناحية أيدتها في الحرب على الإرهاب ولكن من ناحية ثانية كانت منافسة لها من خلال تواجدها ودورها مثل روسيا الاتحادية التي ركزت على المناطق استراتيجية التي تهمها ولاسيما سوريا ، وعززت من علاقاتها مع دول المنطقة ، وكسر الانفرادية الأمريكية بالمنطقة .

- لقد نتج عن الاستراتيجية الدولية للمشرق العربي بعد عام ٢٠٠١ أزمات وحروب وتنافس دولي يهدد منطقة المشرق العربي بصورة جيوبوليتيكية جديدة تقوم على التقسيمات التفتيتية ، بقيادة دولية أمريكية وتنافس ودور روسي وتأثيرات إقليمية ، مع الاستفادة من موارد الطاقة ، من خلال مشاريع للاحتواء والسيطرة .

- على الدول العربية والمشرقية الاستفادة من نقاط القوة التي تمتلكها التي يوظفها الغرب لتحقيق أهدافه والمتمثلة بالموقع الاستراتيجي والتنوع الديموغرافي والموارد الطبيعية على تنوعها واختلافها كالنفط والغاز والمياه وتوظيفها في مشروع عربي تعاون وتكامل موحد لمواجهة المشاريع الدولية التي تستهدف المنطقة .

الهوامش :

١ . المشرق العربي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، ar.wikipedia.org .

٢ . المصدر نفسه .

٣. مستقبل العلاقات العربية الأمريكية بعد فوز ترامب ، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ٨ ديسمبر ٢٠١٦ (موقع انترنت) .
٤. ميثم الجنابي ، الصراع الروسي – الأمريكي حول المشرق العربي وايران ١ ، الحوار المتمدن العدد ٤٥٨٦ ، ٢٧ / ٩ / ٢٠١٤ ، (موقع انترنت) .
٥. د. نظام بركات ، تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي ، الجزيرة ، (موقع انترنت)
٦. المصدر نفسه .
٧. المصدر نفسه .
٨. بشير زين العابدين ، تطور فكرة تقسيم المشرق العربي في مراكز الفكر العربية (٢٠٠١ – ٢٠١٣) ، طريق الاسلام ، ٢٣ / ١٢ / ٢٠١٣ ، (موقع انترنت) .
٩. د. عبد العزيز بن عثمان بن صقر ، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط .. ثوابت ومتغيرات ، جريدة الشرق الأوسط ، رقم العدد (١٣٢٣٧) الثلاثاء ٦ جماد الاولى ١٤٣٦ هـ - ٢٤ فبراير ٢٠١٥ م ، (موقع انترنت) .
١٠. خطار أبو دياب ، أحوال المشرق العربي بعد قرن على اتفاقية سايكس بيكو ، الجديد ، ١٠ / ١٠ / ٢٠١٦ ، (موقع انترنت) .
١١. جمال الشلبي ، العرب وأمريكا بعد 11 سبتمبر ، الجزيرة ، (موقع انترنت) .
١٢. د. نظام بركات.
١٣. ميثم الجنابي ، الصراع الروسي – الأمريكي حول المشرق العربي وايران (1) ، مصدر سبق ذكره .
١٤. ميثم الجنابي ، المشرق العربي وايران في الصراع الروسي الأمريكي ، الحوار المتمدن ، العدد ٥٧٥٣ ، ١٠ / ١ / ٢٠١٨ ، (موقع انترنت) .
١٥. العقيد جورج الخوري ، السياسة الخارجية الجديدة لروسيا الاتحادية وتأثيرها على دول الشرق الاوسط ولبنان ، الدفاع الوطني اللبناني ، العدد (١٠٥) ، تموز ٢٠١٨ ، (موقع انترنت) .
١٦. مصطفى محمد صلاح ، حدود التأثير ومستقبل الدور : الدور الروسي في الشرق الأوسط ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، الاثنين ٢٩/يناير / ٢٠١٨ ، (موقع انترنت) .
١٧. مصطفى محمد صلاح ، مصدر سبق ذكره
١٨. المصدر نفسه
١٩. أنا بورشفسكايا ، روسيا في الشرق الأوسط : هل هناك مرحلة نهائية ؟ ، "سنترال إيشيابروغرام (برنامج آسيا الوسطى) ، كانون الثاني / يناير ٢٠١٩ ، (مصدر انترنت)
٢٠. باسم راشد ، المصالح المتقاربة : دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي ، أوراق ، العدد رقم (٩) ، وحدة الدراسات المستقبلية ، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠١٣ ، ص ٣٠ ، (pdf) .
٢١. باسم راشد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ .
٢٢. المصدر نفسه ، ص ٤٧ – ٤٩ .
٢٣. وفيق ابراهيم ، صراع الجيوبوليتيك يزداد انفجاراً في المشرق والعرب كالعادة ... ثنائون ومصفقون ، مركز كاتبخون ، ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧ .
٢٤. مستقبل العلاقات العربية الأمريكية بعد فوز ترامب ، مصدر سبق ذكره .
٢٥. وفيق ابراهيم ، مصدر سبق ذكره .
٢٦. مصطفى محمد صلاح ، مصدر سبق ذكره .

٢٧. أنا بورشفسكايا ، مصدر سبق ذكره .
٢٨. باسم راشد ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٣ - ١٦ .
٢٩. المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
٣٠. المصدر نفسه ، ص ٤٥ .
٣١. نظام بركات ، مصدر سبق ذكره .
٣٢. نظام بركات ، مصدر سبق ذكره .
٣٣. جمال الشلبي ، مصدر سبق ذكره .
٣٤. المصدر نفسه .
٣٥. العقيد جورج الخوري ، مصدر سبق ذكره .
٣٦. باتريك كلاوسون وسايمون هندرسون ، سياسة الطاقة : أمريكا والشرق الأوسط في
عصر الوفرة النفطية ، تحليل السياسات ، المجهر السياسي ١٤٦ ، تموز / يوليو ٢٠١٦
(موقع انترنيت) .
٣٧. علي زيادة ، التنافس والصراع بين القوى العالمية على مصادر الطاقة ، القدس العربي ،
٢٧ - يوليو - ٢٠١٥ ، (موقع انترنيت) .
٣٨. مستقبل العلاقات العربية الأمريكية بعد فوز ترامب ، مصدر سبق ذكره .
٣٩. د. نظام بركات ، مصدر سبق ذكره .
٤٠. مستقبل العلاقات العربية الأمريكية بعد فوز ترامب ، مصدر سبق ذكره .
٤١. خطر أبو دياب ، مصدر سبق ذكره .

الصراع والتعاون الامريكى - الروسي حول منطقة الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة :المنطقة العربية أنموذجا (دراسة في الاهداف والوسائل والآليات)

أ.م.د. خلود محمد خميس

قسم العلاقات الدولية

أ.م. اسراء احمد جواد

قسم العلاقات الدولية

كلية العلوم السياسية /الجامعة المستنصرية

المقدمة :

ان اصطلاحى الصراع والتعاون يشكلان اشكالية وجدلية في الوقت نفسه فالصراع اشكالية والتعاون جدلية بين قوتين عظيمين تنافسا وتعاوننا وتصارعا في الوقت نفسه على تقاسم مغانم العالم وبالأخص منطقة الشرق الاوسط مع تركيزهم على المنطقة العربية فقد اكتسبت المنطقة بشكل عام والمنطقة العربية بشكل خاص اهمية خاصة في السياسات الدولية نظرا الى موقعها الاستراتيجي الحيوي في قلب العالم اذ تعد نقطة التقاطع المهمة بين اوربا واسيا وافريقيا وبين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب ، اذ تتحكم المنطقة بمجموعة من اهم مواقع المرور الدولية وهي قناة السويس ومضيق باب المندب ومضيق هرمز والبسفور والدرديل ومضيق جبل طارق ،فالموقع المميز جعل الحضور التجاري والعسكري للدول الكبرى ضروريا وحيويا لنموها وتطورها ووسيلة لفرض سياستها ليس على هذه المنطقة فحسب بل على الدول التي تستخدم بالضرورة هذه الطرائق لأغراض عديدة .فاهتمام هاتين القوتين بدأ بمنطقة الشرق الاوسط فعليا بعد الحرب العالمية الثانية حيث تقاسموا مناطق النفوذ بحسب الايديولوجية التي قادها طرفي التنافس لاحتواء اكبر عدد ممكن من هذه الدول فكانت اكثر الدول العربية من حصة الاتحاد السوفيتي لكنهما بقيا حذرين على المناطق التي يضمها الشرق الاوسط من افغانستان الى شمالي افريقيا .

فكيف وظفا وسائلهما لأجل الحصول على مغانمهم في المنطقة العربية وتحقيق مصالحهم واهداف استراتيجياتهم العليا؟ هل من خلال الدبلوماسية، خلق الازمات، الحروب وادارتها في المنطقة العربية؟ أم من خلال تمويل الجماعات التي تصنع الارهاب في المنطقة العربية وبالتالي تفتح الطريق سالكا امام الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية بعد انتهاء

الحرب الباردة لأجل النيل من اهدافها بطرق مشروعة تحت ما يسمى حماية حقوق الانسان في المنطقة العربية وشن حروبها لدحر الارهاب. وتساؤلات كثيرة يطرحها الموضوع من خلال بحثنا الموسوم (الصراع والتعاون الامريكى - الروسي حول منطقة الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة: المنطقة العربية أنموذجاً (دراسة في الاهداف والوسائل والآليات)
اما الفرضية فمؤداها (ان الصراع والتعاون وجهان لعملة واحدة لكن في المنظور الامريكى والروسي وجهان لعملة واحدة الا وهي تحقيق اهداف استراتيجيتهم في عموم منطقة الشرق الاوسط وتحقيق مصالحهم الاقتصادية في المنطقة العربية على الخصوص)
اما الاشكالية وهو التساؤل الذي يطرح نفسه كفرضية واشكالية لبحثنا والتي تجد دالتها في عدة تساؤلات منها :

هل كان هنالك فعلا صراع بين القوتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا(الاتحاد السوفيتي) سابقا وما هي انواعه؟ وما هو نوع التعاون وما هي اشكاله ؟

لقد قسمنا هيكلية البحث الى مدخل تمهيدي وثلاث مباحث :
- مدخل تمهيدي: (نظري — مفاهيمي)

المبحث الاول: الشرق الاوسط في المنظورين الامريكى - الروسي ما بعد الحرب الباردة (الاهداف)

المبحث الثاني: الصراع والتعاون الامريكى - الروسي حول المنطقة العربية (الوسائل والآليات)

المبحث الثالث: مشاهد مستقبلية للرؤى الامريكية - الروسية تجاه الشرق الاوسط والمنطقة العربية .

- مدخل تمهيدي: (اطار نظري — مفاهيمي)

من الناحية النظرية والمفاهيمية يمكن التفريق بين مصطلحي الصراع والتعاون بالتساؤل الاتي ماذا يعني الصراع وماذا يعني التعاون؟ وهل هنالك صراع وتعاون بين طرفين وهل يختلفان عن التنافس؟ وماذا نعني بمفهوم منطقة الشرق الاوسط؟

الصراع: ظاهرة اجتماعية وسياسية له مفاهيمه التي تبدو عديدة ومتنوعة، وقد ارسى (ماركس) جوهر الصراع من خلال التضارب والتناقض بين مصالح الطبقات الاجتماعية التي تقررها العلاقات الانتاجية التي يكونها الانسان مع وسائل الانتاج التي تعود الى الصراع الطبقي .

وعلماء النفس قسموا الصراع لقسمين هما:اولا: الصراع السلمى: يتمثل في تحقيق المطالب والمصالح باستعمال آليات منضبطة ومقننة، مثل: القوانين، والداستير، ونظم التحاكم،

والأعراف والتقاليد، والتكوين الأسري والعشائري، والمؤتمرات والحوارات، ويمكن تبسيط ذلك كمثال الانتخابات التي يكون فيها صراع بين عدة أطراف ضمن القانون والدستور. ثانياً: الصراع العنيف: يصبح الصراع عنيفاً في حال تخلي الأطراف المتنازعة عن الوسائل السلمية في الصراع، بحيث تحاول تلك الأطراف تدمير المخالف لها من أجل تحقيق أهدافها ورغباتها ومصالحها.

التعاون وله انواع عديدة منها: السلام الدائم، يتميز هذا المستوى في الاتصال والتعاون بين الأطراف وإدراك آلية تحقيق الأهداف والمصالح المتعارضة، بحيث يقوم كل طرف بتحقيق مصالحه بشكل سلمي ومؤسسي بدون استخدام العنف.

السلام الثابت: ويطلق عليه أيضاً السلام البارد، بحيث يكون الاتصال والتعاون بين الأطراف قليلاً بغياب عام للعنف مع بقاء القيم المتعارضة، بحيث يكون التنافس بطرق عديدة بضوابط مقبولة وبدون عنف.

السلام غير الثابت: وهو الحرب الباردة، بحيث تكون فيه اتهامات وتوترات ملموسة بين الأطراف وقد يتطور إلى عنف متقطع، وتكون فيه العلاقات متوترة ترتفع وتنخفض بين الحين والآخر.

اما الأزمة: وهي عبارة عن المواجهة المتوترة بين الأطراف وقد يستخدم فيها السلاح وقد تتطور إلى حرب.

الحروب: هي النزاع الشامل الذي يستخدم فيها مجموعات مسلحة بشكل منظم مثل حرب العصابات والفوضى السياسية.^(١)

مفهوم الصراع الدولي فيعكس حالة التعارض بين المصالح أو اختلاف بالقيم بين مجموعتين أو أكثر، ويعني في جوهره التعارض الحقيقي للمصالح والقيم والاحتياجات، وأسبابه عديدة، فحياة الدول عبارة عن صراع متصل من أجل الحفاظ على بقائها والدفاع عن مصالحها القومية، وهي تسخر كل إمكانياتها وقدراتها لكي تخرج من المواقف الصعبة سالمة، وبشكل عام فالدول تتصارع أساساً حول مصالح مادية (الحدود، الاقتصاد، السيطرة على الحكومة)، أو تخوض الصراعات للدفاع عن قيم غير ملموسة (الدين، العرق، الأيديولوجية)، أي ان الصراع الدولي يعبر في مفهومه عن ظاهرة عدم التوافق أو التناقض في المصالح والقيم والأهداف القومية بين القوى الفاعلة في النظام الدولي، وتتحول ظاهرة التناقض هذه إلى ظاهرة صدام حين تسعى قوة فاعلة للتدخل في شؤون قوة فاعلة أخرى، وتزداد ظاهرة

الصراع انتشارا في المجتمع الدولي كلما افتقد هذا المجتمع الى الشرعية، ولقد برز الصراع بين الدول مع بدء ظهور فكرة الدولة القومية صاحبة السيادة بعد صلح ويستفاليا عام ١٦٤٨ - الذى انهى حرب الثلاثين عاما آخر الحروب الدينية فى أوروبا لأنه قرر مبدأ عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول . ولقد تميزت الفترة التى تلت الحرب الباردة بوجود قطب واحد مهيم هو الولايات المتحدة، مع مجموعة أخرى من القوى أهمها الاتحاد الأوروبى واليابان والصين واخذ الصراع الدولي فى هذه الفترة أشكالا مختلفة، فظهرت انفجارات للحروب الأهلية والعرقية التى خاضتها الشعوب مطالبة بحقها فى الانفصال عن دول ظلت متماسكة فقط بسبب ظروف الحرب الباردة.

مفهوم التعاون الدولي هو مصطلح يطلق على الجهود المبذولة بين الدول من أجل تحقيق مصلحة الدول المتعاونة وفي سبيل تحقيق الأمن والسلم الدوليين ومواجهة التحديات السياسية والاجتماعية والإقتصادية و الأمنية . كما يمكن للتعاون الدولي أن يتم على مستوى الأفراد بين الدول والمجتمعات والاعراق المختلفة إضافة إلى المنظمات الحكومية والغير حكومية بشكل عام فان التعاون الدولي يتم بصفة رسمية عبر الاتفاقيات والمعاهدات البيئية أو الدولية كما يمكن أن يتجسد في المساعدات الإنسانية والتحركات المشتركة ويعد هذ المبدأ من القواعد الأساسية التى تقوم عليها منظمة **الأمم المتحدة** وتدعو إلى تحقيقها.

مفهوم الشرق الاوسط

من خلال استقراء الدراسات التى اهتمت بأصول مفهوم الشرق اوسطية يتبين ان غالبية الباحثين يتفقون على ان الدول التى تدخل فى نطاق ما يسمى بمنطقة الشرق الاوسط هي: مصر والاردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق والسعودية والكويت وقطر والبحرين والامارات العربية وسلطنة عمان واليمن من الدول العربية وايران وتركيا من الدول الغير عربية ويضيف بعض الباحثين الى ذلك اسرائيل بحكم قيامها بالامر الواقع على الجزء الاكبر من ارض فلسطين، لكن الثابت ان هناك خلافا حول ضم دول اخرى الى الشرق الاوسط مثل (قبرص ،ليبيا، السودان ،اثيوبيا ،الصومال، جيبوتي، تونس، الجزائر، المغرب، ثم افغانستان وباكستان وموريتانيا). وأيا كان الاختلاف النظري الذى ينطلق من اعتبار الشرق اوسطية مفهوما جغرافيا وليس سياسيا فان الامريكيين عندما يتحدثون اليوم عن منطقة الشرق الاوسط انما يقصدون المنطقة الممتدة جغرافيا من نواكشوط وحتى اسلام اباد ^(٢) ولقد تنبأ المؤرخ الفرنسى (اليكس دي توكفيل)والذى يعتبر من اهم المفكرين السياسيين فى القرن التاسع عشر

بالتنافس الأمريكي الروسي والذي قال بالنص في كتابه (الديمقراطية في امريكا والذي صدر عام ١٨٣٥) هناك الان امتان عظيمتان في العالم امريكا وروسيا بدأتا من نقطتين مختلفتين، ولكن يبدو انهما متجهتان لنفس الهدف - ان كلا منهما مدفوعا بتدبير من العناية الالهية لكي يمسك بيديه اقدار نصف العالم)^(٣) ومنطقة الشرق الاوسط شهدت تحولا استراتيجيا في خريطتها التي صنعها الدبلوماسيان البريطاني (مارك سايكس) والفرنسي (جورج بيكو)، ووزير الخارجية الروسي (سيرغي سazonوف) عام ١٩١٦ ابان تحديد مصير المقاطعات العربية في الامبراطورية العثمانية بعد ان ظلت واهنة على مدى قرن من الزمان.^(٤) ولقد كثر استخدام تعبير الشرق الاوسط في اللغة الدبلوماسية وفي الادبيات السياسية، الاقتصادية، الامنية والاستراتيجية بحيث لم يعد هنالك مجال لذكر الوطن العربي او المنطقة العربية الا في عدد محدود من الدراسات والابحاث الخاصة في المنطقة لا بل ان الشرق الاوسط اصبح المصطلح الشائع في الاستعمال وحتى من اطراف عربية رغم معرفتها وادراكها الكبير بخطر رسوخ وثبات هذه التسمية الا انها انساققت الى استعماله كما الحال بالنسبة الى تسمية الخليج العربي، وفي الواقع فان مصطلح الشرق الاوسط يدل على تعبير سياسي هدفه ادخال دول غير عربية في اطاره الجغرافي وطمس أي وجود متميز للامة العربية واعتبار هذه المنطقة تضم خليطا من القوميات والسلالات والاديان والشعوب واللغات وليس هنالك قومية واحدة تجمعها لغة قومية تمثل اصلتها وتميزها عن باقي الامم، وهذا التعبير ارتبط بالفكر الاستعماري ففي عام ١٩٢١ انشأ (ونستون تشرشل) وزير المستعمرات البريطاني ادارة الشرق الاوسط ومن ثم انشاء مركز تموين الشرق الاوسط وقيادة الشرق الاوسط، وقد ذاع استخدام هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية ليشمل المنطقة الممتدة من غرب مصر الى شرق ايران اما (معهد الشرق الاوسط في واشنطن) فانه يحددها بشكل يجعلها تتطابق مع العالم الاسلامي أي من المغرب الى اندونيسيا ومن السودان الى اوزبكستان)^(٥) في حين ان (المعهد البريطاني للعلاقات الدولية) يعرفها: بانها تشمل ايران، تركيا، شبه الجزيرة العربية، منطقة الهلال الخصيب، مصر والسودان وقبرص. اما بعد نكسة حرب حزيران عام ١٩٦٧ على يد اسرائيل والدعم الأمريكي لها اصبح مفهوم الشرق الاوسط يقتصر على مصر وفلسطين والشام وصادف بعد تاريخ النكسة وانشغال الحكومات العربية لمهمة ازالة اثار العدوان في اطار قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) الذي يشير فقط الى الحيز الذي تشغله الدول التي دخلت حرب ١٩٦٧، كما استطاعت ادارة البيت الابيض في عهد الرئيس الأمريكي نيكسون وتحت تأثير

وزير الخارجية الامريكي انذاك صاحب دبلوماسية خطوة خطوة ذائع الصيت (هنري كيسنجر) استثمرت الى حد سعى الرئيس المصري السابق الراحل انور السادات الى تسوية سلمية سريعة ومنفردة مع اسرائيل بعد ان عبر منذ الايام الاولى لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ في مراسلاته السرية مع (كيسنجر) عزمه على اطالة امد الحرب او عدم توسيع مداها ونجح كيسنجر في فك الارتباط بين قضيتي النفط والصراع العربي - الاسرائيلي في اطار مواجهته لتداعيات استخدام النفط العربي ابان حرب اكتوبر^(٦) وحينما يتم النظر الى منطقة الشرق الاوسط يجد بانها منطقة تميزت بأهميتها الجيوسياسية وبوجود اسرائيل بالنسبة للقوى الغربية المؤيدة لتواجده كما تتميز ديمغرافيا بأكثرية اسلامية فضلا عن تميزها بعناصر جاذبة بسبب تعدد المذاهب وتراث الامبراطوريات كما تشكل في حساب الكتاب الاستراتيجيين قلب اوراسيا (اوربا واسيا مجتمعتين) والتي تعد محور التجاذب الجيو- سياسي والجيو- اقتصادي لدى الدول الكبرى. ولقد كان توصيف الشرق الاوسط في ابان الحرب الباردة يشمل الشرق الاوسط الادنى مع التوسع باتجاه تركيا شمالا وايران شرقا والساحل الافريقي غربا، ولكن هذا الشرق الاوسط اتسع بعد تفكك الاتحاد السوفيتي بحيث شمل افغانستان وباكستان شرقا ودول اسيا الوسطى شمالا والقرن الافريقي جنوبا واصبحت بذلك منطقة الشرق الاوسط تشمل كافة المعابر المائية الواصلة بين البحار: الاسود وقزوين والمتوسط والاحمر بالاضافة الى المحيط الهندي وتشمل هذه المنطق ايضا الطاقة الاستراتيجية للنفط والغاز من شمالي افريقيا الى الخليج الى محيط قزوين، كما تشمل ايضا الطاقة الاستهلاكية القادرة على استيعاب صادرات الاسواق الانتاجية الغربية بدأ بالولايات المتحدة الامريكية^(٧) على الرغم من التزام حكومات الولايات المتحدة الامريكية (مبدأ مونرو) الذي اصدره الرئيس مونرو عام ١٨٢١ وهو الابقاء على سياسة امريكا في القارة الامريكية فقط وعدم التدخل في خارج القارة لكن الاطماع الاستعمارية الراسمالية الامريكية بدأت تتمدد نحو المشرق العربي محاطة بناحية دينية وانسانية وقد برز التوسع والاستيطان هذان في فلسطين عندما وفرت القنصلية الامريكية في القدس الحماية لاعداد كبيرة من الصهاينة دخلوا المنطقة بوسائل غير شرعية، وذلك حتى لا يلاحقهم المسؤولون في الادارة العثمانية وقام القنصل الامريكي (كريسون) من اجل استمرار النفوذ الامريكي وايجاد مؤيدين له في المشرق العربي بانشاء مستعمرة زراعية صهيونية لتدريب المهاجرين الصهاينة على الامور الزراعية وليكونوا ركيزة في المستقبل وذلك في عام ١٨٥٢ هذا عدا عن انشاء امريكا (الجمعية الامريكية لاستكشاف فلسطين) شبيهة بالصندوق

البريطاني لاستكشاف فلسطين).^(٨) وحين اقر موضوع الانتداب وبدأ بتنفيذ مقرراته كان موقف امريكا سلبيا اذ لجأت الى العزلة ولم تنضم الى عصبة الامم التي طالب الرئيس ولسون بتأسيسها ولم يوافق الكونغرس الامريكي على اتفاقيات الصلح، الا ان هذه العزلة لا تعني ان امريكا اهتمت مصالحها في الشرق الاوسط بل على العكس فقد ساندت مبدأ الباب المفتوح المتعلق بمجال النفط حتى ان الرئيس ولسون والكونغرس قد ايدا وعد بلفور بدون الزام امريكا باي مسؤولية في هذا المجال خصوصا بحضورها مؤتمر (سان ريمو) وبهذا بدأت الدوائر الاقتصادية الامريكية المنافسة النفطية في هذه المنطقة حتى ادت في نهاية المطاف الى ازالة المؤسسات الانكليزية والفرنسية وابعادهما عن منطقة الشرق الاوسط بعد ان ملئت السياسة الامريكية الفراغ الذي خلفته السياستان الغربيتان البريطانية والفرنسية في المشرق العربي وايران وباكستان.^(٩) فقد بدأت الولايات المتحدة تبرز اهتمامها بمسألة ايجاد قاعدة لها في الشرق الاوسط عبر فلسطين بتوطين اليهود منذ عام ١٩١٤ عندما حصلت على امتيازات للتنقيب عن النفط في منطقة النقب من الدولة العثمانية لكن اندلاع الحرب العالمية الاولى اوقف التنفيذ وكان الضغط الصهيوني في بريطانيا قد نقل ثقله المالي والسياسي والاقتصادي الى الولايات المتحدة الامريكية اذ كان يعمل على جعل فلسطين تحت الانتداب البريطاني ليسهل على الصهيونية تنظيم الهجرة ليكونوا على استعداد لتسلم الحكم عندما يحين الوقت ومن اجل ان تكون فلسطين تحت حماية بريطانيا وبحث حينها الرئيس ولسون مع القاضي برانديس الذي عينه ولسون قاضيا في المحكمة العليا في امريكا في خلاف بريطانيا وفرنسا على مناطق فلسطين لان اتفاقية سايكس - بيكو (نصت على جعل منطقة الجليل الاعلى تحت الحكم الفرنسي بينما تحصل بريطانيا على ميناء عكا وحيفا في حين تريد الصهيونية ان تكون كل فلسطين تحت الحكم البريطاني من اجل انشاء دولة صهيونية لليهود في المستقبل حتى ان المطالب الصهيونية في مؤتمر الصلح في باريس كانت تتضمن جنوب لبنان وقسما كبيرا من الاردن والجولان السوري.^(١٠) اما ازدياد النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط عموما والعالم العربي خصوصا فقد برز بصورة واضحة عندما انهارت ايطاليا الفاشية عام ١٩٤٣، اما المفكر الامريكي (برنارد لويس) وفي اطار ما طرحه من افكار جديدة فقد وضع تصورا جيو - سياسيا جديدا للشرق الاوسط عندما نشر مقالا في مجلة الشؤون الخارجية الامريكية في عددها الصادر كانون الثاني ١٩٩٠ تحت عنوان (اعادة التفكير في الشرق الاوسط) حيث الصياغة الجديدة لهذا المفهوم الذي توسع في جميع الاتجاهات ما عدا الشمال الذي سقط بتفكيك الاتحاد

السوفيتي، حيث ان هذه الدول والمناطق التي برزت عادت الى مجالها الطبيعي الذي تنتمي اليه من الناحية العرقية والتاريخية واللغوية والدينية وهي النقطة التي اثارت حساسية برنارد من العالم الاسلامي الذي اخذ مداه الاوسع في هذا الامتداد الجغرافي الجديد حتى جمهوريات القوقاز) اذن كان اول من دعا الى الشرق الاوسط بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا الا ان المهندس الحقيقي له كان في الواقع الولايات المتحدة مدعومة من بريطانيا العظمى وكان هذا النظام ينظر الى الشرق الاوسط بالمنظار الجغرافي على انه كتلة ارضية معرضة للاخطار على مقربة من الاتحاد السوفيتي وكان مهندسو النظام بانشغالهم بمواجهة التهديد السوفيتي يرون ان على دول المنطقة ان تنظم نفسها لمواجهة التهديد بالالتحاق بحلف مع الدول الاخرى التي كانت تهتم بتامين المنطقة ويكون من واجبات هذا الحلف تنسيق متطلبات الدفاع مع الدول الاخرى المعرضة للخطر الاحمر أي الشيوعية في اوربا واسيا ويكون التحالف الشرق اوسطي هو الحلقة الاخيرة في سلسلة من التحالفات (تشمل حلف شمالي الاطلسي الناتو وحلف جنوب شرق اسيا السياتو تحيط بالحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي ومحاصرتها وبحسب منطق هذا النظام كان يتوقع من الدول العربية ان تنضم الى تحالف يشمل تركيا وايران وباكستان وحتى اسرائيل^(١١).

المبحث الاول: الشرق الاوسط في المنظورين الامريكي - الروسي ما بعد الحرب الباردة

(الاهداف)

بعد نهاية الحرب الباردة وزوال الاتحاد السوفيتي وانتهاء حرب الخليج الثانية ضد العراق واحتلاله للكويت وانتصار الولايات المتحدة الامريكية على المنظومة السوفيتية دون حرب كل ذلك كان مؤشرات كافية بان تدفع الولايات المتحدة ان تطرح مشروعها المتجدد للشرق الاوسط خاصة بعد قيامها بما سمي بعملية السلام في مدريد سنة ١٩٩١ وما بعدها والتي شهدت دخول الاطراف العربية في مفاوضات ثنائية مع اسرائيل وكذلك المباحثات المتعددة الاطراف في موسكو في يناير ١٩٩٢ والتي شملت كل الدول العربية بالكاد حتى تلك الدول التي لم تشارك في الصراع العربي الاسرائيلي مثل دول الخليج العربي^(١٢) وبالطبع لم ياتي الاهتمام الامريكي بمنطقة الشرق الاوسط وخصوصا المنطقة العربية بشكل مفاجيء وانما احتل الاهتمام مساحة كبيرة في اجندة الاهتمامات الامريكية لاسباب عديدة منها (انه مهد الحضارة العالمية، والديانات السماوية الثلاث (يهودية ومسيحية واسلام) ويقع في قلب العالم القديم ملتقى الحضارات الثلاث (اسيا وافريقيا واوربا) كما يمتاز هذا الاقليم بوفرة موارده

البشرية والمادية وخصوصا النفط لانخفاض تكاليف انتاجه وقربه من مناطق استهلاكه في اوربا وشرق اسيا والمعروف ان منطقة الشرق الاوسط تستأثر وحدها بنسبة ضخمة من الاحتياطي العالمي .

وقد حاولت واشنطن فرض تصورها الشرق اوسطي بقضايا متداخلة بين بعدها العالمي وبعدها الاقليمي مثل • التسلح واللاجئين والمياه والتعاون الاقتصادي مع السعي لتأسيس نماذج للتعاون والتكامل الاقتصادي والامني على اسس جيو- استراتيجية وجيو - اقتصادية بهدف تقويض النظام الاقليمي العربي وعلى حساب قضايا ومصادر الصراع المحورية وهي الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية واساسها القضية الفلسطينية وعلى حساب الانتماءات والروابط العربية الاسلامية الثقافية وايضا الحضارية والتاريخية واللغوية.^(١٣) انن فما هي اهداف الولايات المتحدة الامريكية وروسيا وراء توجيههما لمنطقة الشرق الاوسط والمنطقة العربية على الخصوص:

اولا :الولايات المتحدة الامريكية :ان اهداف السياسة الامريكية اتضحت من خلال النظريات التي جاء بها مفكريها ومنهم (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الامريكي السابق ومقولته الشهيرة (تجفيف المستنقعات)بمعنى القضاء على الاماكن التي يعيش فيها التخلف والتطرف والارهاب^(١٤) في تقرير صادر عن الكونغرس الامريكي في نيسان ١٩٩٧ وفيه (ان الولايات المتحدة كمستهلك رئيس للنفط لها مصلحة مباشرة في تعزيز امدادات الطاقة العالمية وتنويعها لسببين هما :

- ١- اقتصادي لتأمين مصادر طاقة بديلة.
 - ٢- امني يتمثل بأجراء وقائي احتياطي في حال انقطاع شحنات النفط من الخليج .
 - ٣- خدمة مصالح امريكا في المنطقة
 - ٤- دمج اسرائيل في الشرق الاوسط بحيث تصبح جزءا اساسيا فيه وليس جسما غريبا عنه
 - ٥- اعتبار اصلاح الشرق الاوسط مهمة تتعلق بالأمن القومي الامريكي .
- وهذا يعني ان منطقة الشرق الاوسط تحتل اهمية بالغة على خريطة الثروات الهيدروكربونية في العالم حيث تبلغ الاحتياطيات النفطية المؤكدة بها نحو ٥٢% من جملة الاحتياطيات النفطية في العالم كما تحتوي على ٤٧% من جملة احتياطيات الغاز الطبيعي العالمية المؤكدة.^(١٥) لذلك سعت امريكا للسيطرة على مصادر الطاقة في منطقة بحر قزوين عبر مد انابيب للنفط والغاز من تحت مياهه باتجاه جورجيا وتركيا الحليفتين لها ثم الى دول اوربا مما يجعلها تسيطر على خطوط امدادات الطاقة في حين سينخفض انتاج المناطق النفطية مع مرور الوقت بسبب الاستهلاك ويتوقع ان ترتفع كمية هذا الانتاج في بحر قزوين عام ٢٠٢٠ الى ٦ مليون

برميل باليوم، وعلى وفق وزارة الطاقة الامريكية فأذربيجان وكازاخستان وتركمانستان واوزبكستان مجتمعة تمتلك احتياطيّات ضخمة من الغاز ومما يزيد عن الاحتياطيّات المجتمعة للولايات المتحدة وكندا والمكسيك، لذلك تسعى الولايات المتحدة للسيطرة على الممرات والمضائق العالمية مثل قناة السويس ومضيق هرمز وباب المندب والبوسفور وقناة بنما، ويمر خلال هذه المضائق والممرات ٣٠ مليون برميل نفط يوميا ويعتقد استراتيجيون ان من يسيطر على النفط والغاز وطرق توزيعها سيحكم العالم.^(١٦) وبالفعل صمم المسؤولون الامريكان الى تسويق الحجج والمبررات بعد احداث ايلول ٢٠٠١ وبحسب ما كرره هولاء من الرئيس الامريكي بوش الابن ونائبه ديك تشيني الى وزير الخارجية السابق كولن باول الى مستشارة الامن القومي كوندليزا رايس سابقا الى وزير الدفاع رامسفيلد وابنته اليزابيث ومستشاره بيرل ووكيل وزارة الخارجية دوغلاس فايت وغيرهم والذين قدموا بحوثا وتقارير قدمتها مراكز مرتبطة بفريق بوش مثل مؤسسة (امريكان انتر برايز) و(مؤسسة هيريتاج) اكدت في مجملها ان الطابع السلطوي للنظم العربية الحاكمة في دول كبيرة مثل مصر والسعودية وغيرهما الى جانب مناهج التعليم والسياسات الثقافية والاعلامية والفساد السياسي والمالي تعد كلها مسؤولة عن شيوع التطرف والارهاب والتعصب وكرهية الولايات المتحدة والغرب وموجات الهجرة الى الدول الغربية والحرمان الاقتصادي والاجتماعي.^(١٧)

ثانيا: اهداف روسيا الاتحادية

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وجدت خليفته روسيا نفسها دولة من الدرجة الثانية في النظام الدولي وهو امر رفضه بوتين والقوميون والشبوعيون بقوة وطوروا بسرعة مفهوم (التعددية القطبية) في النظام العالمي كوسيلة لوضع البلاد على خريطة الدول الكبرى مجددا، لهذا كانت توجهات روسيا باتجاهين، الاول دولي من خلال الجمع بين تحدي الولايات المتحدة وحلف شمالي الاطلسي والثاني اقليمي والذي يعد العرين المفضل لروسيا حيث استخدام العديد من الوسائل لتتحية الولايات المتحدة جانبا وتعزيز الاجندة الروسية وخاصة في منطقة الشرق الاوسط وبشكل خاص المنطقة العربية. فقد قامت روسيا بأعادة رسم استراتيجيتها تجاه منطقة الشرق الاوسط مدفوعة في ذلك بمجموعة من العوامل الاستراتيجية والامنية والاقتصادية ومن اهم ما تضمنته استراتيجيتها الامن القومي الروسية لعام ٢٠٠٩ نقاطا عديدة منها:

- ١- ان روسيا ستنشط لبناء شراكة استراتيجية متساوية مع الولايات المتحدة على اساس المصالح المشتركة اخذة في الاعتبار التأثير الرئيس للعلاقات الروسية الامريكية على الوضع الدولي ككل .
- ٢- ان تنفيذ سياسة خارجية منفتحة ويمكن توقعها يرتبط بشكل لا فكاك فيه بتحقيق تنمية مستقرة لروسيا ثم ان الاندماج الناجح لروسيا في الفضاء الاقتصادي العالمي وفي تقسيم العمل الدولي تعوقه الخطوات الوليدة للاقتصاد القومي نحو نمو يستند الى الابتكار والابداع.
- ٣- ستبقى روسيا وفي اطار الدفاع عن مصالحها القومية داخل حدود القانون الدولي وستنفذ سياسة عقلانية وبراغماتية يتم فيها استبعاد المجابهات المكلفة بما في ذلك سباق التسلح وهي تعتبر الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي العامل الرئيس لنظام مستقر من العلاقات الدولية استنادا الى مبادئ الاحترام المتبادل والحقوق المتساوية والتعاون المفيد والمتبادل بين الامم وحل النزاعات الاقليمية والدولية بالطرق السلمية .^(١٨)

اما من اهم اهداف واولويات روسيا الاتحادية في تعاملها مع الشرق الاوسط والمنطقة العربية كان باتجاه ثلاثة اهداف :

- ١- تركيا وايران لكونهما جاذبتين ولانهما تتمتعان بقدر كبير من النفوذ التاريخي والثقافي والاقتصادي مع تركيزها على تنافس الولايات المتحدة معها حول النفط والغاز في بحر قزوين.
 - ٢- منطقة الخليج العربي حيث كانت موسكو تسعى لممارسة سياسة توازن صعبة بين العراق وايران خلال فترة الثمانينات ثم بين ايران والسعودية وبقية دول الخليج العربي.
 - ٣- منطقة الصراع العربي - الاسرائيلي ، والتي عدتها روسيا كجزء من الحرب الباردة والتي اصبحت فيما بعد مجرد ورقة من اوراق الضغط تستخدم لأجل تحسين موقف وضع روسيا في النظام الرأسمالي العالمي .
- اما العناصر الرئيسية التي يمكن من خلالها فهم السياسة الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط فتتجسد بالاتي :

- ١- ضمان وحدة الاراضي الروسية .
- ٢- تمثين الاقتصاد بين الجانبين الروسي ودول الشرق الاوسط ، فقد اعلن رئيس الوزراء الروسي السابق ايفانوف عام ٢٠٠٨ ان روسيا لم تعد تصدر الايدلوجية بل ترغب في تصدير الاعمال وايرام العقود التي تشمل مجالات عديدة كالأسلحة والطاقة والذرة.
- ٣- انتهاء المواجهة الى غير رجعة وهو ما يسمح لروسيا بممارسة سياسة براغماتية بحسب الظروف .
- ٤- الحاجة الى وجود روسيا في المنطقة لأقامة ثقل معاكس للنفوذ الغربي وللحفاظ على توازن القوى في المنطقة.

٥- دور روسيا في الحفاظ على الامن في الشرق الاوسط بشكل عام والخليج العربي بشكل خاص .

٦- ينبغي لروسيا في المستقبل ان تستخدم الصديق والحليف المخلص للعرب التي انطبعت ايام الاتحاد السوفيتي وهي صورة يعترف بها العرب بلا جدال^(١٩) .

وبسبب المواجهة بين روسيا والغرب حول ملف اوكرانيا قررت موسكو تدشين استراتيجية جديدة للسياسة الخارجية تقوم على التوجه شرقا وتنشيط علاقاتها بدول المنطقة العربية لاجل تجنب العزلة الدولية وتعويض التداعيات السلبية للعقوبات الامريكية والاوربية وفي هذا السياق توجه الكرملين لجذب دول صديقة من المنطقة مثل ايران ومصر وقد تحققت نجاحات في هذا المجال اهمها توقيع عقد انشاء اول محطة للطاقة النووية لتوليد الكهرباء في مصر في ١٩ نوفمبر ٢٠١٥ بما يتضمنه ذلك من مكاسب جيواستراتيجية واقتصادية كبيرة لروسيا في المنطقة^(٢٠) . كما ويعود العامل المهم في عودة الاهتمام الروسي الى الشرق الاوسط الى تنافس الشركات الكبرى واستغلال الثروات البترولية التي تزخر بها هذه المنطقة وما ترتب على اقضاء الشركات الروسية من المنافسة في المنطقة وهذا ما اكده احد الباحثين الروس بقوله (ان ما يجري في الشرق الاوسط وفي الخليج لابد وان ينعكس علينا) اذ تسيطر روسيا والمملكة العربية السعودية وايران على ٥٢% من موارد الغاز الطبيعي وما لا يقل عن ٥٠% من موارد النفط وموارد المملكة العربية السعودية لم تنضب قبل وقت بعيد بينما لم يبدأ استغلال الغاز الايراني والنفط مستغل جزئيا ، ويشكل النفط والغاز مصدر الانتاج الذي يقع تحت تاثير هذه الدول المملكة العربية السعودية وايران والعراق وغيرها من دول المنطقة حيث يوجد ١٠٠ مليار برميل تنتظر استغلالها وتطويرها ويقدر الاحتياطي العراقي بما لا يقل عن ٤٠٠ مليار برميل^(٢١) . ان دور روسيا الاتحادية في الشرق الاوسط كبير جدا على عكس الولايات المتحدة الامريكية ذلك ان روسيا قريبة من الشرق الاوسط من الوجة الجغرافية ولها حدود مشتركة مع تركيا وايران وقريبة ايضا من البحر المتوسط وعلى الرغم من هذا فليس لروسيا الاتحادية في المنطقة مصالح اقتصادية فقط وانما كانت مصلحة روسيا الرئيسية في الشرق الاوسط هي رغبة ناشئة منذ زمن الاتحاد السوفيتي والى رغبة روسيا الاتحادية المتزايدة حاليا لكي تصبح ندا سياسيا للولايات المتحدة الامريكية لكي تقيم لنفسها دورا عالميا^(٢٢) . وعلى مدى العامين ٢٠١٥ و ٢٠١٦ بدأ واضحا ان الاعتبارات الاستراتيجية والامنية الروسية تقدمت واحتلت الاولوية في تحرك روسيا باتجاه الشرق الاوسط ويأتي في مقدمتها اهمية تعزيز الوجود الروسي في البحر المتوسط كمر وحيد للبحر الاسود وهو ما تضمنته العقيدة

العسكرية البحرية الجديدة التي صدق عليها الرئيس يوتين في ٢٦ يوليو ٢٠١٥ حيث نصت على ضمان وجود عسكري بحري دائم لروسيا في البحر المتوسط وتعزيز المواقع الاستراتيجية لروسيا في البحر الاسود ردا على تحركات الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي في البحر الاسود على خلفية الازمة الاوكرانية (٢٣)

المبحث الثاني: الصراع والتعاون الامريكي - الروسي حول المنطقة العربية (الوسائل والاليات)

لقد شهد اقليم الشرق الاوسط حالة من الاشتباك الاقليمي والدولي سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا بدرجة ما وذلك منذ اندلاع ثورات الربيع العربي وقد تكثفت هذه الحالة بسبب التطورات التي لحقت بالاقليم وكان اهمها التوصل للصفقة النووية بين ايران والقوى الغربية، فضلا عن الازمة السورية وما لحق بها من تطورات منها التدخل الروسي العسكري المباشر في سوريا واسقاط تركيا لطائرة عسكرية روسية على الحدود (٢٤) الا ان الدور الروسي لم يظهر في المنطقة العربية الا في نهاية عام ٢٠١٠ مع ثورات الربيع العربي، حيث بدت موسكو مشاركا نشطا في السياسات الاقليمية. وهنا يتوجب علينا تقسيم المبحث الى محورين
المحور الاول / الصراع (الوسائل والاليات).

١- الولايات المتحدة الامريكية ووسائلها والياتها في الصراع مع روسيا .

مع تولي جورج بوش الابن مقاليد السلطة في البيت الابيض عام ٢٠٠١ واعتناق اداراته الاولى بوضوح فكر المحافظين الجدد والذي راي انذاك ان العراق يمثل نقطة الانطلاق الحقيقية لإعادة تشكيل خريطة منطقة الشرق الاوسط وفقا للمصالح الامريكية وان تسوية قضايا المنطقة كافة بما فيها القضية الفلسطينية لا بد ان يكون مدخلها تغيير نظام الحكم في العراق - وخلال تلك الفترة تخلت ادارة بوش الابن - عن التعددية في التعامل مع العالم الخارجي وذلك باعلان رفضها العديد من الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية كيوتو، اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية، اتفاقية حظر الاسلحة الباليستية، بروتوكول الاسلحة البيولوجية، وقد ادت احداث الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ الى شن الادارة الامريكية حربا عالمية ضد الارهاب وفسحت لها المجال للقيام بما تريد من دون استشارة الاخرين وبخاصة حلفائها الاوروبيين. (٢٥)
فقد اظهر الامريكيون اهتمامهم بالشرق الاوسط من خلال تصريحات زعمائهم، فقد اصبح مفهوم الشرق الاوسط الكبير وخلال فترة وجيزة احدى اللوازم الجديدة للفكر الاستراتيجي الامريكي بعد او اثناء الحرب ضد الارهاب او تغيير النظم، وهو ما عبر عنه الرئيس بوش الابن اثناء خطابه حول حالة الاتحاد في يناير ٢٠٠٤ حيث قال (اذا كان الشرق الاوسط

سابقى موطنا للذكتاتورىة والىأس والغضب فسوف يستمر فى خلق افراد وحركات تهدد امن
الولايات المتحدة الامريكىة واصدقائها - لذلك ستواصل امريكا استراتيجىة متقدمة لاقرار
الحرىة فى هذا الشرق الاوسط المترامى.^(٢٦) ولالجل ان تحقق الولايات المتحدة اهدافها تلك كان
يتحتم عليها العمل ضمن عدد من المحاور منها :

١- وضع حد لموجبات الكراهىة ضد امريكا المتلاحقة والتى تتسع دوائرها وتنتقل من جيل
الى جيل كالعذوى فى منطقة الشرق الاوسط

٢- تغيير البنىة الثقافىة العربىة والاسلامىة والتحكم فى المضمون الفكرى لشعوب المنطقة .

٣- غرس قىم ومبادئ الفلسفة الليبرالىة بابعادها الفكرىة والاقتصادىة عبر تجنيد جىوش من
الكتاب والباحثىن والصحفىىن لترويجها والدفاع عنها .

ولو ناتي الى السىاسة الثقافىة التى اتبعتها الولايات المتحدة الامريكىة مع المنطقة العربىة
لنجدها تجسدت فى ما سمي بالدبلماسىة الثقافىة الامريكىة والتى تكون على مستوى النشاط
،بانها نوع من المزج او التفاعل التكاملى بين مايسمىه (جوزىف سى. ناى) القوة الناعمة
(soft power) والتى تعنى القدرة على تحقيق الاهداف عن طريق جاذبىة الثقافة بدلا من
الارغام او دفع الاموال وبين الدبلماسىة العامة (public diplomacy) والتى ترعاها
الحكومة وتهدف الى اعلام الجماهىر او التأثير فى الرأى العام فى بلدان اخرى .^(٢٧) وعلى
الرغم من ان اهتمام السىاسة الثقافىة الامريكىة بالمنطقة العربىة قد ظهر منذ بداية الخمسنىات
من القرن الماضى - وتطور وبشكل متعاظم مع مطلع القرن الحالى وذلك لسببىن متتالىىن وهما
:الاول هو مقال الكاتب الامريكى (صموئىل هنتغتون ١٩٩٣ - ١٩٩٦)واثره فى فكر صناع
القرار السىاسى الامريكى والذى ركز من خلاله على اهمىة العامل الثقافى فى الصراعات
الدولىة بعد نهاية الحرب الباردة وان الصراعات الدولىة ستكون صدامات حضارىة بين الامم
ومجموعات الانتماءات الثقافىة والحضارىة المختلفة اكثر مما بين الدول ،والثانى هو وقوع
احداث ايلول ٢٠٠١ المتمثلة بالهجمات التى تعرضت لها مواقع فى مدينتى نىويورك
وواشنطن وما تلاها من توجيه اتهام الى عناصر ومصادر عربىة بشأن الضلوع فيها .لذلك
عملت السىاسة الثقافىة الامريكىة على :

- تامين الوجود الثقافى الامريكى على النحو الذى يضمن لها عملية التأثير المستمر والفاعل
فى اتجاهات الراى العام العربى وتطوىعها للتكفىف مع تطلعات ومصالح السىاسة الامريكىة
فى المنطقة العربىة .

- غرس قيم وانماط الثقافة الامريكية في الوطن العربي وتعزيز دورها بالشكل الذي يكفل فتح ابواب القبول العربي امام السياسة الامريكية .

- تذويب عنصري الانتماء والولاء في الثقافة العربية بقصد طمس الهوية العربية واحلال هوية جديدة محلها مبنية على فلسفة استعمارية تركز على اساس اقليمي هوية شرق اوسطية وغايتها القبول بالآخر الغريب والمفروض اسرائيل .

كما كان للولايات المتحدة الامريكية دورها المتميز اثناء حدوث ما سمي بالربيع العربي وحدث الانتفاضات العربية ضد الانظمة السياسية لعدد من الدول العربية ومنها تونس ومصر والبحرين واليمن فكيف تعاملت الولايات المتحدة الامريكية مع هذه المرحلة لاسيما وان امريكا كانت من اهم الداعمين لأغلب الانظمة السياسية لهذه البلدان فالولايات المتحدة دعمت تلك الانظمة لاجل وضع خارطة وتوزيع الادوار من المركز الرئيس البيت الابيض لاطراف داخلية في مواقع الثورات ودول في المنطقة جاهزة ومهيأة للسير وفق التوجهات والاملاءات الامريكية في رسم مستقبل جديد او ما سمي بالشرق الاوسط الجديد^(٢٨) . كما اظهرت الولايات المتحدة في مناسبات كثيرة بانها تتعامل مع روسيا باعتبارها دولة من دول العالم الثالث بحيث تتهم الحكم في روسيا بانه يتعارض مع مبادئ الديمقراطية وقد عد الرئيس بوتين الولايات المتحدة بانها تستخدم عبارات ديمقراطية بهدف اعادتنا الى الماضي الذي شهد نهب ثرواتنا وحرماننا من استقلالنا الاقتصادي والسياسي^(٢٩) .

٢- روسيا الاتحادية وسائلها والياتها في الصراع مع الولايات المتحدة الامريكية.

لقد كانت موسكو على ادراك تام بانها لا تستطيع معادلة القوى العسكرية او الاقتصادية الامريكية في أي وقت الا انها مع ذلك ترفض ان تظل قوة عالمية من الفئة الثانية وتصر على ضرورة اعادة شكل ميزان القوى العالمي واحدى وسائلها الى ذلك مشاغلة الولايات المتحدة الامريكية واستدراجها في ارباكات سياسية واقتصادية اكثر من ساحة حيث تعد الشرق الاوسط واحدة من بينها ،كذلك قدام روسيا في اب ٢٠٠٧ بالاعلان عن لسان قائد الاسطول الروسي (الادميرال فلاديمير ماسورين) عن دراسة تقتضي باعادة الاسطول الروسي من جديد الى البحر المتوسط مدعوما بقاعدة عسكرية روسية يفضل الروس ان يكون مقرها سوريا^(٣٠) . فكانت الازمة السورية من اهم وسائل الصراع الامريكي الروسي ،حيث لم يحصل التوافق الدولي لاول مرة بين الاثنين حيث كان واضحا عندما استخدم الرئيس السوري بشار الاسد اسلحته الكيماوية ضد المدنيين وكذلك في صفقة البرنامج النووي الايراني لكن

الاستثناء الوحيد كان عندما تدخلت روسيا في اوكرانيا بحجة حماية روسيا لأنها القومي في جوارها المباشر على خلاف تدخلها في سوريا فقد وضعت نفسها ولأول مرة في صراع مباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب الباردة. كما عززت روسيا علاقاتها بايران عن طريق المساهمة في المشاريع النووية الإيرانية والعمل المشترك للتأثير في الاسواق النفطية اذ تمتلك الدولتان نصف احتياطي الغاز الطبيعي بين ايران وروسيا قد ينتج عنه ترتيبات جديدة تعيد صياغة التحالفات الاستراتيجية والاصطفافات فضلا عن احداث ارباك في اسواق النفط، وقد القى بوتين ووزير خارجيته بالمسؤولية عن حالة الفوضى وعدم الاستقرار في كل من سوريا وليبيا والعراق على عاتق واشنطن مشيرين الى انها وراء انشاء القاعدة وارهابي الدولة الاسلامية من خلال دعم مجاهدي افغانستان ضد الاتحاد السوفيتي السابق في الثمانينات وغزو العراق عام ٢٠٠٣، بل ان بوتين ذهب الى حد وصف الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الاوربي بالصليبيين الجدد بسبب خروج حلف شمال الاطلسي عن الولاية التي تحددت له بموجب قرار مجلس الامن ١٩٧٣ عندما تدخل في ليبيا عام ٢٠١١^(٣١) ومن وسائل الصراع ايضا اخذت روسيا تركيز على التعاون مع الدول الاخرى اقليميا لخلق مراكز استقطاب دولية تنافس وتزاحم الولايات المتحدة الأمريكية وهو من شأنه ان يضعف الهيمنة والتحكم الأمريكي بالشؤون السياسية والاقتصادية للعالم كما ان فرص التفاهم والتعاون بين مراكز الاستقطاب يوفر فرصة لتوحيدها في كتلة عابرة للقارات مما يشكل تحالفا يمتلك الكثير من اسباب القوة لفرض اجندته ويوصل رسالة الى الولايات المتحدة بانها ليست الوحيدة في تقرير شؤون العالم ولا بد من احترام ارادة قوى اخرى^(٣٢).

وقد عززت موسكو من وجودها وقواتها في المنطقة والى جانب (قاعدة حميم) الجوية تم في ١٨ يناير ٢٠١٧ توقيع اتفاقية بين موسكو ودمشق تقضي بتحويل طرطوس من محطة لتموين السفن الروسية الى قاعدة عسكرية بحرية متكاملة يمكنها استقبال ١١ سفينة حربية بما في ذلك سفن نووية وذلك لمدة ٤٩ سنة قادمة قابلة للتمديد تلقائيا ويسمح الاتفاق لروسيا بنشر نقاط تمركز متنقلة خارج الاراضي التابعة للقاعدة البحرية بهدف حراسة ميناء طرطوس ونشر منظومات صاروخية حولها اضافة الى نشر منظومات صاروخية في البحر من طراز (بال او باستيون) علما ان موسكو نشرت في وقت سابق صواريخ اس ٣٠٠ في محيط قاعدة طرطوس واس ٤٠٠ في محيط قاعدة حميم الجوية^(٣٣) وعلى هذا الاساس اتجهت روسيا نحو الشرق الاوسط للبحث عن شركاء، وجسدته بعلاقاتها الاقتصادية مع مصر فتجاوزت

تعاملاتها ٣ مليار دولار وبالمقابل اقامت روسيا علاقات مع اسرائيل وصلت الى ثلاثة
ونصف مليار دولار لعام ٢٠١٥ كما سعت الى ضم تركيا وايران لمنطقة تجارة تسعى
لاقامتها^(٣٤) ولقد استطاعت روسيا ان تبني اقتصادها معتمدة على ارتفاع اسعار النفط بحيث
ان الاقتصاد الروسي بدأ بالتحسن والنمو منذ عام ١٩٩٩ اذ بلغ معدل النمو الاقتصادي
المتحقق للسنوات (١٩٩٩-٢٠٠٧) بمعدل ٦,٨ %.

المحور الثاني/التعاون (الوسائل والاليات)

عندما قامت روسيا الاتحادية بالأعلان عن استراتيجيتها الجديدة عام ٢٠٠٩ هذه المسألة
تزامنت مع وصول(باراك اوباما) الى البيت الابيض والذي سارع حينها الى وضع بصماته
لتغيير العلاقات الروسية - الامريكية فقد اطلق في خريف ٢٠٠٩ مبادرة (اعادة التنظيم)
والتي اعطت للروس للمرة الاولى ومنذ عقدين حسا بالاحترام في الساحة الدولية وكما بات
معروفا عرض اوباما على بوتين جملة من التنازلات في مجال الصواريخ الاعتراضية في
اوربا الشرقية ووافق على مطالبها في مجال تقليص الاسلحة الاستراتيجية واعترف كأمر واقع
بوضعية روسيا الخاصة في الاتحاد السوفيتي السابق ومعه تعهد بعدم توسيع دور حلف شمالي
الاطلسي في هذه المناطق ودمج روسيا في النظام العالمي وفي نشاطات الدول الغربية في
عملية السلام الشرق اوسطية^(٣٥) وفي المقابل قبلت روسيا الانضمام الى العقوبات ضد ايران
والعمل المشترك مع الولايات المتحدة الامريكية وحلف الاطلسي ضد العناصر الراديكالية
الاسلامية وتوفير الدعم اللوجستي للحلف في افغانستان، لكن هذا الاتفاق ترك تداعياته على
العلاقات الروسية الايرانية، ففي عام ٢٠١٠ الغت روسيا تسليم (صواريخ أس - ٣٠٠ ارض -
جو) الى ايران مبررة موقفها بان ايران نسفت جهودها عدة مرات للتوسط بينها وبين الغرب
كما كان هنالك تعاونا امريكيا روسيا امكن التوصل من خلاله الى الصفقة النووية الايرانية او
ما يسمى بخطة العمل المشتركة الشاملة (joint comprehensive plan of Action)
(JCPOA) التي وقعت في فينا في ١٤ يوليو ٢٠١٥ وما سبقها من تفاهات لاسيما اتفاق
الاطار المؤقت الذي وقع في لوزان في ٢ نيسان ٢٠١٥، وقد اشاد الرئيس السابق اوباما
بتعاون موسكو في هذا الشأن ووصفه (بالكبير) وبطبيعة الحال فقد ارتكز موقف روسيا من
الملف النووي الايراني على مصالح موسكو في تعزيز نظام منع الانتشار النووي على اساس
انه ليس من مصلحتها ان تملك ايران اسلحة نووية او قدرات لتطويرها كما تدرك مخاطر
امكانية تورط ايران في انتشار التكنولوجيا النووية بما يتضمنه ذلك من مساس بعلاقاتها

الخاصة بإسرائيل^(٣٦) كما مثلت المبادرة الروسية والتي جرى الترويج لها بهذا الشكل امام الراي العام الامريكي والكونغرس بانها شكلت انتصارا شخصيا للرئيس اوباما وادارته وبخاصة في ضوء اتهامه بالضعف والتردد، فخيّر اللجوء الى القوة والتهديد بالتدخل العسكري اثبت نجاحه واجبر روسيا والنظام السوري على التراجع خطوة الى الوراء وقد شكلت هذه الخطوة المخرج الذي اراده اوباما لتجنب العمل العسكري الذي يضعه وحزبه في مواجهة مع الراي العام فضلا عن انه يتعارض مع استراتيجية الانكفاء التي اكد عليها في جميع حملاته الانتخابية واتبعها منذ توليه السلطة انطلاقا من ذلك قد يؤدي تنفيذ هذه الصفقة الى اعادة الازمة السورية الى مرحلة ما قبل مجزرة الكيماوي وقد تم الاتفاق بتاريخ في ١٤ ايلول ٢٠١٣ بين كميري ولافروف في جنيف والذي نص على اطار زمني لتدمير المخزون الكيماوي السوري بحلول منتصف عام ٢٠١٤ وجرى تضمينه في قرار مجلس الامن رقم ٢١١٨ الصادر في ٢٨ ايلول ٢٠١٣.^(٣٧) لقد نظرت روسيا الى ثورات الربيع العربي وشعاراتها الداعية للديمقراطية والدولة المدنية على اساس انها ثورات ذات نكهة غربية اطلنطية تعيد انتاج الدور والمصالح الامريكية في المنطقة وكل ما هو اطلنطي فهو حتما معاد للاوراسية، حيث لم تكن روسيا تمتلك الكثير من الاوراق للتاثير في مجرى الاحداث في تونس او مصر لكنها حتما تستطيع ان تؤدي دورا حاسما في المسألة السورية وقد دخلت روسيا بكل زخمها على الساحة السورية - كما سارعت لتأييد الانقلاب العسكري في مصر وهي تلتقي اليوم بالقيادات المصرية العسكرية لاعادة فتح صفحة التعاون العسكري الروسي - المصري التي طويت في بداية السبعينات من القرن الماضي.^(٣٨) وما دعم روسيا في عودتها واخذ مكانها من جديد الاخطاء التي ارتكبتها السياسة الامريكية في الشرق الاوسط وبصفة خاصة في العراق وفي التعامل مع جماعة الاخوان المسلمين - حيث ادى ذلك الى تهيئة بيئة مناسبة للسياسة الروسية في الشرق الاوسط لملىء فراغ القوة الذي خلفته الولايات المتحدة في المنطقة فاتبعت روسيا سياسة التحالف مع سوريا والتعاون مع ايران وحزب الله وبما يساند نظام الاسد - فقادت روسيا حلفا رباعيا ضم العراق، ايران، سوريا بزعامتها). وهنا يبقى الدور الروسي في منطقة الشرق الاوسط مرتبطا بقدراتها المادية والتغلب على تداعيات العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها من قبل الغرب

المبحث الثالث: مشاهد مستقبلية للرؤى الأمريكية - الروسية تجاه الشرق الاوسط والمنطقة العربية.

ان مشروع الشرق الاوسط ليس بجديد تماما وانما هو كمخطط قديم لكنه يتجدد بين الحين والآخر ويتجسد في صور مختلفة ومن ثم بات يمثل تحديا امام النظام الاقليمي العربي والذي وجد نفسه بين امرين: اما ان يعيد فرض وجوده كعنصر مؤثر في معادلات القوة على المستوى الدولي والقومي او ان يتحول الى مجرد عنصر هامشي في الاستراتيجية التي تضعها القوى الكبرى بهدف اعادة هيكلة منطقة الشرق الاوسط. وهنا يمكننا ان نقسم المبحث الى محورين وهما:

المحور الاول: مشهد استمرار الصراع

ان الصراع والتعاون الأمريكي - الروسي تتضح ملامحه من خلال الازمة السورية فكان هنالك مساندة ورعاية دولية لأطراف الصراع داخل سوريا ،فروسيا دعمت النظام السوري عسكريا ودبلوماسيا لان سوريا اخر معاقلها الاستراتيجية على المياه الدافئة اما الولايات المتحدة الأمريكية فقد ترددت كثيرا في دعم قوى المعارضة ومدتها بالسلح الاستراتيجي كما امتنعت عن التدخل المباشر عندما استخدم النظام السوري اسلحته الكيماوية ضد المدنيين وهو ما كانت واشنطن تعده خطأ احمر يستوجب التدخل واخيرا اقتنعت الولايات المتحدة بالتدخل في سوريا من باب محاربة ارهاب تنظيم داعش بقيادتها التحالف الدولي الذي بدأ هجماته منذ عام ٢٠١٥ لكن نتائجه كانت متواضعة على الارض وهو ما استغلته روسيا للتدخل المباشر في سوريا^(٣٩) حيث يظل الارهاب والتطرف الديني في المنطقة خاصة في ظل استمرار الازمات في سوريا والعراق وليبيا عاملا مهما لاستمرار الدور الروسي في الشرق الاوسط والسعي الى تفعيله، بل ان هذا العامل هو المحدد الاهم لاستراتيجية سياسة روسيا الخارجية في المنطقة بحساب ان الارهاب والتطرف الديني هما احد اهم المخاطر الخارجية المهددة للامن القومي الروسي خاصة مع ادراك روسيا ان لداعش حلفاء ليس في مناطق شمال القوقاز الروسي بل وايضا في جوار روسيا المباشر مثل بعض جمهوريات اسيا الوسطى وتركيا. فترى موسكو ان سوريا تعد منطقة الارتكاز الاساسية لها في المنطقة وليس من المتصور ان تقبل أي مساومات او مقايضات بشأن موقفها منها وتنطلق من ان السبيل الوحيد لتسوية الازمة السورية والحفاظ على وحدة الاراضي السورية وتجاوز الخلافات بين الاطراف المختلفة المتصارعة هو طاولة المفاوضات وعولت على مسار استانا العسكري الذي رات فيه ممهدا

ومساعدا لمسار جنيف السياسي، وفي هذا الاطار تم توقيع الاتفاقية الخاصة بمناطق خفض التوتر او التصعيد في ختام اجتماعات أستانا ٤ والتي عقدت في كازاخستان يومي ٣ و٤ مايو ٢٠١٧ ودخلت حيز التنفيذ بدأ من يوم ٦ ايار من العام نفسه بين كل من روسيا وايران وتركيا بحسبانها دولا ضامنة للاتفاق والتي نصت على وقف اطلاق النار بين جميع الاطراف المتصارعة وكذلك حظر الضربات الجوية وتضمنت اربع مناطق (الاولى - وهي اكبر منطقة وتقع في شمال سوريا وتشمل ريف ادلب والمناطق المحاذية وشمال شرقي ريف اللاذقية وغربي ريف حلب وشمال ريف حماة وتسيطر عليها تشكيلات مسلحة تضم اكثر من ١٤ الف فرد) والثانية (تمتد شمالي ريف حمص وتشمل مدينتي الرستن وتليبيسة والمناطق المحاذية الخاضعة لسيطرة فصائل مسلحة تضم نحو ثلاثة الاف فرد) والثالثة فتشمل (الغوة الشرقية وهي مصدر عمليات القصف على دمشق بما في ذلك محيط السفارة الروسية) اما الرابعة (فتمتد جنوب سوريا في المناطق المحاذية للحدود الاردنية في ريفي درعا والقنيطرة وتخضع اغلبية المنطقة لما يسمى الجبهة الجنوبية التي تضم نحو ١٥ الف مسلح)^(٤٠) حيث تقدم السياسة الروسية في مجال مكافحة الارهاب نموذجا اخر فعلا لتوظيف روسيا للقوة الذكية فمن ناحية تقوم بضربات جوية مباشرة لضرب الارهابيين في سوريا كما عملت على التواصل الفعال مع العالم الاسلامي من خلال عضويتها في منظمة المؤتمر الاسلامي ومجموعة الرؤية الاستراتيجية (روسيا العالم الاسلامي) لبلورة خطاب ديني واعلامي يحض على التسامح ونبذ العنف والتطرف، هذا الى جانب الواجهة السيبرانية للجماعات الارهابية التي اتسع نشاطها على نحو ملحوظ في وسائل التواصل الاجتماعي وانتشرت مواقعها لتجنيد النشء والشباب على نحو يهدد الامن القومي الروسي.^(٤١) كما عدت روسيا ان علاقتها مع ايران محور موسكو - ايران، هو احد اهم محاور السياسة الاوراسية الجديدة، فايران من وجهة نظر روسيا هي دولة مشرقية معادية للغرب، وهي تعمل منذ عقود على تقديم نموذج سياسي وثقافي مختلف ومعادي لكل طموحات العولمة من جهة اخرى، فايران تقدم بمشروعها الاسلامي نموذجا اسلاميا مقبولا لدى الروس قياسا بالمشروع الاسلامي السني الذي تتخوف منه كثيرا وقد عانته في دول القوقاز والشيشان تحديدا وقد كلفها عشر سنوات من الحرب.^(٤٢) اما محور الموارد الطبيعية ولاسيما الغاز الطبيعي والذي يمكن ان يكون سببا لاشتداد الصراع بين هاتين القوتين، لاسيما بعد اكتشاف احتياطات جديدة من الغاز الطبيعي في لبنان وقبرص واسرائيل، حيث سيكون هذا المورد الطبيعي نقمة على منطقة الاوسط

وليس نعمة تستفاد منها شعوب المنطقة ، فهناك مؤشرات تدل على تقدم روسيا على الولايات المتحدة لاجل ان تنبؤ مكانة عالمية ويكون لها نفوذها من جديد ومنها: تسعى روسيا للخروج من العبء الضيقة كمصدر للأسلحة الى فضاء اوسع من التعاملات والشراكات التي تضمن لها وللإقتصاد الروسي وضعية افضل ودورا محوريا في خريطة الطاقة العالمية - فروسيا تحتل المركز الثاني في العالم كأكبر مصدر للأسلحة حيث كانت حصيلة مبيعاتها بحدود ١٥ مليار دولار عام ٢٠١٦ أ كما بلغت قيمة صادراتها من الحبوب والمنتجات الزراعية ٢٠ مليار دولار متجاوزة صادرات الاسلحة لتصبح روسيا اكبر مصدر للحبوب في العالم حيث تقوم بتصدير ٤٥ مليون طن من الحبوب منها ٣٢ مليون طن من القمح متقدمة بذلك على الولايات المتحدة الامريكية وكندا ابرز مصدري القمح في العالم ،وفي مجال الطاقة قامت روسيا بضخ الاستثمارات الروسية والتعاون التكنولوجي في مجال البحث والتنقيب وبناء خطوط النقل لدعم مكانة روسيا كقوة مهيمنة في سوق الطاقة العالمي ،فقامت روسيا باستبدال الديون كعقود وصفقات مع اثنين من كبار منتجي الطاقة في المنطقة العربية والذان يمثلان مصادر بديلة مهمة خاصة للاسواق الاوربية وهما العراق والجزائر ،الى جانب الحرص على المشاركة في الفرص الواعدة التي تتيحها اعادة اعمار ما خلفته الحرب على الارهاب في سوريا والتي تعد معبرا مهما لنقل الطاقة من دول اخرى منها قطر وايران الى الاسواق الاوربية والعالمية مما يعظم الافاق المتاحة بهذا الخصوص .^(٤٣) وهنا تساؤل يطرح نفسه هل هنالك حرب باردة ثانية وجديدة بين روسيا والولايات المتحدة الامريكية ؟ هذا التساؤل يمكن برهنته من خلال تصريحات الامريكيين انفسهم ومنها ما صرح به وزير الدفاع الامريكي السابق (روبرت غيتس) امام اللجنة العسكرية في الكونغرس - حيث دعا الى زيادة الميزانية العسكرية كي تتمكن القوة الامريكية من خوض حرب واسعة وانه يمكن اضافة روسيا والصين كعدوين محتملين على اللائحة التي تضم ايران وكوريا الشمالية^(٤٤) وعقب الضربة الامريكية على سوريا مطلع نيسان ٢٠١٧ عقد وزراء خارجية الدول الثلاث (روسيا وايران وسوريا) اجتماعا في دمشق واكدوا موقفهم الموحد بان الضربة الامريكية لسوريا تمثل عملا عدوانيا وانتهاكا صارخا لمبادئ القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة وطالبوا واشنطن باحترام سيادة سوريا والتخلي عن القيام بخطوات احادية تهدد الامن في المنطقة والعالم.^(٤٥) في الوقت نفسه هنالك مصالح امريكية متشعبة مع دول الخليج العربي حيث لا تستطيع روسيا مجابهتها ومنها علاقات امريكا بدول مجلس التعاون الخليجي وعلى راسهم قطر والسعودية ،فقطر تلك

الدولة الصغيرة التي تعوم على بحر من النفط والغاز وبعدهد سكان لا يتجاوز ٢٠٠ الف نسمة من السكان الاصليين والتي يصل الدخل السنوي للفرد الواحد بحدود مئة الف دولار سنويا وتستخدم اكثر من مليون خادم وموظف في مؤسساتها العسكرية والمدنية فهي تقوم باستضافة القيادة المركزية الامريكية لمنطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا واسيا الوسطى في قاعدة (عيديد الجوية) وهذه القوات الامريكية قامت بادوار قتالية في افغانستان والعراق^(٤٦)

المحور الثاني: مشهد الاتجاه نحو التعاون

ان سيناريو سايكس بيكو الجديد بمعنى وجود تفاهم ضمني غير معلن بين القوتين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية خليفة الاتحاد السوفيتي السابق لتقسيم مناطق النفوذ بينهما في المنطقة العربية بحيث يكون لروسيا نفوذها في سوريا مقابل ان يكون للأمريكيين نفوذهم في العراق وربما كانت تقوم الصفقة على تسوية ما للارزمة السورية يكون مضمونها رحيل الاسد دون رحيل النظام مع ضمان المصالح الروسية في المنطقة والى حد ما الايرانية في اطار صفقة كبرى تضمن للأمريكيين مصالحهم في الشرق الاوسط بما فيها ضمان امن اسرائيل والنفط لحد ما .

لقد تغير العالم جذريا خلال هذا القرن الذي مضى منذ توقيع اتفاقية سايكس - بيكو حيث كانت هنالك قوى استعمارية تحتل معظم مناطق العالم حيث كانتا دولتا الاتفاقية فرنسا وبريطانيا اما بعد نهاية الاستعمار جاءت الولايات لمتحدة والاتحاد السوفيتي والان يؤديان الدولتان الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية يساعدهم في ذلك دور القوى الاقليمية، كما ان طبيعة العلاقات الامريكية - الروسية ونوع المصالح بينهما تختلف عما كانت عليه العلاقات البريطانية - الفرنسية ويعني ذلك ان امريكا وروسيا لا تستطيعان وحدهما ان تحددا مستقبل منطقة الشرق الاوسط ولا تملكان حتى الادوات الاكثر تأثيرا في هذا المجال واذا كانت هاتان الدولتان غير قادرتين على تحقيق قدر معقول من التفاهم بشأن الوضع في سوريا فكيف يمكن تصور انهما تستطيعان الاتفاق على خريطة جديدة للمنطقة^(٤٧). ان مشهد التعاون الامريكي الروسي، بحسب العديد من التحليلات الغربية سيحاول (دونالد ترامب) بناء علاقة ايجابية بروسيا لكنها ليست واضحة المعالم، علما ان كلا من اوباما وبوش الابن حاولا اقامة علاقة ايجابية مع بوتين لكنهما فشلا، اما ترامب سيحاول بناء هذه العلاقة، فهناك من يقول ان هنالك خطرا من عقد ترامب وبوتين ما يشبه اتفاقية يالطا جديدة للاحية اعادة تقسيم النفوذ والادوار بين الدول العظمى في العالم، وهذا الاحتمال غير واضح مدى تحققه نظرا الى تنوع قائمة الاسماء

المطروحة والتي ستمسك بإدارة ترامب، لكن يمكن ان تترجم هذه الاجواء بالاجابية بين ترامب وبوتين في سورية في البداية وهذا امر عبر عنه ترامب بالدعوة الى ترك الروس والرئيس السوري بشار الاسد وحلفاؤهم يقاتلون داعش والارهاب في سوريا.^(٤٨) ولكن ما هو السبب الذي وقف وراء تأخر تدخل روسيا في مواجهة الارهاب وضربه في سوريا وهو سؤال منطقي ومهم ولعل الاجابة تتمثل في ان السنوات الثلاثة الاولى من التغيير العربي كانت تتزامن مع اشتعال المسرح السياسي الاستراتيجي في دول الجوار المباشر لروسيا، مثل اوكرانيا ومن قبلها جورجيا وذلك بسبب سياسات عدائية او خشنة من جانب الغرب الامريكي والاوربي وهو ما كان يعني في احدى نتائجه عدم توسط روسيا هنا وهناك أي في سوريا والشرق الاوسط وفي اوكرانيا وهو ما كان يمكن ان يمثل تحديا وعبئا كبيرين على السياسة الروسية التي فضلت الانتظار حتى يقل نسبيا التوتر بين اوكرانيا وغيرها من دول الجوار الروسي وذلك حتى يمكن تحقيق نتائج ايجابية لمصلحتها في المكانين او الميدانين واحدا بعد الاخر^(٤٩) الا ان الامور اتجهت اتجاها مفاجئا مع تزايد انتاج الولايات المتحدة الامريكية من النفط الصخري وتغطية المزيد من احتياجاتها من انتاجها المحلي اذ انخفضت الكمية التي تحتاج لاستيرادها من النفط نحو ٦٠%، لتصل الى اقل من ٢٠% خلال عام ٢٠١٧ حيث بلغ صافي الواردات الامريكية من النفط الخام والمنتجات ٧١١ ، ٤ مليون برميل في عام ٢٠١٥ وكانت الواردات من منطقة الشرق الاوسط ٦٢٢،١ مليون برميل أي انها مثلت ما نسبته ٤٠%، ٣٤% منها ومع هذا الانخفاض الشديد في الواردات من الخارج، وقد بات هنالك الكثير من الكتابات تذهب الى فقدان الشرق الاوسط لأهميتها الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية بل والدعوة الصريحة من قبل البعض الى الانسحاب الامريكي من هذه المنطقة غير المستقرة والغارقة في نزاعاتها السياسية والدينية والمذهبية.^(٥٠) الا ان معظم التقديرات تذهب الى ان ذروة انتاج النفط الصخري في الولايات المتحدة ستحدث في وقت ما بين عامي ٢٠٢٠ و٢٠٢٣ ليعود الانتاج بعدها للانخفاض مما قد يترتب عليه العودة لتزايد حاجة الولايات المتحدة للواردات من الخارج لتغطية الاستهلاك.^(٥١) وتبقى المصلحة الامريكية هي عدم وقوع نفط الخليج في ايدي غير صديقة او يتوقف عن التدفق كلية ما دامت امريكا والعالم مستمرين في الاعتماد على الهيدروكربونات وقد استطاعت الولايات المتحدة ولفترة طويلة من الوقت الاستفادة من هذا الموقف اذ كانت تشير دوما الى انها تتولى حماية التدفق الحر للنفط لمصلحتها ومصلحة حلفائها الاوربيين ومن اجل حرمان اعداء الغرب روسيا والصين من

الهيمنة على المورد الذي يمكنه ان يؤثر في مختلف وجه الحياة ويشل الحركة الاقتصادية في الغرب . بالإضافة الى ذلك تبقى اهمية المنطقة كشريك اقتصادي يستوعب نحو ١٠% من الصادرات الامريكية ومشتري رئيسي لأنظمة التسليح الامريكية علاوة على استثمار جزء كبير من الفوائض النفطية العربية في الولايات المتحدة الامريكية سواء في شكل استثمارات غير مباشرة (الاوراق المالية وعلى راسها الخزانة الامريكية) او استثمارات مباشرة في العديد من المجالات والانشطة الاقتصادية^(٥٢) وبالمقابل فان روسيا لا تسعى الى مزاحمة الولايات المتحدة الامريكية او غيرها في المنطقة وتتطلق ستراتيجيتها من منطق تشاركي تعاوني وليس صراعي لأيمانها بان اية مواجهة مباشرة او غير مباشرة ستكون مكلفة للجميع وستؤثر سلبا في قدرتها على تحقيق اهدافها وستزيد من استنزاف القدرات الروسية وترفع من تكلفة حركاتها ، ان روسيا تسعى فقط لتحقيق مصالحها في اقصر وقت ممكن وباقل تكلفة ممكنة الامر الذي يقتضي التنسيق مع الاطراف الاقليمية والدولية المعنية بقضايا المنطقة والتي ايضا لها مصالح التي تعمل جاهدة على تحقيقها وبرزها الولايات المتحدة الامريكية وتركيا واسرائيل الى جانب دول الخليج العربي . وعلى الرغم من ان الرئيس فلاديمير بوتين في تصريح له في (منتدى بطرسبورج) الاقتصادي الذي عقد في ٢ يوليو ٢٠١٦ مصرحا بان العلاقات الروسية - الامريكية وصلت الى ادنى مستوياتها منذ الحرب الباردة ،فانه اكد ان موسكو ستواصل الحوار مع ادارة الرئيس (دونالد ترامب) الذي عده شخصا صريحا وعبر عن نيته في اقامة علاقات عملية وشخصية جيدة معه وان هنالك حاجة الى بذل جهود من كلا الجانبين وان اقامة علاقات تجارية واستثمارية متينة من شأنها ان تحمي العلاقات الروسية - الامريكية من التقلبات في الظروف السياسية ودعا رجال الاعمال الأمريكيين الى مساعدة الرئيس ترامب في اقامة حوار سياسي طبيعي بين البلدين^(٥٣) الا ان الدور الروسي في المنطقة اخذ يزداد قوة وتأثيرا ويمزج بوضوح بين القوة الصلبة والناعمة وبين الضربات العسكرية والادوات الدبلوماسية ويتحرك في مسارات متوازية لتحقيق اهدافها ومصالحها مع تجنب الصدام مع القوة الدولية والاقليمية الاخرى الفاعلة في المنطقة .

الخاتمة والاستنتاجات :

ان النظام الدولي اليوم يعيش مرحلة انتقالية تحاول خلالها الولايات المتحدة الامريكية الحفاظ على سطوتها وهيمنتها كما تحاول اعادة الانتشار مجددا في الشرق الاوسط عبر اقامة علاقات قوية من خلال تقوية علاقاتها مع العراق و دول الخليج العربي وعلى راسها السعودية واعادة

الدفء في علاقاتها مع مصر. حيث تبقى من اهم مبادئ العلاقات الدولية لا عداوات دائمة ولا صداقات دائمة وانما مصالح دائمة، فعلى الرغم من انتقاد بوتين الشديد للولايات المتحدة الامريكية وحلفائها فانه يظل حريصا دائما على توجيه رسالة مفادها ان التوجه الروسي الجديد هو توجه محسوب وانه لن يذهب الى حد تهديد مصالح الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها او ادارة ظهر روسيا لهما خاصة في الملفات التي تحتاج فيها واشنطن الى تعاون موسكو، وهذا يعني بالتالي ان سلوك روسيا في منطقة الشرق الاوسط يظل دفاعيا في المقام الاول وانه نادرا ما سعت روسيا الى استخدام ورقة الشرق الاوسط ضد الغرب وفي معظم الحالات تكون اولوياتها حماية مصالحها الاقتصادية والسعي الى الاحتفاظ بروابط غير مقيدة مع دول المنطقة وعلى الرغم من ان القوة الامريكية في الشرق الاوسط اصبحت مأزومة، الا انها لن تتخلى عن مصالحها الاقتصادية والسياسية والامنية في المنطقة في المستقبل المنظور، فهي ترى بان لديها مصالح استراتيجية في المنطقة تتجسد في الاتي:

- ١- الطاقة لاسيما مع احتواء المنطقة اكبر الاحتياطات النفطية والغازية في العالم، فالولايات المتحدة ستسعى للحفاظ على وجودها في المنطقة ولاسيما في منطقة الخليج العربي.
 - ٢- اسرائيل والتي تلتزم الولايات المتحدة بالدفاع عنها والتي من المرجح ان تكون مطوقة ومحاصرة في العقود المقبلة وهذا الالتزام سيطلب الانخراط السياسي والعسكري الامريكي في المنطقة للحفاظ على امن اسرائيل .
 - ٣- الارهاب وتهديده والتطرف الذي حددته الولايات المتحدة على انه يشكل خطرا رئيسا على امنها القومي.
- اذن لقد ارتبطت السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط بدرجة اتساع نطاق مصالحها وتحالفاتها والتداخل فيما بين القضايا التي تقود في دائرة اهتماماتها، هذا فضلا عن طبيعة السياسة الامريكية في المنطقة والتي اتسمت بعدد من الخصائص واهمها:
- ١- الميل الى تجاهل احكام القانون الدولي والشرعية الدولية في ادارة الصراعات في الشرق الاوسط.
 - ٢- محاولة توظيف المنظمات الدولية خاصة مجلس الامن الدولي وصندوق النقد الدولي لخدمة سياسات الولايات المتحدة الامريكية ومصالحها في المنطقة، مما اوجد من حالة عدم الثقة في هذ المنظمات وتعاملها مع قضايا المنطقة وازماتها .
 - ٣- اتساع نطاق استخدام ما عرف بالمعايير المزدوجة او الكيل بمكيالين في التعاطي مع قضايا وازمات المنطقة .
 - ٤- اضعفت اساليب الولايات المتحدة في ادارة الصراعات بالمنطق وخاصة الصراع العربي - الاسرائيلي قوى الاعتدال في المنطقة ومصداقيتها بشكل كبير.
 - ٥- اسهم الدعم الامريكي المتواصل لاسرائيل وتوفير الحماية لها ازاء اي نوع من المسائل الدولية جراء الجرائم التي ارتكبتها بحق الشعب الفلسطيني وبالتالي خلق شعور باليأس من اي جهد سلمي لتسوية الصراع العربي - الاسرائيلي.

وبالتالي ادت تلك السياسات الى زيادة تعقيد قضايا المنطقة وتشابكها واتساع الفجوة بين
تطلعات قطاعات كبيرة من شعوب المنطقة والقدرة الفعلية لدولها على الانجاز على المستويين
الداخلي والخارجي وهو الامر الذي ادى الى بروز جماعات تنمر على الدولة وتطرح نفسها
كبديل عنها في العديد من مجتمعات المنطقة وتنتهج العنف كوسيلة لتحقيق اهدافها وتجسيدها
على ارض الواقع .

كما يمكن تحديد توجهات السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط ضمن عدة توجهات اهمها:
أ- التوجه الى اسيا مع خفض الانشغال في منطقة الشرق الاوسط وهو ما عبرت عنه مستشارة
الامن القومي الامريكية السابق (سوزان رايس) بتصريحها الشهير حول الوقت الذي تستهلكه
المنطقة من وقت الرئيس وان الامر يتطلب تحقيق قدر من التوازن في الاهتمام بمناطق العالم
تبعاً للمصالح الامريكية.

ب - محاولة تحقيق انفراج بل وتقارب في العلاقة مع ايران من خلال التفاوض معها للتوصل
الى حل للخلافات المتعلقة بالملف النووي الايراني او امن الخليج العربي او ترتيب الاوضاع
في الشرق الاوسط خلال المرحلة المقبلة وصولاً الى بحث امكانية المشاركة الايرانية في
الحرب على تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) فاثارت المفاوضات مع ايران تحفظات حلفاء
الولايات المتحدة في المنطقة.

ج - امكانية الاستقلال عن نفط الشرق الاوسط واعادة رسم خريطة الطاقة العالمية حيث يتوقع
ان تحتل الولايات المتحدة موقع الدولة الاولى في انتاج النفط والغاز الصخري وبالتالي الاتجاه
لعدم الاعتماد على نفط الخليج العربي.

وهنا تكون الاحتمالية الواردة وهي اعادة لرسم خريطة الطاقة العالمية واعادة هيكله السياسة
الخارجية الامريكية على المستوى الدولي وعلى مستوى الشرق الاوسط. ولكن بالمقابل
اشارت العديد من الدراسات الامريكية الى صعوبة تحقيق ما يسمى بالاستقلال الامريكي عن
نفط الشرق الاوسط فالولايات المتحدة وان استطاعت ان تفي باحتياجاتها من الطاقة فانها لا
تستطيع ان تفي باحتياجات باقي حلفائها، كما ان تخلي امريكا عن نفوذها في الشرق الاوسط
وخاصة منطقة الخليج العربي قد يؤدي الى فقدانها القدرة على التحكم في امدادات الطاقة
لمنافسيها .

الهوامش و المصادر :

1: https://mawdoo3.com/%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%D8%B9%D9%86_%D8%A7%1J

- ٢- سعيد اللاوندي الشرق الاوسط الكبير مؤامرة امريكية ضد العرب، القاهرة ، ط١،يناير ٢٠٠٥، ص٢٢
- ٣- خيام محمد الزغبي، الصراع الروسي - الامريكي يدخل خريف المواجهة، موقع انترنتيت صحيفة المنار [http :www.manar.com/page.ar.html](http://www.manar.com/page.ar.html)
- ٤- وحيد عبد المجيد، الشرق الاوسط بين التفكك والتفتت، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية العدد ١٩٨ لعام ٢٠١٤، ص٣٦، وينظر كذلك: بسام عبد القادر النعماني، الوطن العربي بعد ١٠٠ عام من اتفاقية سايكس - بيكو في الخرائط، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٤٦ نيسان ٢٠١٦، ص٧.
- ٥- ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص٣٧٠ - ٣٧١.
- ٦- عبد القادر رزيق المخادمي، مشروع الشرق الاوسط الكبير /الحقائق والاهداف والتداعيات، بيروت، دار الزهراء، ٢٠٠٥، ص٤٦.
- ٧- شفيق المصري، الحرب الباردة في وجهها الجديد، مجلة الغدير، بيروت، العدد ٦٤، خريف ٢٠١٣، ص١٠٣.
- ٨- علي وهب، الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الاوسط / التأمير الامريكي - الصهيوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص٢٧.
- ٩- المصدر السابق نفسه، ص٢٨.
- ١٠- المصدر السابق نفسه، ص٢٩.
- ١١- بهجت قرني، النظرة الى الشرق الاوسط بطريقة مختلفة: عدسة مفهومية بديلة، مجموعة باحثين: الشرق الاوسط المتغير نظرة جديدة الى الديناميكيات العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، تشرين الاول ٢٠١١، ص٥٢.
- ١٢- عبد القادر رزيق المخادمي، مصدر سبق ذكره، ص٤٧.
- ١٣- المصدر السابق نفسه، ص٤٧.
- ١٤- سعيد اللاوندي، مصدر سبق ذكره، ص١٧.
- ١٥- مجدي صبحي، استراتيجية النفط الامريكية في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولية، الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠٩ يوليو ٢٠١٧، ص٨٩.
- ١٦- كامل وزنة، الغاز الطبيعي: وخرائط الصراع العالمي على الطاقة، مجلة حمورابي، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، العدد ٣ يونيو ٢٠١٢، ص١٥٧.
- ١٧- عبد القادر رزيق المخادمي، مصدر سبق ذكره، ص٥٠.
- ١٨- سعد محيو، روسيا والانتفاضات العربية من حروب الشيشان الى معركة سوريا، دراسات وتقارير، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ط١، تموز ٢٠١٣، بيروت، ص٤.
- ١٩- حميد نعمة عيدان جلود، دور المبادرات السلمية في ادارة العلاقات الدولية: روسيا الاتحادية نموذجا /مركز العراق للدراسات، مطبعة الساقى، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص١٥٨.
- ٢٠- عزت سعد السيد، واشنطن وموسكو بين التباعد والتقارب، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠٣ يناير ٢٠١٦، ص١٠٥.
- ٢١- حميد نعمة عيدان جلود، مصدر سبق ذكره، ص١٥٥.

- ٢٢- بيتر منغولد، تدخل الدول العظمى في الشرق الاوسط ترجمة اديب شيش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٤، صص ٥٣-٥٦.
- ٢٣- نورهان الشيخ، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط ... حدود وملامح التغيير، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠٩ يوليو ٢٠١٧، ص٩٤.
- ٢٤- ابو بكر الدسوقي، اشكاليات الاشتباك الدولي في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الاهرام للدراسات الاستراتيجية، العدد ٢٠٣ يناير ٢٠١٦، ص١٠٢.
- ٢٥- محمد مطاوع، الغرب وقضايا الشرق الاوسط: من حرب العراق الى ثورات الربيع العربي (الوقائع والتفسيرات)، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٢٦، اب، ٢٠١٤، ص٤٢.
- ٢٦- سعيد اللاوندي، مصدر سبق ذكره، ص١٥.
- ٢٧- زايد عبيد الله مصباح، السياسة الثقافية الامريكية تجاه الوطن العربي: دبلوماسية ثقافية ام امبريالية ثقافية؟، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٢٧ ايلول ٢٠١٤، ص١٠٢.
- ٢٨- محسن صالح، الثورات العربية: السياق والتحديات: تدخل القوى الاقليمية برعاية ومتابعة امريكية (السعودية وقطر نموذجا) مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للدراسات والبحوث، العدد ٢ اذار ٢٠١٢، ص١١٦.
- ٢٩- كامل وزنة، مصدر سبق ذكره، ص١٥٩.
- ٣٠- حميد نعمة عيدان جلود، مصدر سبق ذكره، ص١٥٧.
- ٣١- عزت سعد السيد، مصدر سبق ذكره، ص١٠٦.
- ٣٢- عبد علي كاظم المعموري، وسن احسان عبد المنعم، الصراع الروسي - الامريكي: أوراسيا مقابل الاطلسي، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد ١٥٤ خريف ٢٠١٦، ص١٥٠.
- ٣٣- نورهان الشيخ، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط ... حدود وملامح التغيير، مصدر سبق ذكره، ص٩٤.
- ٣٤- عبد علي المعموري، وسن احسان عبد المنعم، مصدر سبق ذكره، ص١٥٠.
- ٣٥- سعد محيو، مصدر سبق ذكره، ص٧.
- ٣٦- عزت سعد السيد، مصدر سبق ذكره، ص١٠٤.
- ٣٧- وحدة تحليل السياسات في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، صفقة الكيماوي: المخرج الذي اراده اوباما، مجلة سياسات عربية، بيروت، العدد ٥ تشرين الثاني ٢٠١٣، ص١٩.
- ٣٨- محمد عادل شريح، روسيا " روسيا الاوراسية " وقضايا المشرق العربي، مجلة سياسات عربية، بيروت، العدد ٨ نيسان ٢٠١٤، ص٢٦.
- ٣٩- ابو بكر الدسوقي، مصدر سبق ذكره، ص١٠٢.
- ٤٠- نورهان الشيخ، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط، مصدر سبق ذكره، ص٩٥.
- ٤١- نورهان الشيخ، الاستراتيجية الصامتة ... ركائز القوة الذكية في السياسة الروسية، ملحق السياسة الدولية، تحولات استراتيجية، العدد ٢١٢ نيسان ٢٠١٨، ص١٦.
- ٤٢- محمد عادل شريح، مصدر سبق ذكره، ص٢٦.
- ٤٣- نورهان الشيخ، الاستراتيجية الصامتة ... ركائز القوة الذكية في السياسة الروسية، مصدر سبق ذكره، ص١٤.
- ٤٤- كامل وزنة، مصدر سابق، ص١٦٠.

- ٤٥- نورهان الشيخ، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط مصدر سبق ذكره، ص٩٦ .
٤٦- محسن صالح، مصدر سبق ذكره، ص١٢٣ .
٤٧ - وحيد عبد المجيد، من يفعل ماذا في الشرق الاوسط؟، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة
الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠٥ يوليو ٢٠١٦، ص٩ .
٤٨ - فوز طرمب:قراءة في المشهدين الامريكي والعالمي :مقابلة مع بول سالم، اجري
الحوار :فارس ابي صعب، مجلة المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت
،العدد ٤٥٤ كانون الاول ٢٠١٦، ص٣٢،
٤٩ - مصطفى علوي، روسيا وامريكا في سوريا والعراق ... صفقة غير معلنة، مجلة السياسة
الدولية، الاهرام، القاهرة، العدد ٢٠٣ يناير ٢٠١٦، ص١٠٩ .
٥٠ - مجدي صبحي، مصدر سبق ذكره، ص٩٠ .
٥١- المصدر السابق نفسه، ص٩٠ .
٥٢- المصدر السابق نفسه، ص٩١ .
٥٣- نورهان الشيخ، استراتيجية روسيا في الشرق الاوسط، مصدر سبق ذكره، ص٩٦ .

الموقف التركي من قضية كركوك بعد عام ٢٠٠٣

د. ندى عليوي العبودي

الهيئة العامة للآثار والتراث / وزارة الثقافة

المقدمة:

ما تزال تركيا تستذكر بمرارة معركتها السياسية الخاسرة في ضم ولاية الموصل التي تشكل كركوك جزء منها اليها بسبب اتفاقية ٥ حزيران عام ١٩٢٦ مع انكلشترا والعراق، التي اجبرت بموجبها التنازل عن الادعاء بولاية الموصل. وقد عادت هذه المشكلة الى الظهور بشكل واضح بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة التطورات التي حدثت في العراق منذ سقوط النظام السابق، ومشاركة الاكراد في الحكم الجديد، وسيطرة قوات البيشمركة على كركوك. فضلاً عن ذلك فقد سعى الاكراد الى الحاق كركوك باقليم كردستان واعتبار كركوك عاصمة اقليم كردستان، وبما ان مثل هذا الوضع لا يناسب تركيا باعتبارها الدولة ذات التماس مع مشكلة كركوك والمتضرر الحقيقي فيما إذا ألحقت كركوك باقليم كردستان.

وفيما يخص فرضية الدراسة، فقد مرت مشكلة كركوك بمراحل متعددة، ابتداءً من انتزاع كركوك من السيطرة التركية والحاقها بالدولة العراقية الفتية من قبل بريطانيا، وبعد عام ٢٠٠٣ لعبت المتغيرات الجديدة على الساحة العراقية دوراً في اعادة نظر تركيا باتجاه كركوك، فهل يؤدي الى استمرار اطماع تركيا بكرركوك ام ان تركيا ستقر بوضع كركوك الجديد وسيطرة الاكراد عليها.

تنطلق مشكلة الدراسة من التساؤل الآتي: هل تؤدي التطورات التي شهدتها العراق بعد عام ٢٠٠٣ وخاصة فيما يتعلق بحصول العراقيين على وضع خاص بهم لم يتسنى للاكراد في الدول المجاورة الحصول عليه، الى اثاره دوافع تركيا فيما يخص كركوك موطن التركمان في العراق؟.

وتقسم حدود البحث على قسمين، حدود مكانية وحدود زمنية وفي موضوع البحث هنا ستكون الحدود المكانية هي الحدود الجغرافية لمحافظة كركوك أما بالنسبة للحدود الزمانية فهي ستكون منذ عام ٢٠٠٣ وهي الفترة التي شهدت احتلال العراق وتغيير النظام فيه، وحتى الوقت الراهن مع تأصيل تاريخي لما قد يتوجب.

ويعد الدافع الأساس لاختيار الباحث موضوع بحثه إلى الأهمية التي تتمتع بها كركوك بالنسبة لتركيا والعراق وخاصة بالنسبة للمكونات العرقية الرئيسية التي تقطن فيها وهم العرب والكرد والتركمان. وكذلك من الممكن ان تشكل كركوك واحدة من اخطر بؤر التوتر في العراق والدول المحيطة بها.

لقد اعتمدت الدراسة على اكثر من منهج لبيان طبيعة المشكلة الكردية في تركيا بعد عام ٢٠٠٣، وهذه المناهج هي:

١- المنهج التاريخي، بما يتطلبه من تتبع للاحداث والوقائع المختلفة، اذ يدخل عامل الزمن في جميع مقومات التحليل، مما يجعل التعمق في تفهم الاحوال والمؤثرات التاريخية امرا ضروريا لبيان تلك السياسة.

٢- المنهج الوصفي، بأعتبره منهجا يهتم بالدراسات التي تقوم على جمع وتلخيص الحقائق المرتبطة بالدراسة.

٣- المنهج التحليلي، الذي يحاول الاجابة ازاء كل ظاهرة على مقوماتها الاساسية.

المبحث الاول . الجذور التاريخية لمشكلة كركوك قبل عام ٢٠٠٣

اصبحت كركوك جزء من ولاية الموصل في عام ١٨٧٩. ولم تشهد ولاية الموصل الاستقرار مثل باقي الولايات العراقية طوال الحكم العثماني الذي كان في الأغلب سلطته الاسمية لا تتعدى أسوار المدن^١. خلال الحرب العالمية الاولى قسم الحلفاء بقايا الامبراطورية العثمانية بينهم. فقد وضعت اتفاقية (سايكس بيكو)* ولايتي بغداد والبصرة تحت النفوذ البريطاني. في حين وضعت ولاية الموصل تحت النفوذ الفرنسي. وفي عام ١٩٢٠ وضع مؤتمر سان ريمو لدول الحلفاء ولاية الموصل تحت النفوذ البريطاني ليؤسس البريطانيين على اثرها انتداباً رسمياً على الولايات الثلاث في الطريق لتشكيل ملكية دستورية تحت الوصاية البريطانية تعرف بـ(المملكة العراقية). لاقت مقررات سان ريمو وخاصة ما طرح حول ولاية الموصل اعتراضاً شديداً من تركيا^٢. فقد رسمت تركيا خلال حرب التحرير الوطنية (١٩١٩-١٩٢٢) الموصل ضمن حدودها القومية. وكان منطق مصطفى كمال اتاتورك* حينها، ان ضم اكراد الولاية الى تركيا يعني تركيا من الحرية التي قد يتمتعون بها والتي قد تساهم في بلورة وعي قومي كردي يؤثر سلباً في اخوانهم في تركيا^٣. وان الدولة التركية الجديدة لن تشمل اية مناطق مأهولة بالمسلمين العرب، وان المسلمين الاكراد والاتراك هم فقط من يشكل الدولة الجديدة، وانه ينبغي لولاية الموصل ان تصبح جزءاً من الدولة التركية^٤، لوجود العنصر

الكردي والتركي فيها. وقد افضى هذا الطموح الى نشوب خلاف مع بريطانيا التي كانت عاقدة العزم على جعل الموصل جزءاً من العراق. وخلال مفاوضات السلام في مدينة لوزان السويسرية رفض عصمت اينونو رئيس الوفد التركي التخلي عن الزعم التركي بالموصل، وحين جرى توقيع معاهدة السلام عام ١٩٢٣ بقيت مسألة ولاية الموصل معلقة دون تسوية^٥. وقد استند الاتراك في مطالبهم بولاية الموصل في لوزان الى ان الاتراك يشكلون غالبية سكانه، كما ان الجيش التركي كان موجوداً في اللواء المذكور حين اعلنت هدنة مودروس عام ١٩١٨^٦. وذهبت تركيا الى حد انها اقترحت في لوزان اجراء استفتاء عام في الموصل، للوقوف على حقيقة رغبة سكانها بالانضمام الى الجمهورية التركية، غير ان البريطانيين رفضوا هذا الاقتراح^٧. وتضمنت معاهدة لوزان التي وقعت في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣ سبعة عشر ملحقاً، رسمت بموجبها حدود تركيا الحالية، فيما تنازلت تركيا عن كل ادعائها في العراق وسوريا وفلسطين وشبه الجزيرة العربية وشرقي الاردن ومصر وليبيا إلا ولاية الموصل، والتي أرادت بريطانيا بحثها بصورة انفرادية مع تركيا. وكان التباين في وجهات النظر البريطانية والتركية والمشكلات المستعصية المتعددة بين اطراف معاهدة لوزان الأثر الواضح والفعال في تأجيل تسوية مشكلة الموصل بين الطرفين إلى ما بعد توقيع معاهدة لوزان^٨.

وبين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٦ كانت مسألة الموصل القضية المهيمنة على السياسة الخارجية التركية، وقد عقدت مباحثات في عام ١٩٢٤ بين تركيا وبريطانيا لتسوية المسألة لكن الفشل اصابها، مما ادى الى أحالت بريطانيا المسألة الى عصبة الامم^٩، التي شكلت لجنة لتقصي الحقائق ورفع النتائج والاستنتاجات والاقتراحات والتوصيات الى عصبة الامم. وقد اعلنت اللجنة الدولية المذكورة في تقريرها المؤرخ في ٣٠ ايلول عام ١٩٢٥ ان الكرد يشكلون خمسة اثمان سكان ولاية الموصل، ويضيف التقرير الى انه لو اضيف اليهم اليزيديون الذين هم اشبه بالكرد ايضا كما يورده التقرير فإن الكرد تصبح نسبتهم سبعة اثمان من نسبة سكان الولاية، وهذا ما يدفع بنا للاقتناع بضرورة تشكيل دولة كردية مستقلة لهم في هذه المنطقة، وان لا يضموا الى تركيا ولا الى العراق. وبسبب عدم وجود دعم دولي لحق الكرد مع تفرق القادة الكرد في ذلك الوقت اضاع عليهم فرصة تشكيل دولة. وفي عام ١٩٢٥ قررت عصبة الامم ضم ولاية الموصل الى دولة العراق وتثبيت خط الحدود المعروف بخط بروكسل بين دولتي العراق وتركيا^{١٠}. وقد صدر هذا القرار من عصبة الامم بضغوط بريطانية^{١١}. ولم تقبل تركيا

التي لم تكن عضواً في العصبة هذا القرار وعارضت حق المجلس في البت بالامر. عندها احيلت المسألة الى محكمة العدل الدولية التي اكدت ان القرار الذي يصدره المجلس يكون ملزماً. وفي عام ١٩٢٥ اتخذ المجلس قراراً بالاجماع لصالح بريطانيا. وفي المفاوضات الثنائية المعاد عقدها عام ١٩٢٦ قبلت تركيا قرار عصبة الامم، وبذلك الحقت ولاية الموصل بالعراق. واعطت تركيا تعويضاً لها على نسبة ١٠% من عوائد النفط في ولاية الموصل ولمدة خمسة وعشرين عاماً، وكان الخيار الوحيد المتاح لتركيا في حالة عدم قبولها بهذا الاتفاق مع بريطانيا هو خوض الحرب، وهو خيار لم يكن مطروحاً لدولة فتية انهكتها الحرب^{١٢}، وبذلك خسرت تركيا معركتها السياسية في ضم الموصل وكركوك بسبب اتفاقية حزيران عام ١٩٢٦ مع انكلترا والعراق^{١٣}.

تعد قضية الموصل قضية مفعمة بالذكاء من جانب البريطانيين، وذلك باستخدام شعب اخر في الدفاع عن مصالحها، فقد ادرك البريطانيون انه لا يمكن تسليم ولاية الموصل الى الاتراك لان ذلك سيضع الاتراك في اطار مسافة ضاربة مقدارها (٥٠) ميلا من وادي بغداد وقرابة الـ (١٥٠) ميلاً عن المدينة نفسها مما يجعل الدفاع عن بغداد متعذراً استراتيجياً، كما ان اعادة ولاية الموصل الى الاتراك ستكون ضربة مميتة لحليفها الملك فيصل الاول (ملك العراق)، فهل ستهزأ به بريطانيا امام العالم بالتخلي عن ولاية الموصل^{١٤}. اضافة الى ان ولاية الموصل تمثل ثروة نفطية بعد الاكتشافات النفطية في اراضيها. كما ضغط البريطانيون على الرئيس التركي مصطفى كمال اتاتورك، اذا لم يتنازل عن ولاية الموصل لإلحاقها بالعراق، وذلك من خلال توجيه رسالة له بان الاكراد عازمون على اقامة دولتهم في بلاد كردستان الكبرى التي تشمل اجزاءً من اراضي الجمهورية التركية^{١٥}. ومن جهة اخرى ساومت بريطانيا الحكومة العراقية وخيرتها بين فقدان ولاية الموصل او التوقيع على امتياز النفط، اضطرت الحكومة العراقية الرضوخ للمطالب البريطانية من اجل الحفاظ على ولاية الموصل^{١٦}. ولولا السياسة الذكية التي اتبعها الملك فيصل الاول لما كانت جغرافية العراق على ما عليه اليوم، فقد كان الملك فيصل الاول مخيراً بين عراق مستقل مع قبول فكرة الانتداب البريطاني وبين القبول بعراق مبتور من الموصل وكركوك لصالح تركيا. لم يقدم فيصل الاول على التضحية بمصالح العراق الوطنية الكبرى وقبل فكرة الانتداب لفترة محدودة مقابل الحفاظ على ولاية الموصل^{١٧}. وظلت اطماع تركيا بولاية الموصل الى فترة الخمسينات، عندما تمكن رئيس الوزراء العراقي آنذاك نوري سعيد في اقامة نوع من العلاقة الاستراتيجية مع تركيا من خلال قبوله وتوقيعه

للميثاق التركي العراقي، الذي ما لبث ان شكل حلفاً دولياً (حلف بغداد) عام ١٩٥٥، وبذلك الحلف انهى نوري سعيد ووقف مطالبة تركيا الاقليمية^{١٨}. ففي تقرير خاص رفعته المفوضية الملكية العراقية في العاصمة التركية انقره الى وزارة الخارجية التركية بتاريخ ١١ كانون الثاني عام ١٩٣٧ عن العلاقات بين العراق وتركيا، وترى المفوضية من خلال الاطلاع على احد مقالات الصحف التركية (الجمهورية) وكان عبارة عن تعليق على احد الصحف الاوربية التي قالت "ان الحكومة التركية تريد تعديل الحدود التركية مع العراق بغية الحصول على نفط الموصل، وذلك اما بالحاق لواء الموصل بتركيا او بتأسيس جمهورية كردية في تلك المنطقة تحت النفوذ التركي، مع العلم ان الحكومة التركية مستعدة للاعتراف بامتيازات النفط البريطانية فيما لو تحقق هذا المشروع". وعلقت جريدة الجمهورية التركية على هذا الخبر "انه خبر ملفق وان قضية الموصل قد حلت وهي مستندة على اسس المعاهدات التي اعترفت بها تركيا اعترافاً قطعياً، فضلاً عن ان تركيا حصلت على صداقة انكلترا والعراق من خلال تضحيتها في قضية الموصل"^{١٩}.

بعد التخلي التركي الرسمي عن الموصل- كركوك، ومع انه لم تسع تركيا رسمياً الى اثاره هذا الموضوع من جديد لكن كان المناخ السائد بما في ذلك موقف اتاتورك نفسه هو استعادة الموصل- كركوك تكون ممكنة عندما تكون تركيا اقوى والظروف الدولية مناسبة. لذا فانه عند كل منعطف متصل بالوضع في العراق كان المؤرخون والاعلاميون يثيرون قضية (تركية) الموصل- كركوك، ولم تغب هذه المسألة عن العقل السياسي التركي، بل انعكست في بعض التصريحات او التلميحات الرسمية^{٢٠}. فالتصور التركي ظل يحمل انه في الوقت الذي اعترفت فيه هدنة مودروس بين الحلفاء وتركيا في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩١٨ بوضع الموصل تحت السيطرة التركية، فان بريطانيا انتهكت المادة ٧ من اتفاق الهدنة واحتلت تلك الاراضي ونقلتها بعد ذلك الى اداراتها في اطار نظام الانتداب على العراق^{٢١}. وان مشكلة ولاية الموصل تم حلها لغير صالح تركيا بموجب معاهدة انقره عام ١٩٢٦، وان المطالبات التركية كانت تستند الى التركيب السكاني للموصل وكركوك والذي يشير الى ان الاغلبية في الاقليم يشكلها الاتراك. والمطالبة التركية تعززت بالارقام الاحصائية التي وضعت السكان التركمان والاكراد في المقدمة وقبل العرب. وحتى الاستفتاء العام لم يتم اجراؤه مطلقاً في الاقليم إذ ان بريطانيا كانت تخشى بأن نتائج مثل هذا الاستفتاء ستكون في الارجح لصالح تركيا وبذلك تتعزز المطالبة التركية^{٢٢}.

على الرغم من ان الباحثين في معهد السياسة الخارجية التركية، أكدوا على انه ليس من صالح تركيا ولا يتطابق مع المبدأ الاساسي للدول في المجتمع العالمي (السيادة) أن تقوم تركيا بأية مطالبة اقليمية في العراق^{٢٣}. وعلى الرغم من اعتراف تركيا بكون ولاية الموصل جزء لا يتجزأ من العراق بموجب المعاهدة العراقية التركية عام ١٩٢٦، الا ان تركيا ما تزال اطماعها شاخصة حول هذه المنطقة وتنتظر الفرصة المناسبة للاستحواذ عليها^{٢٤}، خاصة وان تركيا بلد غير نفطي وتشكل المشتريات النفطية عبئاً ثقيلاً على الخزينة التركية، مقابل غنى منطقة الموصل-كركوك بالنفط، والذي يمثل حافزاً لاهتمام تركيا بهذه المنطقة^{٢٥}. وان اثار الضيم الذي شعرت به تركيا جراء خسارتها الموصل لم تتبدد كلياً بعد، اذ افيد بان تركيا حذرت الولايات المتحدة الامريكية وايران في عام ١٩٨٦ من انها ستطالب باسترجاع مدينتي الموصل وكركوك في حال انتشار الفوضى في العراق جراء الحرب العراقية الايرانية^{٢٦}. واثاء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ دعا الرئيس التركي الاسبق تورغوت اوزال الى اتخاذ موقف جريء، حيث ابلغ زملاءه عند اندلاع الازمة بأنها قد تؤدي الى تفكك العراق، وانه اذا كانت لتركيا رغبة في ان يكون لها رأي في وضع ما بعد الحرب، فأن عليها ان تشارك في الحملة العسكرية الوشيكة، كما ذكرهم بأن اقاليم العراق الشمالية الغنية بالنفط تقع ضمن الحدود التي تصورها الاباء المؤسسون للجمهورية^{٢٧}. وبدأت تركيا في التسعينات بطرحها لموضوع الحدود بشكل واضح، وقد عبر عنه تورغوت اوزال فيما اطلق عليه (خريطة اوزال للمنطقة بعد هزيمة العراق) الداعية لخلق كونفدرالية كردية- تركية- عربية^{٢٨}. كما سعت تركيا الى استغلال حالة الضعف التي يمر بها العراق، لامرار مقترحاتها المتعلقة بتعديل الحدود العراقية التركية، اذ بدأ الخطاب السياسي التركي يلمح الى ما يسمى بالحقوق التاريخية السابقة في بعض مناطق العراق الشمالية والشرقية، فقد طلب الرئيس التركي الاسبق سليمان ديميريل في ايار عام ١٩٩٥ باعادة ترسيم الحدود بين العراق وتركيا، وزعم ان ولاية الموصل لازالت تابعة لتركيا، وان بعض نقاط الحدود قد رسمها الجيولوجيون، وان حدود تركيا تبدأ من المناطق التي ينتهي بها النفط واصفاً اياها بالحدود النفطية^{٢٩}.

المبحث الثاني . دوافع الدور التركي تجاه قضية كركوك

أولاً: التركمان

يطلق لفظ الترك او التركمان على الذين يقطنون الاراضي التي تفصل المنطقة الكردية عن المنطقة العربية في العراق، وينتشرون على خط ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب

الشرقي، أي من مدينة تلغفر في الموصل (محافظة نينوى) الى مدينة مندلي في ديالى. ويرجع تاريخ المرحلة الاولى لاستيطان التركمان للأراضي العراقية الى سنة ٥٤ هجرية حين استقدم عبيد الله بن زياد الفين من الأتراك اسكنهم البصرة، وخدم التركمان في العصر الاموي، ثم تعاضم نفوذهم إبان العهد العباسي^{٣٠}، وهناك من يرجع وجود التركمان في العراق الى القرن التاسع قبل الميلاد، عندما سكنوا بالقرب من نهري دجلة والفرات^{٣١}. وقد اختلطت في التكوين التركماني بعد ذلك الجماعات التركية التي دخلت مع الاحتلال العثماني للعراق عام ١٦٣٨م^{٣٢}، وكانت جزء من قوات السلطان مراد الرابع وذلك لحماية الطريق ما بين الولايات العثمانية الجنوبية والشمالية^{٣٣}.

التركمان في العراق، هم ثالث قومية بين السكان من حيث العدد، ويتكلمون اللغة التركية بلهجة قديمة تختلف عن عموم اترك تركيا^{٣٤}. ويقطن ٨٥% من التركمان في المناطق المحيطة بالموصل وكركوك واربيل وتلغفر، بينما يسكن الباقون في بغداد وتازخورماتو^{٣٥}. وقد بلغ تعداد التركمان في العراق حسب تعداد عام ١٩٤٧ (٢%)^{٣٦}، وفي عام ١٩٧٧ جاءت الاحصائيات تذكر بأن نسبتهم تبلغ (١،١٦%)^{٣٧}، ولكن اغلب الاحصائيات التي يقوم بها الباحثين الأتراك والتركمان، تشير الى ان نفوس المواطنين التركمان في العراق لا يقل عن (١٠-١٥%)^{٣٨}.

كان اهتمام تركيا بالتركمان في الثمانينات يقتصر على ظهور جمعيات ومنظمات ثقافية لتركمان العراق حظيت بدعم ومساندة جهات تركية عدة. ولكن خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وفي ظل الوضع الذي نشأ عن انسحاب الادارة المركزية في بغداد من كردستان، تجدد الاهتمام التركي بمسألة التركمان في العراق، ذلك ان تركيا تعد نفسها مسؤولة عنهم بحكم روابطهم العرقية معها. كما احيا القادة الأتراك دعاوهم القديمة في شأن الموصل وكركوك واحتمال المطالبة بهما في حال انهيار وتفكك العراق، و اشار العديد من الزعماء الأتراك الى ان الموصل وكركوك قد تم التخلي عنهما للعراق وليس الى اي دولة كردية من الممكن ان تنشأ فيما بعد^{٣٩}. وازداد الاهتمام التركي بالمسألة التركمانية في العراق بعد الحرب الأهلية بين الحزبين الكرديين الرئيسيين (الديمقراطي والاتحاد الوطني) في شمال العراق، وان هذا الاهتمام اتسم كرد فعل لما حصل خوفاً على الوجود التركماني في العراق، اذ ان تركيا تعرف انها ستخسر الكثير إذا خرج الموقف عن السيطرة عند نشوء دولة كردية في شمال العراق ومن ضمنها كركوك، فليس للتركمان العراقيين مليشيات خاصة بهم، ولم تدعم

من اي جهة دولية كالولايات المتحدة الأمريكية، بعكس الأكراد الذين يمتلكون كل تلك المقومات^{٤٠}.

وتعد الجبهة التركمانية العراقية، والتي تأسست في منتصف التسعينات من القرن العشرين، منظمة جامعة لمجموعات واحزاب تركمانية مختلفة، و تتألف الجبهة في اغليبتها من تركمان سنة مع وجود بعض العلمانيين الشيعة، ولهذه الجبهة اتصالات وثيقة مع تركيا، ويتهمها ناقدوها ولاسيما الكرد العراقيين، بأنها اداة بيد تركيا لضمان مصالحها في شمال العراق. ولا يؤيد جميع التركمان الجبهة التركمانية العراقية، فقد دعم التركمان الشيعة الاتحاد الاسلامي التركماني او احزاب عراقية شيعية اخرى^{٤١}.

ويمكن ان نتلمس تطور الموقف التركي تجاه التركمان بعد حرب الخليج الثانية، فقد استطاعت وزيرة الخارجية التركية الاسبق تانسو تشيللر عام ١٩٩٦ اثناء جولات المصالحة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة مسعود البرزاني والاتحاد الوطني بقيادة جلال الطالباني، الحديث عن حقوق التركمان، وان تبرز دور ممثلهم في المفاوضات^{٤٢}. وفي عام ٢٠٠٢ وعندما كان الحزبان (الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني) منخرطين في عملية نقاش لإعادة ترتيب البيت الكردي بالاتفاق حول ورقة دستور للاقليم الكردي، تدخلت تركيا بقوة واكدت على ضرورة حضور الجبهة التركماني في المناقشات التي تخص وضع العراق. وفي الوقت الذي لم يكن للجبهة اي دور ضمن جبهة المعارضة العراقية التي كانت الولايات المتحدة الامريكية تدعم معظم اطرافها، ونتيجة الضغوط التركية على الادارة الامريكية مما ادى بالولايات المتحدة الى الضغط على الاطراف الكردية للموافقة على ان يكون للتركمان دور في العملية السياسية. ويأخذ البعض على تركيا ان موقفها من تركمان العراق ينبع من دوافع مصلحة وسياسية، فهي لم تتخذ مواقف جديدة من المظالم التي تعرض لها التركمان خلال سنوات حكم النظام السابق من حملات تهجير واعتداءات ومحاولات مسح الهوية القومية لهم، في الوقت الذي كانت تسير العلاقات الاقتصادية والسياسية بخطوات متسارعة مع العراق أبان النظام السابق. ولهذا فان استخدام تركيا لورقة التركمان اتخذت طابعاً اعلامياً لأرضاء الشارع التركي الذي يطالب بموقف جدي في هذا المجال. ويرى العديد من القوى العراقية وخصوصاً الكردية منها ان التأكيد التركي على وضع التركمان الخاص يهدف الى ابقاء التركمان جيباً تركيا داخل العراق سواء اتجه الحكومة المركزية في بغداد او اتجاه الكرد^{٤٣}. بينما يرى وزير الخارجية التركي السابق احمد داود أوغلو: "ان نظرة الاتراك من

خارج تركيا الى تركيا على انها قوة تحميهم في اماكن تواجدهم، او كملجأ اخير يلجؤون اليه عند اي عملية تطهير عرقي، تجعل تركيا في مواجهة مهمة اقليمية جديدة توجهها المقاييس التاريخية..... واحدة من الاساسان الهامان اللذان يحكمان علاقة تركيا مع العراق هو وجوب حماية الديموغرافيا السياسية في العراق بما فيها كركوك، اذ ينبغي توفير حياة بشكل آمن وسلمي في العراق للاكراد والتركمان والعرب على حد سواء، وينبغي ان تتمتع بغداد وكركوك التي تتداخل فيها المكونات بوضعية خاصة لانه اذا ما اندلعت صدامات عنيفة ومذهبية في كركوك وبغداد سيكون من المستحيل الا تشمل العراق كله. ان حساسية مسألة كركوك بالنسبة الى تركيا ترجع الى مبررات تاريخية فعندما تخلت تركيا عن كركوك والموصل كانت قد وضعت الا يمثل العراق بالنسبة الى تركيا تهديداً^{٤٤}.

وتبرر تركيا نفوذها في العراق بأن جاء لدعم التركمان والتوجس من المكاسب الكردية^{٤٥}. وكان من المسلم لتركيا ان تعزز المكانة السياسية للتركمان بغية الاظهار بأن شمالي العراق لا يعود للکرد فقط، وان كركوك ليست مدينة كردية، وتقدم تركيا التركمان بوصفهم يمثلون ثقلاً مضاداً للهيمنة الكردية، فضلاً عن ان سلامة التركمان هي احدى الحجج التي كانت تستخدمها تركيا لتبرر وجود قوات لها في العراق. ودائماً ما يجري تصوير محنة الشعب التركماني في الاعلام التركي، فعندما دخلت قوات البيشمركة كركوك بعد عام ٢٠٠٣، اظهر التلفاز التركي قيام الكرد بنهب المنازل والمتاجر العائدة للسكان التركمان في المدينة. وقد حذرت وزارة الخارجية التركية من مخاطر قمع التركمان في كركوك، وزعمت بأن اية قوة تركية ربما تدخل الى شمال العراق لن تكون مخصصة لاغراض قتالية بل ستذهب الى هناك لاغراض انسانية^{٤٦}. وتبقى حاجة تركيا الى بذل اهتمام أكبر للعامل التركماني في شمال العراق ينبع من حقيقة ان هذه المنطقة تشكل الحد القريب والبطن الرخوة لتركيا^{٤٧}.

ولا بد من ذكر، انه لم يتمتع التركمان بأي وحدة سياسية حقيقية قبل الاطاحة بالنظام السابق او بعدها لجملة اسباب، توزعهم في مختلف ارجاء العراق، وارتفاع نسبة التركمان الحضر، والدرجة العالية نسبياً لاندماجهم في المجتمع العراقي. فالتركمان الشيعة دائماً ما يعرفون انفسهم بانتمائهم الى الطائفة الشيعية وليس على اساس عرقي. اضعف الى ذلك ان تركمان العراق ينتسبون في اغليبتهم الى احزاب عرقية غير الجبهة التركمانية في العراق. وتعددت المناسبات التي ادعى فيها بعض التركمان ان الاكراد لا يشكلون مصدر المشكلات الرئيسية

التي يواجهونها في العراق مؤكدين ان مشكلاتهم جاءت بالاساس نتيجة حملات التعريب التي قام بها النظام السابق. فالجبهة التركمانية (الضعيفة) لم تستطع توحيد الصف التركماني^{٤٨}.

ثانياً: النفط

شكل النفط محوراً رئيسياً من محاور الصراع السياسي والاجتماعي في منطقة الشرق الاوسط^{٤٩}. وبالنسبة لتركيا البلد الغير نفطي، بل لعله البلد الكبير الوحيد مع (اسرائيل) في الشرق الاوسط الذي لا يملك ثروة نفطية او غاز طبيعياً، وهو ما شكل عبئاً اقتصادياً على تركيا^{٥٠}، نتيجة استيراد تركيا اكثر من ٩٠% من احتياجاتها النفطية^{٥١}. بينما تمتلك كركوك ١٠% من الاحتياطات النفطية للعراق^{٥٢}. ويشير الباحث محمد صادق جميل ان الاحتياطي النفطي في باطن ارض كركوك بحدود (١٣،٥ مليار برميل) وهي بنسبة ١٢% من الاحتياطي المؤكد في العراق^{٥٣}، فالعراق يمتلك ثاني احتياطي مؤكد من النفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية، اذ يصل الى اكثر من (١١٢) مليار برميل وضعف هذه الكمية من الاحتياطي المحتمل وبعمر زمني يصل الى اكثر من (١٥٠) سنة بدءاً من عام ١٩٩٠. اي ما يعادل (١١%) من اجمالي الاحتياطي العالمي، فمن اصل حقوله النفطية الاربعة والسبعين المكتشفة والمقيمة، لم يستغل منها سوى (١٥) حقلاً، فضلاً عن انه يمتلك مساحات غير مكتشفة، وهذا يعني انه في ظل غياب بدائل الطاقة الاخرى حتى الان ولزمن غير منظور، يصبح قادراً ولفترات طويلة على تزويد العالم بالنفط^{٥٤}. وهناك بعض التقديرات تشير الى انه يتفوق على المملكة العربية السعودية في احتياطي النفط اذا ما تم احتساب امتلاكه حسب الدراسات الجيولوجية ما يقارب ٥٣٠ تركيباً جيولوجياً غير مستثمر ترفع احتياطاته الى ٣٦٠ مليار برميل. ويمتاز النفط العراقي بجودته حيث توجد كل انواع النفط في حقوله من خفيف ومتوسط وثقيل، كما يمتاز بقلّة تكاليف انتاجه لأن جميع حقوله في اليابسة، لذلك فتكاليف انتاجه تعد الاقل في العالم^{٥٥}.

ويمثل غنى منطقة الموصل-كركوك بالنفط حافزاً لاهتمام تركيا بهذه المنطقة، في ظل عدم امتلاكها للثروة النفطية^{٥٦}، والتي تزامنت مع وجود سكان من المكون (التركمني) في كركوك المدينة المضطربة، وبالتالي فكثيراً ما يلوح الاترك بالتدخل بحجة حماية التركمان^{٥٧}.

كما يشكل خط انبوب النفط العراقي التركي الممتد من حقول كركوك وصولاً الى زاخو ثم عبر الاراضي التركية حتى ميناء جيهان التركي المطل على البحر الابيض المتوسط اثراً استراتيجياً من الناحية الاقتصادية، لان هذا الانبوب يؤمن لتركيا منفعتين اساسيتين اولاهما:

رسوم المرور وثانيهما ضمان الحصول على نطق خام للاستخدام الداخلي يصل الى يد الاتراك بسهولة ويسر وبأرخص الاثمان^{٥٨}. وقد منعت تركيا في التسعينات ضم كركوك الى المنطقة الامنية التي تشكلت بسبب احتمال تسريع تحول الكيان الكردي في المنطقة الى دولة^{٥٩}. خاصة وان تركيا متوجسة من سيطرة الاكراد على كركوك الغنية بالنفط مما يعطيهم قدرة اقتصادية تساعد على بناء دولة مستقلة قوية^{٦٠}. وكان النفط الذي تزخر به كركوك السبب الرئيسي في النزاع، فالحركات السياسية الكردية توصلت الى قناعة مصيرية، بان اي توجه مستقبلي لتأسيس كيان كردي سوف لن يكتب له النجاح لو لم يدعم برافد اقتصادي مهم كالنفط^{٦١}.

المبحث الثالث . مشكلة كركوك بعد عام ٢٠٠٣

من المعروف ان مدينة كركوك التي تتوسط منطقة غنية بالنفط هي موطن العديد من التركمان والعرب والاكرد منذ زمن بعيد^{٦٢}. ومن الواضح ان لكركوك اهميتها عند العرب بوصفها تجسيدا للعراق متعدد الثقافات، وعند الكرد فهي المدينة التي لم يسيطروا عليها قط، والتي قاتلوا الحكومة العراقية من اجلها قرابة خمسين عاماً، وعند التركمان بوصفها رمزاً اثرياً لتسيدهم وعظمتهم في زمن العثمانيين^{٦٣}.

وتتلخص مشكلة كركوك في ان الكرد يسعون الى جعل كركوك عاصمة حكومة اقليم كردستان، فيما تريد تركيا الحفاظ على وضع يسمح باستمرار التوازن القائم بين الاقليات في المدينة وحماية حقوق الاقلية التركمانية^{٦٤}. ويذكر بول بريمر في مذكراته، انه اثناء زيارته الى كركوك، التقى رئيس اقليم كردستان السابق مسعود البرزاني، الذي كان يرى ان اعادة كركوك الى ما كانت عليه قبل التعريب واجباً مقدساً، ويقول: ان "كركوك هي قدس كردستان"^{٦٥}. وقد اقر الدستور الكردي، ان كردستان العراق كيان جغرافي تاريخي يتكون من محافظة دهوك بحدودها الادارية الحالية ومحافظات كركوك والسليمانية واربيل واقضية عقرة والشيوخ وسنجار وتلكيف وقرقوش ونواحي زمار وبعشيفة واسكي كلك من محافظة نينوى وقضائي خانقين ومندلي من محافظة ديالى وذلك بحدودها الادارية قبل عام ١٩٦٨. ويتم تحديد الحدود السياسية لاقليم كردستان العراق باعتماد تنفيذ المادة ١٤٠ من الدستور الاتحادي^{٦٦}. بينما التركمان منقسمين، اذ يقف البعض تحديد الجبهة التركمانية العراقية باصرار ضد ضم كركوك الى اقليم كردستان، ويسعى الى زج تركيا مباشرة في النزاع. ويبيد البعض الاخرى بما في ذلك الرابطة الوطنية التركمانية وحركة الاصلاح التركماني استعداداً للقبول بل وحتى الترحيب بضم كركوك الى كردستان طالما تكون حقوق التركمان

مصونة دستورياً^{٦٧}. احد قادة الجبهة التركمانية اشار الى، ان الجبهة تؤيد حق الاكراد في
الفدرالية اذ ما حافظت مدينة كركوك على وضع خاص بها يتيح لجميع الاعراق الحق في
تقرير كيفية حكمها. كما يرى التركمان، ان الفدرالية يجب ان يكون اساسها ادارياً وليس
عرقياً، وان تكون كركوك خارج الفيدرالية الكردية لان التركمان يشكلون الاغلبية الكبيرة
فيها، وان وجودهم وجود تاريخي بينما جاء الاكراد اليها ابان حكم نظام عبد الكريم قاسم
(١٩٥٨-١٩٦٣)^{٦٨}. وعليه فان من وجهة نظر التركمان ان لهم الحق في طلب التدخل التركي
في حال ضم كركوك الى اقليم كردستان من خلال التحجج بقرار الجمعية العامة للامم
المتحدة^{٦٩}، ولهذا يعد التركمان ان العلاقة بينهم وبين تركيا كدولة وكشعب تركي هو امتداد
حضاري تاريخي في العراق، فمن حق الشعب التركماني طلب الحماية من تركيا في حال
وجود اي خطر يهدد امنها ومصالحها الاقتصادية وامنها الجيوبولتيكي عند تغير منظومة
الادارة سياسيا وجغرافيا في كركوك لصالح الاكراد^{٦٩}.

اما العرب في كركوك فهم على فئتين، الاولى هو ما يطلق عليهم عرب كركوك الاصليين،
والفئة الثانية من عرب كركوك هو ما يطلق عليهم اسم الوافدين وهم الذين عمل النظام العراقي
السابق على توطينهم في كركوك ثم وظف وجودهم سواء كانوا واعين ام غير واعين في
سياسة هدفها تغيير البنية الاجتماعية لاحكام سلطة قبضة النظام السابق على المدينة. هذه الفئة
لم تنحدر في اصلها من منطقة محددة في العراق على الرغم من ان غالبية افرادها ينتمون الى
عائلات شيعية فقيرة من جنوب العراق، والكثير من هؤلاء الوافدين يعدون انفسهم ضحايا
شأنهم شان الاكراد والتركمان. الموقف العربي من قضية كركوك، عرب كركوك الاصليين
يدعون الى حل خاص على قاعدة كركوك اولاً، ويسعى هؤلاء الى العمل بوصفهم كركوكيين
في نظرهم السياسية بدلاً من الانجرار الى اي مشروع من المشاريع الاكبر المتمثلة بالحكم
الذاتي للكرد او النظام المركزي للدولة العراقية. اما الوافدين فينقسموا الى قسمين، فالبعض
يعترفوا مدفوعين بحوافز من المنظمات الكردية بلا شرعية وجودهم في المدينة، ويقبلون
بالعودة الى مناطق سكناهم الاصلية مقابل تعويض مناسب، ولكن اخرين اتخذوا موقفاً متشدداً،
ويرون انه ليس من المنطقي ولا من الاخلاقي ان تعالج المشكلة الناجمة عن التعريب بعملية
مكافئة من التكريد، كما ان لهم كل الحق كعراقيين في ان يقبلوا وظائف في اي منطقة من
العراق بما في ذلك كركوك^{٧٠}.

بعد دخول قوات البيشمركة الكردية لكركوك في نيسان عام ٢٠٠٣، ومنذ ذلك الوقت تدفق عشرات الالاف من الكرد الى كركوك، ويدعي السكان غير الكرد في المدينة ان الحزبين الكرديين الكبيرين قد شجعا الاكراد على الانتقال الى المدينة بصرف النظر عما كانوا ينحدرون من كركوك ام لا، بل حتى كرد من دول اخرى قد انتقلوا اليها، وقد انكر الكرد هذا الامر، ومنذ عام ٢٠٠٣ والاستيلاء على كركوك كان الكرد متصلبين في ضرورة مغادرة العرب (المستقدمين) او ما يطلق عليهم (الوافدين) الذين جيء بهم بعد عام ١٩٥٨ الى كركوك^{٧١}.

ولقد اشار تقرير لجنة الازمات الدولية، الى استمرار تزايد حجم الوجود السكاني الكردي في المحافظات التابعة تقليدياً الى كردستان العراق، والواقعة خارج اقليم الحكم الذاتي الكردستاني الراهن. في حين ادى ترويع السكان التركمان والاشوريين والعرب بشكل خاص الى تراجع متواصل في حجم وجودهم في تلك المناطق. وأوضحت تركيا انه في حالة تعميم الحالة الكردية للفيدرالية القائمة على اساس عرقي، فإنه سيتعين ايضاً ان يحصل التركمان على اقليم حكم ذاتي خاص بهم، تضم مدينة كركوك والمناطق المحيطة بها والتي يدعي زعماء الجبهة التركمانية انهم يشكلون الاغلبية فيها^{٧٢}.

ان ظهور الكرد لاعباً سياسياً قوياً في العراق يجاهر بنيته توحيد كركوك مع كردستان اثار رد فعل عدائياً متوقفاً من التركمان والعرب والمسيحيين، وليس من المبالغة القول ان مستقبل العراق يتوقف على التوصل الى حل لقضية كركوك يكون مقبولاً من جميع الاطراف، لان اي حل يكون في صالح مكون على حساب المكونات الاخرى سيجعل من كركوك مشكلة تثير القلاقل العرقية العنيفة. وان حل قضية كركوك بشكل لا تقبله اي جهة من الاطراف (الكرد والعرب والتركمان والمسيحيين) سيكون اشكالية امام الحكومة المركزية العراقية وحكومة اقليم كردستان، فأذا تم حل قضية كركوك بشكل لا تقبله الاحزاب الكردية سيؤدي الى انسحابها من المؤسسات السياسية في بغداد ومن الجائز ان تقوم باحتلال كركوك ويلبها انفصال محفوف بالتداعيات، ولكن في المقابل حل القضية بشكل لا ترضيه الاطراف العربية والتركمانية والمسيحية لا يقل اشكالية للحكومة المركزية العراقية وحكومة اقليم كردستان^{٧٣}.

وبغض النظر عن الوضع الحساس الذي يمر به العراق وتأثيره على المنطقة تستمر سياسة الاكراد حيال كركوك، ان حدد الاكراد كركوك كاحد الاهداف السياسية لهم واكادوا انهم لن يتراجعوا اي خطوة في هذا الاتجاه. لقد حقق الاكراد تفوقاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً

في كركوك في الوضع الراهن، ووصل الامر في منطقة شمال العراق بما فيها كركوك على شكل دولة ضمن دولة، وان الجهود التي يقوم بها الاكراد والمتعلقة بكركوك تظهر القيام بمحاولة حل مشكلة كركوك بسياسة الامر الواقع^{٧٤}. كما قام الاكراد بالضغط على ادراج المادة (١٤٠) في الدستور العراقي كشرط اساسي للموافقة على الدستور^{٧٥}. وبسبب تنامي قوة المعارضة ضد المادة (١٤٠) فضلاً عن رفض اي فكرة لضم كركوك الى اقليم كردستان، فقد واجه الاكراد معارضة شاملة ضد مساعيهم لترجمة تفوقهم العددي في المحافظة من اجل السيطرة عليها بشكل دائم، وكان التحالف العربي التركماني الذي بدأ يظهر منذ منتصف عام ٢٠٠٣ ضد الاكراد، بمعنى انه اتفاق عربي تركماني على رفض الجهود الكردية الرامية من اجل السيطرة على ادارة كركوك جيوسياسياً فضلاً عن منع تنفيذ المادة (١٤٠) بكل الوسائل^{٧٦}.

بعد حرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣ ونتيجة قرار البرلمان التركي في عدم السماح للقوات الامريكية بفتح جبهة عسكرية عبر الاراضي التركية، فقد برز الاثر السلبي لهذا القرار على العلاقات التركية الامريكية من خلال إلغاء استخدام مصطلح (الخطوط الحمراء)^{٧٧}. وواحدة من الخطوط الحمراء هو عدم ضم كركوك في اي صيغة مستقبلية الى المنطقة الكردية^{٧٨}. ووردت بشكل او اخر في الاتفاقات التي وقعت مع الولايات المتحدة في شباط عام ٢٠٠٣ ولم تنفذ بسبب رفض البرلمان التركي المشاركة في الحرب. وكانت تركيا تحذر وتهدد بالتدخل في حال دخول الاكراد العراقيين الى مدينتي الموصل وكركوك لكن ذلك حدث في الايام الاولى التي تلت سقوط النظام السابق دون ان تستطيع ممارسة اي ضغوط^{٧٩}. كتبت صحيفة انترناشنال هيرالد تريبيون "ان الحرب كانت باهضة الكلفة على الجيش التركي، ليس بفقدان العلاقة المميزة التي تربط تركيا مع الولايات المتحدة بل فرطوا بفرصة لتأمين موطن قدم استراتيجي في شمال العراق"^{٨٠}. ومن هنا ترى تركيا ضرورة الاستمرار في التعاون مع الولايات المتحدة في المستقبل في تحقيق اهدافها في شمال العراق خشية من استمرار الدعم للاكراد في هذه المنطقة^{٨١}.

وعلى الرغم من التطمينات الامريكية للجانب التركي بضمان وحدة التراب العراقي ومعارضتها لاستقلال الاكراد، غير ان الاتراك واصلوا عدم ارتياحهم للوضع القائم في العراق خصوصاً ان الاكراد لم يعلنوا انهم ملتزمون بالموقف الامريكي المعارض لاستقلالهم ولم يتراجعوا عن المطالبة بضم كركوك الى اقليم كردستان الامر الذي دفع الاتراك الى الحكم

على الولايات المتحدة بأنها متواطئة مع الاكراد او راضية عن التوجهات الكردية^{٨٢}. وعندما حاولت تركيا التدخل لصالح تركمان العراق في كركوك، عارضت الولايات المتحدة ذلك، واعلنت ان قضية كركوك قضية عراقية وحلها بيد العراقيين^{٨٣}، وهذا ما زاد من شعور تركيا بانها خرجت من المعادلة العراقية بخسائر واضحة وذلك بتراجع موقع التركمان وتشرذمهم وتغيير البنية السكانية لكركوك^{٨٤}.

وبعد التحذير الذي وجهه الجيش التركي من ان هيمنة الاكراد على كركوك ستزج بتركيا في النزاع الاثني الدائر في كركوك، وجه وزير الخارجية التركي السابق مطلع عام ٢٠٠٥ رسالة الى الامم المتحدة قال فيها: ان محاولات تغيير التركيبة السكانية لكركوك (ويقصد المحاولات الكردية) استمرت من دون توقف من خلال نقل غير مشروع لعدد كبير من السكان الى المناطق المتنازع عليها. اما رئيس الحكومة التركية رجب طيب اردوغان، فقد وصف الوضع في مدينة كركوك بأنه خطير في ضوء مساعي الاكراد للسيطرة على المدينة عبر استقدام عشرات الالاف من الاكراد للتصويت فيها. كما قال المبعوث التركي الخاص للعراق السفير عثمان كوترك: ان الحساسيات الكبرى لتركيا هي الحفاظ على وحدة العراق لانه يشكل عنصر توازن في المنطقة من الناحية الاستراتيجية وانقسامه سيؤدي الى اختلال هذا التوازن في المنطقة ويجب ان تبقى كركوك لجميع العراقيين ويجب ان تكون ملكيتها لجميع العراقيين والا يدعي فريق ما ملكيتها او سيادته عليها. ولفت الى ان التركمان في العراق ليسوا امتداداً للامبراطورية العثمانية او اترك تركيا لأنهم جاؤوا الى المنطقة قبل اترك تركيا او العثمانيين^{٨٥}. وفي ٢٥ كانون الثاني عام ٢٠٠٧ قال عبد الله غول وزير الخارجية التركي السابق، ان اتفاقية عام ١٩٢٦ بين تركيا وانكلترا والعراق جعلت تركيا معنية بالملف العراقي وبعدها بيومين قال غول في ندوة في ملتقى دافوس في سويسرا ان تقسيم العراق سيحرق المنطقة كلها ولا يمكن ان نواجهها هذه المرة بتسامح. وفي شباط عام ٢٠٠٧ قال غول ان تركيا سلمت ولاية الموصل وكركوك بموجب اتفاقية ١٩٢٦ الى دولة عراقية واحدة موحدة في اشارة الى ان تقسيم العراق يعطي حقاً في اعادة النظر في الاتفاقية المذكورة^{٨٦}.

وعن الوضع النهائي لمدينة كركوك، تبدو السفارة الامريكية مستاءة لان الادارة الامريكية لم تعلق يوماً سياستها ازاء هذه القضية، سوى تكرر اننا ندعم عمل الامم المتحدة في العراق (يونامي) للتفاوض مع الاطراف المعنية بشأن وضع الاراضي المتنازع عليها، وفي مقدمتها كركوك. ومن يتصفح وثائق ويكيليكس عن العراق يلاحظ ان اكثر ما يقلق الادارة الامريكية

هو ملف كركوك بالتحديد وفي سياق الخوف من انفجار الوضع بين العرب والاكرد والتركان^{٨٧}. وقد حافظت الولايات المتحدة الامريكية على موقفها في ابقاء يدها بعيدة عن تنفيذ المادة (١٤٠)، وان مستقبل كركوك يقرره العراقيون انفسهم دون تدخل خارجي، فهنا يحاول الامريكان التنصل عن وعودهم للاكرد وتحويل قضية كركوك الى انها قضية داخلية ممكن تدويلها من خلال ايجاد حل توافقي عن طريق الامم المتحدة^{٨٨}. كما جاء في تقرير لجنة بيكر- هاملتون* في كانون الأول عام ٢٠٠٦، ينبغي على الولايات المتحدة العمل مع الحكومة العراقية ومساعدتها على التوصل إلى اتفاق مقبول في شأن كركوك^{٨٩}. كما اعرب السفير الامريكي في العراق عن قلق بلاده من التوترات التي حدثت في المناطق المتنازع عليها عام ٢٠١٢، مؤكداً ان تغيير الواقع الحالي في المناطق المتنازع عليها يجب ان يتم بالتنسيق بين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان وليس عن طريق طرف واحد^{٩٠}.

وعن الموقف التركي من كركوك صحيح انه لم يكن بالمستوى الذي يأمله التركمان بعد ان هيمن الاكرد على الموقف السياسي والاداري في المدينة في انتخابات عام ٢٠٠٥ الا ان تركيا سيكون لها بالقطع دوراً مؤثراً اذا ما تجاوز الاكرد الخطوط الحمراء التي تهدد مصالحها في العراق ومنها بطبيعة الحال ضم كركوك الى الفيدرالية الكردية^{٩١}. فبعد ان كان من المفروض ان يبيت امر كركوك في استفتاء كان سيجري في اواخر عام ٢٠٠٧، الا ان الخلافات الحادة بين اطراف العملية السياسية في العراق، اجّلت الاستفتاء الى اجل غير معلوم، وكانت تركيا قد ارسلت اشارات قوية الى الاطراف العراقية، وخصوصاً الكردية، للتحذير من مغبة المساس بوضع كركوك^{٩٢}.

الخاتمة:

يعبر عن مشكلة كركوك عضو البرلمان الاسبق وائل عبد اللطيف بالقول: "تعد محافظة كركوك الجزء المعقد من العراق، حيث القوميات والاديان والمذاهب جميعاً، وجرى عليها ما جرى على محافظات العراق من ظلم وتغيير وتبديل للهوية، فقد رأى الدستور ارجاء معالجة امر كركوك الى حين اجراء احصاء سكاني شفاف".

لم تمح اثار الغبن الذي شعرت به تركيا جراء خسارتها كركوك في بداية القرن العشرين، وما زاد من حدة الغبن الذي شعرت به تركيا هو التطورات الجديدة على الساحة العراقية بعد عام ٢٠٠٣ وسيطرة الاكرد على كركوك وسعيهم الى ادماجها وجعلها عاصمة لاقليم كردستان

العراق، ولكنها على الرغم من ذلك تركيا لا تزال تمارس ضغطاً ضد اي محاولة تمس وضع
كركوك بحجة حماية مصالح التركمان فيها.

ومهما قيل عن الموقف التركي من كركوك انه لم يكن بالمستوى الذي يأمله التركمان بعد ان
هيمن الاكراد الا ان تركيا سيكون لها بالقطع دوراً مؤثراً اذا ما تجاوز الاكراد الخطوط
الحمراء التي تهدد مصالحها في العراق ومنها بطبيعة الحال ضم كركوك الى الفيدرالية
الكردية.

المصادر والهوامش :

١. عصام كاظم عبد الرضا، انتفاضة عام ١٩٢٥ في تركيا وانعكاساتها على قضية الموصل، اطروحة
دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١١، ص ١٥.
٢. اتفاقية سايكس بيكو اتفاقية سرية جرت في عام ١٩١٦ بين دول الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا
لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول الثلاث. وقد تم الكشف عن خبايا الاتفاقية بعد الثورة
البلشفية في روسيا عام ١٩١٧.
٣. مازن الياصري، العراق والمجتمع الدولي والعهد: قراءة وعرض توثيقي في وثيقة العهد الدولي مع
العراق... والاجواء والتحديات التي تزامنت مع نشوء العراق الجديد، الجزء الاول (الاطار
النظري)، دار السلام، لبنان، ٢٠١٠، ص ٢٣٥.
٤. اول رؤساء تركيا (١٩٢٣-١٩٣٨)، وقد قاد حركة التحرير التركية التي حدثت في اعقاب الحرب
العالمية الاولى، واسس جمهورية تركيا الحديثة، فالغى الخلافة الاسلامية، واعلن علمانية الدولة.
٥. محمد نور الدين، العراق بين الوحدة السياسية والفيدرالية، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٦، مركز
الدراسات الاستراتيجية، لبنان، صيف ٢٠٠٧، ص ٥٣.
٦. بيل بارك، سياسات تركيا تجاه شمال العراق: المشكلات والافاق المستقبلية، مركز الخليج للأبحاث،
الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥، ص ١٩-٢٠.
٧. آسا لندكرين، السياسة التركية حيال اقليم كردستان العراق، ترجمة مصطفى نعمان احمد، دار
المرتضى، بغداد، ٢٠١٣، ص ٤٧.
٨. محمد خواجه، المثلث العربي- الإيراني- التركي: واقع وافاق، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١١٩،
مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، صيف ٢٠٠٥، ص ١٦٧.
٩. بيل بارك، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.
١٠. عصام كاظم عبد الرضا، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧-٥٨.
١١. آسا لندكرين، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.
١٢. عثمان الرواندوزي المحامي، استجواب صدام حسين رجل المتناقضات، الامام المنتظر، ايران،
٢٠٠٤، ص ٨٨-٩١.

١١. دهام محمد العزاوي، الاحتلال الامريكى للعراق وابعاد الفيدرالية الكردية، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، لبنان-قطر، ٢٠٠٩، ص ٣٣.
١٢. آسا لندكرين، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧-٤٨.
١٣. محمد نور الدين، السياسة الخارجية.. أسس ومرتكزات، في مجموعة باحثين، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، قطر- لبنان، ٢٠١٠، ص ١٣٣.
١٤. وليم ستيفرز، السيادة والنفط (العراق- تركيا- والنظام الدولي الانكلو- امريكى ١٩١٨-١٩٣٠)، ترجمة علي البديري، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٠، ص ٣٠٤-٣٠٩.
١٥. ابراهيم الداوقى، اكراد تركيا، دار نارس للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، اربيل، ٢٠٠٨، ص ٣٠٢.
١٦. حامد الحمداني، صدام والفتح الامريكى المدمر، بلا دار، بلا سنة، ص ٢٤٥.
١٧. خليل شمه، صفقة مع الشيطان، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٢، ص ٧٤-٢٨٨.
١٨. محمود سالم جاسم السامرائى، قراءة في استراتيجىة تركيا السياسية المعاصرة تجاه العراق، مجموعة باحثين، العلاقات العراقية- التركية في مواجهة القرن الحادى والعشرين، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، اب ٢٠٠٠، ص ٢٢٤.
١٩. صبحى ناظم توفيق، تركيا والتحالفات السياسية: ميثاق سعد آباد. معاهدة الصداقة السوفيتية في وثائق الممثلات العراقية في استانبول وانقرة (١٩٣٠-١٩٥٣)، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧١-٧٣.
٢٠. محمد نور الدين، تركيا الصيغة والدور، رياض الرئيس للكتب والنشر، لبنان، ٢٠٠٨، ص ٢٣٥-٢٣٦.
٢١. ميشال نوفل، عودة تركيا الى الشرق: الاتجاهات الجديدة للسياسة التركية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠١٠، ص ٦٩-٧٠.
٢٢. أ.ج طارق اوغلو، تركمان العراق بوصفهم عاملاً في السياسة الخارجية التركية: منظورات اجتماعية سياسية وديموغرافية، ترجمة اسماعيل نوري العزى، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٣.
٢٣. المصدر نفسه، ص ٣٢.
٢٤. عوني عبد الرحمن السبعواوي، العلاقات العراقية- التركية مكانم العداة ونقاط التفاهم، مجموعة باحثين، العلاقات العراقية- التركية الواقع وآفاق المستقبل، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، حزيران ١٩٩٩، ص ٤٢.
٢٥. محمد نور الدين، تركيا الصيغة والدور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦.
٢٦. بيل بارك، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.
٢٧. مالك مفتى، الجرأة والحذر في سياسة تركيا الخارجية، دراسات عالمية، العدد ٢٧، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، بلا سنة، ص ٣٠.
٢٨. محمود سالم جاسم السامرائى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٤.

٢٩. دهام محمد العزاوي، المسألة الكردية في العلاقات العراقية التركية، مجموعة باحثين، العلاقات العربية- التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، اب ٢٠٠٠، ص ٣٨-٣٩.
٣٠. أرشد الهرمزي، التركمان والوطن العراقي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥، ص ١٤-١٥.
٣١. سعدي ابراهيم حسين، الفدرالية: النظام الاتحادي والهوية الوطنية العراقية.. من يوقف النار قبل ان تحرق العراق؟ (بحث أكاديمي موثق)، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، بلا تاريخ، ص ١٥٨-١٥٩.
٣٢. اياد عاشور الطائي وآخرون، جغرافية العراق الاقليمية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ٢٦٥.
٣٣. أ. ج طارق اوغلو، مصدر سبق ذكره، ص ٥.
٣٤. اياد عاشور الطائي وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.
٣٥. مختار لاماني، الاقليات في العراق: الضحية الاخرى، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٩، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، تشرين الثاني ٢٠٠٩، ص ١٦٧.
٣٦. حنا بطاطو، العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الاول، ترجمة عفيف الرزاز، منشورات دار القبس، الكويت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣، ص ٦٠.
٣٧. فاضل حسن كطافة، العراق وموقعه المجاور لإيران: دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ٣٦.
٣٨. أ. ج طارق اوغلو، مصدر سبق ذكره، ص ٩.
٣٩. فوزية صابر، قراءة جيو- سياسية للبعد الكردي بين العراق وتركيا، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٢، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، ربيع ٢٠٠٦، ص ١١١-١١٢.
٤٠. محمد صادق جميل، مشكلة ادارة كركوك ومستقبلها الجيوبولتيكي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص ١٩٥.
٤١. آسا لندكرين، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٦-١٢٧.
٤٢. محمود سالم جاسم السامرائي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦.
٤٣. فوزية صابر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣-١١٤.
٤٤. نقلاً عن: احمد داود اوغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، لبنان- قطر، الطبعة الثانية، ٢٠١١، ص ١٦٩-٦٢٢.
٤٥. عماد علو، تحديات الامن الوطني العراقي وسبل مواجهتها، مجلة معين، العدد ٣، المجموعة العراقية للدراسات الاستراتيجية، بغداد، شباط ٢٠١٣، ص ٥٦.
٤٦. آسا لندكرين، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤.

٤٧. أ. ج. طارق اوغلو، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.
٤٨. بيل بارك، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣-٦٤.
٤٩. دهام محمد العزاوي، الاحتلال الامريكي للعراق وابعاد الفيدرالية الكردية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.
٥٠. محمد نور الدين، تركيا الصيغة والدور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦.
٥١. احمد سلمان محمد، العلاقات التركية مع دول مجلس التعاون الخليجي في عهد حكومة حزب العدالة والتنمية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٣٠، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، حزيران ٢٠١٠، ص ٧٤.
٥٢. عبد علي كاظم المعموري ومالك دحام الجميلي، النفط والاحتلال في العراق، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١١، ص ٢٢٥.
٥٣. محمد صادق جميل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.
٥٤. اياد عاشور الطائي وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص ١٣-١٩.
٥٥. هام محمد العزاوي، الاحتلال الامريكي للعراق وابعاد الفيدرالية الكردية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.
٥٦. محمد نور الدين، تركيا الصيغة والدور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦.
٥٧. مازن الياسري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥.
٥٨. حامد عبيد حداد، العلاقات العراقية التركية: الواقع وافاق المستقبل (مع التركيز على الجانب الاقتصادي)، الملف السياسي (الدور التركي في المنطقة العربية)، العدد ٧٩، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، حزيران ٢٠١٠، ص ٢٥.
٥٩. حسن يلماظ، مستقبل كركوك، ترجمة غزال يشيل اوغلو، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٦، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، صيف ٢٠٠٧، ص ٦٩.
٦٠. غسان العزي، مستقبل العراق كمحدد لمستقبل المنطقة، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٩، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، صيف ٢٠٠٨، ص ١٣٧.
٦١. ارشد الهرمزي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١.
٦٢. بيل بارك، مصدر سبق ذكره، ص ٥١.
٦٣. ليام أندرسن وغاريت ستانسفيلد، أزمة كركوك: السياسة الاثنية في النزاع والحلول التوافقية، ترجمة عبد الاله النعيمي، دراسات عراقية، بغداد-اربييل-بيروت، ٢٠٠٩، ص ١١.
٦٤. ميشال نوفل، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.
٦٥. بول بريمر ومالكولم ماك، عام قضيته في العراق: النضال لبناء غدٍ مرجو، ترجمة عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ٢٠٠٦، ص ٣٤٤.
- وقد نصت المادة (١٤٠) على ان تتولى السلطة التنفيذية اتخاذ الخطوات اللازمة لاستكمال تنفيذ متطلبات المادة (٥٨) من قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية بكل فقراتها. والمسؤولية الملقاة على السلطة التنفيذية في الحكومة الانتقالية والمنصوص عليها في المادة (٥٨) من قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية تمتد الى السلطة التنفيذية المنتخبة بموجب هذا الدستور على ان

تجز كاملة (التطبيع، الاحصاء، وتنتهي باستفتاء في كركوك والمناطق الاخرى المتنازع عليها
لتحديد ارادة مواطنيها) في مدة اقصاها ٢٠٠٧/١٢/٣١. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، المادة
١٤٠.

٦٦. مشروع دستور اقليم كردستان العراق، المادة الثانية، موقع حكومة اقليم كردستان، www.krg.org.

٦٧. ليام أندرسن وغاريث ستانسفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

٦٨. غانم محمد صالح، مصدر الفيدرالية بعدها الفكري وقرار تطبيقها في العراق، مجلة دراسات دولية،
العدد ٤٧، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، كانون الثاني ٢٠١١، ص ٨.

اعلان حقوق الاشخاص المنتمين الى اقلية قومية أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية والذي اعتمد
ونشر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٣٥/٤٧ بتاريخ ١٨ كانون الاول ١٩٩٢:
نصت المادة الاولى، على الدول أن تقوم، كل في إقليمها، بحماية وجود الأقليات وهويتها القومية أو
الإثنية، وهويتها الثقافية والدينية واللغوية، وبتهيئة الظروف الكفيلة بتعزيز هذه الهوية. ونصت الفقرة
الخامسة من المادة الثانية، للأشخاص المنتمين إلى أقليات الحق في أن يقيموا ويحافظوا على
استمرار اتصالات حرة وسلمية مع سائر أفراد جماعتهم ومع الأشخاص المنتمين إلى أقليات أخرى،
وكذلك اتصالات عبر الحدود مع مواطني الدول الأخرى الذين تربطهم بهم صلات قومية أو إثنية
وصلات دينية أو لغوية، دون أي تمييز. نقلاً عن ارشد الهرمزي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩-

٥٠.

٦٩. محمد صادق جميل، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩.

٧٠. ليام أندرسن وغاريث ستانسفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤-١٣٧.

٧١. آسا لندكرين، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

٧٢. بيل بارك، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠-٩٣.

٧٣. ليام أندرسن وغاريث ستانسفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ١٤-٩٢.

٧٤. حسن يلماظ، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

٧٥. 'دهام محمد العزاوي، الاحتلال الامريكي للعراق وابعاد الفيدرالية الكردية، مصدر سبق ذكره،
ص ٨٧.

٧٦. محمد صادق جميل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤-٢١٣.

٧٧. جانكيز تشاندر، العثمانية الجديدة والشرق الاوسط: رؤية تركية، ترجمة مختار نور الدين، في
مجموعة باحثين، عودة العثمانيين.. الاسلامية التركية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات
العربية المتحدة، الطبعة الثالثة، اب ٢٠١١، ص ٢٤٠.

٧٨. محمد نور الدين، العراق بين الوحدة السياسية والفيدرالية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩

٧٩. محمد نور الدين، تركيا الصيغة والدور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩.

٨٠. نقلاً عن: ليام أندرسن وغاريث ستانسفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣-١٥٤.

٨١. احمد سلمان محمد، دور تركيا في الاستراتيجية الامريكية تجاه الوطن العربي، اطروحة دكتوراه غير
منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٥، ص ١٦٥.

٨٢. سرمد عبد الستار امين، الولايات المتحدة الامريكية وتركيا- اعادة تفعيل الشراكة الاستراتيجية في منطقة الشرق الاوسط، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٩، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، تموز ٢٠١١، ص ٧١.
٨٣. حامد عبيد حداد، العلاقات العراقية التركية: الواقع وافاق المستقبل (مع التركيز على الجانب الاقتصادي)، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.
٨٤. محمد نور الدين، تركيا والاكراد: من ديار بكر الى كركوك، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٢٦، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، صيف ٢٠٠٧، ص ٢٠٦.
٨٥. وليد رضوان، العرب والاتراك من نور الدين وارسلان الى الاسد غول اردوغان، دار النهج، سوريا، ٢٠١١، ص ٣٢٤-٣٢٥.
٨٦. محمد نور الدين، تركيا والاكراد: من ديار بكر الى كركوك، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.
٨٧. موسوعة ويكيليكس: اكبر الفضائح عبر التاريخ، المجلد الثاني، مركز الدراسات والنشر، لبنان، ٢٠١١، ص ٦٠.
٨٨. محمد صادق جميل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.
- لجنة بيكر هاملتون، وهي لجنة وافقت ادارة بوش على تشكيلها من الجمهوريين والديمقراطيين برئاسة وزير الخارجية السابق جيمس بيكر والديمقراطي لي هاملتون لدراسة الوضع في العراق.
٨٩. تقرير لجنة دراسة العراق (لجنة بيكر - هاملتون).
٩٠. جريدة المدى، السفير الامريكي يعرب عن قلق بلاده من التوترات في المناطق المتنازع عليها، العدد ٢٦٦٤، ٢٠١٢/١٢/٣، ص ٥.
٩١. دهام محمد العزاوي، الاحتلال الامريكي للعراق وابعاد الفيدرالية الكردية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠.
٩٢. فرح صابر، الخيارات الاستراتيجية لتركيا وموقع الوطن العربي منها، مجموعة مؤلفين، العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، ايار ٢٠١٢، ص ٥٤٩.

موقف تركيا من القضية الفلسطينية

أ.م.د. منى حسين عبيد

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد

المقدمة :

شهد العالم خلال السنوات المتددة من ٢٠٠٢ ولغاية الوقت الحاضر تصاعدا مطردا وملحوظا في الدور التركي لاسيما خلال تولي حزب العدالة والتنمية السلطة في تركيا، سواء على المستوى الإقليمي أو حتى على المستوى الدولي، وكان أبرز هذه الأدوار، هو الموقف التركي في القضية الفلسطينية، ذلك الموقف الذي أثار الكثير من التساؤلات لاسيما في ظل وصول حزب العدالة والتنمية ذي التوجهات الإسلامية على الحكم. فثمة قائل أن الموقف التركي المساند للقضية الفلسطينية ينبع من توجه قيادات الحزب التي تتولى الحكم على أساس خلفياتهم وتوجهاتهم الإسلامية، والتي جعلت تركيا تتحاز للجانب الفلسطيني الامر الذي اكسبها شعبية كبيرة داخليا وخارجيا. ولعل هذا ما يفسر رسم تركيا لسياستها الخارجية بالشكل الذي يخدم مصالحها ويكسبها قاعدة جماهيرية واسعة، ولاسيما أن السياسة الخارجية للحكومة التركية تعبر عن مصالح تركيا العليا، وأن كل خطواتها إنما تصب في ذلك الاتجاه، فتركيا في حقيقة الامر تسعى لاحتلال مساحات نفوذ واسعة على حساب أطراف أخرى ، وتعد القضية الفلسطينية هي المجال الأكبر لاثبات تلك المكانة.

لذا نجد ان سياسة تركيا اختلفت عن سابقتها في مواقفها تجاه القضية الفلسطينية ولاهمية تلك المواقف ولاسيما في ظل وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة ،سعت الدراسة لبيان مواقف تركيا تجاه تلك القضية المتجدرة من زمن بعيد.

اولا:-سمات السياسة الخارجية التركية تجاه منطقة الشرق الاوسط

تعد تركيا من الدول المهمة في الشرق الاوسط فسكانها واقتصادها وامكاناتها العسكرية هيء المستلزمات الاساسية التي تؤهل لأداء ادوارا مهمة وفاعلة ، الا ان الصفة المميزة لأي دولة هو مدى قدرتها على التأثير في الاستقرار العالمي والاقليمي ،فعلى صعيد منطقة الشرق الاوسط،برزت تركيا في العقد الماضي كلاعب اقليمي كبير الاهمية،عسكريا ودبلوماسيا وهذا الاهتمام المتنامي بشؤون الشرق الاوسط مثل تحولا مهما في سياسة تركيا ازاء منطقة الشرق الاوسط ،اذ تحولت سياسة تركيا الخارجية من سياستها التقليدية والتي كانت تقوم على عدم التدخل وعدم الخوض العميق في شؤون الشرق الاوسط الى الاندفاع والخوض العميق في شؤون المنطقة وذلك في تسعينيات القرن الماضي^(١).

كما حدث في حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) عندما قررت تركيا بعد تجاذبات كثيرة الدخول في التحالف الدولي الموجه ضد العراق^(٢).

ومنذ عام ٢٠٠٢ ،قامت تركيا باعادة هيكلة سياستها الخارجية لتصبح اكثر نشاطا واكثر فاعلية مع دول الجوار الجغرافي ،وفي المنظمات الاقليمية والدولية اثر مجيء حزب العدالة والتنمية،حيث تحركت تركيا الى استعادة الريادة بامتلاك زمام المبادرة في مناطق عمقها الاستراتيجي (الجوار الجغرافي) مستندا الى الارث التاريخي والثقافي والحضاري المشترك والقوة الاقتصادية والقوة الناعمة للبلاد كقوة اقليمية صاعدة تجاوزت خلافات التاريخ وحدود

الجغرافية، ولم تعد تركيا تتجاهل قضايا مناطق تأثيرها في الشرق الأوسط والعالم
عموماً، وبدأت تركيا تنظر الى دول الشرق الأوسط وفق مفهوم الاستباقية بدلاً من سياسة رد
الفعل وذلك في المدة التي سبقت تسلم حزب العدالة والتنمية الحكم (٢٠٠٠-٢٠٠٢) وهذا يعني
ان تركيا لا تريد البقاء بعيدة عن الشرق الأوسط ومكوناته وحالات الحراك المتتابعة والمستمرة
فيه، حيث سعت تركيا لاسيما في عهد حزب العدالة والتنمية الى ان تكون وسيطا في الشرق
الأوسط على صعيد عمليات التسوية في الملفين الفلسطيني - السوري، والسوري - الاسرائيلي
دون احرار نتائج معينة، ورأت تركيا في العالم العربي تربة خصبة وملائمة لاقامة علاقات
ذات ابعاد استراتيجية مع دوله كونها تشكل سوقا مهما فضلا عن دورها في دعم أو تقويض
الاستقرار السياسي لتركيا^(٣).

لقد تمت اعادة صياغة الدور التركي وتفعيله وفقا لرؤية رئيس الوزراء السابق احمد اوغلو
ليؤكد ان تركيا دولة مركزية ومحورية في المنطقة اعادت توجيه سياستها الخارجية انطلاقا
من وعيها ومكانتها الجيوستراتيجية والجيوثقافية وربطها بمجالها الحيوي.
وتقوم السياسية الخارجية التركية الجديدة على خمسة مبادئ هي^(٤):-

المبدأ الأول :-التوازن السليم بين الحرية والأمن

عد احمد داوود أوغلو وزير خارجية تركيا أنه من دون تحقيق أي دولة للتوازن بين الحرية
والأمن بداخلها فلن تستطيع التأثير في محيطها، كما أن تحقق مشروعية النظم السياسية مرتبط
بتوفير هذه الأخيرة الأمن لشعبها وعدم تقليص حرياتنا في مقابل ذلك، فالأنظمة التي توفر
الأمن لشعبها في مقابل حرمانها من الحرية ستتحول مع مرور الزمن إلى أنظمة سلطوية،
كما أن الأنظمة التي تضحي بالأمن بحجة منح الكثير من الحريات، ستصاب بحالة اضطراب
مخيف. ويتعرض أوغلو إلى التوجه الذي ساد العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر
والتي رافقتها العديد من الممارسات والإجراءات المقلصة للحريات بحجة التهديدات
الإرهابية، منوها بسياسة الدولة التركية الحريضة على صون مسألة الحريات انطلاقا من
إيمانها بالديمقراطية التي تعدها أفضل قوة ناعمة تمتلكها تركيا.

المبدأ الثاني :-تصفير المشكلات مع دول الجوار "صفر مشاكل"

يذكر داود أوغلو أن المقارن لوضع تركيا قبل وبعد وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة،
سيجد أن علاقات تركيا بدول الجوار أصبحت علاقة جيدة بدءا بسوريا قبل اندلاع الأزمة سنة
2011 -فضلا عن تطور العلاقات التركية الجورجية لدرجة استخدام تركيا لمطار " باتوم "
الجورجي وكأنه مطار تركي وهو ما يمكن عده نجاحاً دبلوماسياً مهماً، والامر نفسه ينسحب
على بلغاريا وإيران.

المبدأ الثالث :-التأثير في الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار

والمقصود من هذا المبدأ تأثير تركيا في منطقة البلقان والشرق الأوسط والقوقاز ودول آسيا
الوسطى، حيث كان للخارجية التركية اهتمام مؤثر وجاد في البلقان في سنوات التسعينيات
لاسيما في أزمتات البوسنة والهرسك وكوسوفو، بخلاف التأثير في منطقة الشرق الأوسط
والذي كان محدودا بسبب الخلفيات التاريخية والصورة السلبية التي رسمت علاقة الطرفين
ببعضهما، غير أن الضرورات البراغماتية للتعاون والتنسيق الدبلوماسيين حطمت تلك
الحواجز النفسية والتاريخية، وجعلت تركيا أكثر التزاما بسياسة شرق أوسطية فعالة لاسيما
بعد سنة 2002 ، حيث أضحت تركيا تملك قدرات واتصالات تجعلها متابعه للتطورات في
الشرق الأوسط لحظة بلحظة، وقد دلت زيارة عبد الله غول للبنان سنة 2004 عندما كان
وزيرا للخارجية والتي كانت الزيارة الأولى لوزير خارجية تركي للبنان على اهتمام تركي
واضح بواقع ومشاكل منطقة الشرق الأوسط^(٥).

المبدأ الرابع :-السياسة الخارجية متعددة الأبعاد

ويقصد بهذا المبدأ أن العلاقات مع مختلف اللاعبين الدوليين لا تعد بديلة عن بعضها البعض، بل متكاملة فيما بينها، وهو مبدأ يضع علاقات تركيا الإستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية في إطار ارتباطها بحلف الناتو تحت مفهوم العلاقات الثنائية، كما أن سعي تركيا للانضمام إلى الإتحاد الأوروبي بالتزامن مع سياسات تركيا وعلاقاتها المتطورة مع روسيا وأوراسيا لا يمكن فهمها في إطار متضاد وإنما في إطار متكامل، والمقصود تحديدا من خلال ما سبق أن السياسة متعددة الأبعاد التي تنتهجها تركيا منذ عام 2002 لا تتضارب ولا تتناقض مع بعضها، إذ أنها سياسات مؤسسية راسخة. وهو ما يختلف عما كان عليه الوضع في حقبة الحرب الباردة، حيث أن أي تنسيق مع المعسكر الشرقي يعد استعدادا للمعسكر الغربي والعكس صحيح.

المبدأ الخامس :-الدبلوماسية المتناغمة

شهدت الدبلوماسية التركية منذ سنة 2003 نشاطا بارزا من خلال عضويتها في العديد من المنظمات الدولية واستضافتها للعديد من المؤتمرات الدولية، فقد استضافت تركيا منذ 2003 قمة حلف شمال الأطلسي وقمة منظمة التعاون الإسلامي، ومنتديات دولية كثيرة، ووصلت سنة 2007 إلى أن أصبحت عضوا مراقبا في الاتحاد الأفريقي، وذلك بعد انفتاحها على القارة الأفريقية وإعلان الحكومة التركية بأن سنة 2005 هي سنة أفريقيا. وقد أطلق أحمد داود أوغلو على الحقبة التي امتدت من سنة 2002 بحقبة التغيير الإيجابي التي من خلالها تحولت تركيا من صفة دولة مركز إلى صفة القوة العالمية.

المبدأ السادس :-أسلوب دبلوماسي جديد

يتمثل هذا الأسلوب في تحول تركيا من دولة جسر إلى دولة فاعلة، حيث أدى مفهوم دولة الجسر إلى أن تظهر تركيا للشرقي بأنها غربية وتظهر للغربي بأنها شرقية، لذلك دعا أوغلو إلى رسم خريطة جديدة لتركيا تجعل منها دولة ذات دور رئيس ومركزي وذلك من خلال عملها على إنتاج أفكار واقتراح حلول في منابر الشرق ومنتدياته باسم هويتها الشرقية، وأن تقدم في ذات الوقت رؤيتها لمستقبل أوروبا في المحافل الأوروبية، وتطبيق تلك الخطة لا ينسحب على السياسيين والدبلوماسيين فقط، بل يتعداهم للمتقنين الأتراك أيضا والذين عليهم جميعا نقل موروثاتهم التاريخية والحضارية لأوروبا بشكل يجعل الأوروبيين يعدون انضمام تركيا لهم مكسبا لا عبئا.

وفي هذا الصدد اشار الدكتور إبراهيم كالن كبير مستشاري الرئيس التركي رجب طيب أردوغان والناطق الرسمي- باسم الرئاسة التركية الى المبادئ التي ارتكزت عليها سياسة تركيا الخارجية منذ سنة 2002 - أحدها تعرض له البروفيسور أوغلو وهو التوازن بين الحرية والأمن والذي سبق وان تم ذكره، أما المبدأن الأخران فيتطرق أولهما إلى العدالة السياسية والاقتصادية والتي أكد من خلالها القادة الأتراك على وجوب إقامة النظام العالمي على مبادئ العدالة والمساواة كشرط مسبق لإيجاد حلول مستدامة طويلة الأجل للصراعات الموجودة في العالم، ويذكر الدكتور كالن بأن تركيا أسست علاقاتها مع العالم الخارجي على هذا النمط مع كل من البلقان ومنطقة الشرق الأوسط وأفريقيا وباقي دول العالم ، كما أكدت على ذات المبدأ في سياق حديثها عن إصلاح منظومة الأمم المتحدة، وذلك عند تعرضها للقضية الفلسطينية، إذ أكدت على إنهاء الاحتلال الفلسطيني، وحملت المجتمع الدولي مسؤولية تحقيق العدالة السياسية للشعب الفلسطيني، كما طرحت تركيا مسألة مهمة في القمة الرابعة

لمنظمة الأمم المتحدة للبلدان الأقل نموا في العالم والتي استضافتها العاصمة التركية اسطنبول سنة 2011 إذ تحدثت عن رفع الظلم الاقتصادي عن الدول الضعيفة ودعت الدول الغنية في العالم لتقديم المساعدة إلى الدول الفقيرة في أفريقيا وآسيا .
أما المبدأ الثالث فتطرق فيه إبراهيم كالتن إلى التنمية الاقتصادية والتجارية التي تتحقق من خلال التجارة والاستثمار، حيث استطاعت تركيا الوصول إلى المرتبة السابعة عشر عالميا ضمن أكبر الاقتصاديات في العالم والمرتبة السادسة ضمن أكبر الاقتصاديات إذا ما قورنت مع أوروبا، وقد سعت القيادة التركية إلى تنويع علاقاتها الاقتصادية مع القوى الصاعدة في آسيا وأمريكا اللاتينية في استراتيجيتها للتواصل مع قوى ودول غير غربية^(٦) وتمكنت تركيا في هذا الإطار من إقامة مشاريع اقتصادية تعاونية بهدف تحقيق التكامل الاقتصادي مع الدول المجاورة عن طريق إقامة مناطق للتجارة الحرة وتسهيل متطلبات الحصول على التأشيرة معها، استهدافا للوصول إلى ما يسميه الدكتور كالتن بـ " : التمكين المتبادل"، أي خلق وضع اقتصادي مريح لجميع الأطراف المعنية بالتبادل الاقتصادي والتجاري، وقد أثمرت تلك السياسة نتائج مربحة لتركيا وشركائها التجاريين في الشرق الأوسط والبحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط وآسيا الوسطى^(٧).

ثانياً:-موقف تركيا من القضية الفلسطينية ١٩٤٩-٢٠٠١

اتخذ السلطان عبد الحميد الثاني موقفا معارضا للحركة الصهيونية إذ لم تكن تركيا من المؤيدين للحركة الصهيونية في مشروعها الاستيطاني في فلسطين؛ ولكن سرعان ما تبدل هذا الموقف بعد وصول كمال أتاتورك إلى السلطة، إذ بدت تركيا العضو في الأحلاف العسكرية الغربية، صديقة لإسرائيل، تجري معها مناورات عسكرية ومتحالفة سياسياً. بعد أن اعترفت بإسرائيل في ٢٨ آذار ١٩٤٩ اعترافا واقعيا، وليس شرعيا بسبب ما أملت الظروف الإقليمية والدولية ومنها التهديد السوفيتي(روسيا حاليا) لتركيا، واحتياجها إلى التحالف مع الغرب لحفظ أمنها القومي من الخطر السوفيتي(روسيا حاليا). كما كانت بحاجة إلى دعم اللوبي (الإسرائيلي) القوي التأثير في الولايات المتحدة لمواجهة كل من اللوبي الأرمني، واللوبي اليوناني، ثم انضمت تركيا لحلف الناتو عام ١٩٥٢، وأصبحت السياسة الخارجية التركية مرتبطة بالغرب، ولاسيما حلف الناتو واستراتيجيته في الشرق الأوسط^(٨).

تبلور الموقف التركي تجاه القضية الفلسطينية وبشكل صريح بعد حرب حزيران ١٩٦٧ حيث رفضت تركيا السماح للولايات المتحدة الأمريكية باستخدام أراضيها لمساعدة (إسرائيل) وطالبت بشكل علني بانسحاب إسرائيل وحل القضية الفلسطينية^(٩) وفي حقبة الثمانينات خطة تركيا خطوة مهمة وهي الاعتراف بالدولة الفلسطينية التي أعلنها المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر ١٩٨٨ وكانت الدولة الخامسة على مستوى العالم التي تفعل ذلك،والاولى من دول المعسكر الغربي الموقف الذي نال ترحيب الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في العام ١٩٨٩^(١٠)

ولكن ما لبثت أن تغير الموقف التركي خلال حقبة التسعينيات والذي تمثل بالوقوف التركي الكلي الى جانب الغرب حيث اعاد تركيا علاقاتها مع إسرائيل،وارتفع مستوى التمثيل الى سفراء،وتطور التعاون الاقتصادي بينهما^(١١)

مهما يكن من أمر ، فقد مثل عام ١٩٩٥ تطورات أخرى في تاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين، وذلك من خلال الاتصالات المكثفة التي مهدت لزيارة الرئيس التركي سليمان ديميريل Demirel Süleyman لإسرائيل والتي وصفها وسائل الإعلام بالتاريخية ، علماً بأن جميع تلك الزيارات مهدت للانتقال إلى المرحلة الذهبية في تاريخ العلاقات الثنائية بين أنقرة وتل أبيب من خلال توقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي في ٢٣ شباط/فبراير ١٩٩٦^(١٢)

ثالثاً: موقف حزب العدالة والتنمية من القضية الفلسطينية

إلا أن وصول حزب العدالة والتنمية في تركيا، ذي التوجه الإسلامي إلى الحكم عام ٢٠٠٢ أحدث تحولاً كبيراً في الموقف التركي من إسرائيل والقضية الفلسطينية. فقد تبنت تركيا بعد هذا العام العديد من المواقف تجاه مجموعة من الاحداث والتطورات التي طرأت على القضية الفلسطينية، هذه المواقف لم تكن مواقف ارتجالية أو غير محسوبة، بل هي مواقف انبعثت من إستراتيجية تبناها حزب العدالة والتنمية تجاه القضية الفلسطينية لخصها رجب طيب اردوغان بقوله " إن السلام الدائم والشامل في الشرق الاوسط يشكل أولوية في السياسة الخارجية التركية"^(١٣).

وفي ظل استمرار الممارسات (الإسرائيلية) العدوانية بحق الفلسطينيين هيمنة روح النقد الشديد لإسرائيل على الخطاب السياسي التركي منذ العام ٢٠٠٢م، وقد استخدم الأتراك مفردات قاسية، لوصف ما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، من قبيل الإرهاب والعنصرية والقتل المتعمد والإبادة... إلخ، في حين تصاعدت اللهجة المنددة بالممارسات (الإسرائيلية) بحق الفلسطينيين إبان انتفاضة الأقصى، ووصلت ذروتها عندما وصف رجب طيب أردوغان إسرائيل بالدولة الإرهابية في معرض تعليقه على استشهاد الشيخ أحمد ياسين، كما استمرت القيادة التركية في توجيه الانتقادات (لإسرائيل) سواء في داخل تركيا أو في المحافل الدولية خصوصاً بعد رفض الاحتلال لنتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية الأخيرة، وفرض الحصار على قطاع غزة، وشن حرب عدوانية عليه^(١٤)

حاولت حكومة العدالة والتنمية التعامل مع تعقيدات هذه القضية بحذر شديد، مؤيدة ما يسمى بـ (خارطة الطريق) (والتي تستند إلى قيام دولتين فلسطينية وإسرائيلية) منتقدة لسياسة إسرائيل في استخدامها المفرط للقوة ضد أبناء الشعب الفلسطيني، ففي الاول من حزيران ٢٠٠٣ صرح السفير التركي في القاهرة قائلاً " إن تركيا لا تقبل العنف والشدة المستخدمة من قبل إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني " وأضاف " بأن أملنا يتخلص في التخلص من الشدة والعنف والعودة إلى مائدة التفاوض من جديد، وأن تقام دولة فلسطين المستقلة، حيث أن هذا سيؤدي إلى حدوث تقارب بين إسرائيل والبلاد العربية، كما أن تركيا تنظر بعدم الرضا لاسلوب وطريقة حكومة شارون ومعالجتها للامور"..... وأكد بـ "أن المسألة تحتاج لتراجع (إسرائيل) عن سياستها المبنية على العنف لكي يتم توفير السلام، وان تركيا لديها الاستعداد للمشاركة بأي جهد في تحقيق السلام والاستقرار بالمنطقة"^(١٥).

ومما يدل على رفض تركيا لتلك السياسة اعلان رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان في العام ٢٠٠٤ "أن الممارسات الاسرائيلية في الاراضي الفلسطينية، ولاسيما سياسة

هدم المنازل في رفح، هي إرهاب دولة"، كما قام رئيس الوزراء أردوغان بمنع وزير خارجيته عبد الله غول من زيارة تل أبيب كرد فعل على الممارسات (الاسرائيلية) المتواصلة بحق الشعب الفلسطيني، وبالمقابل رفعت تركيا مستوى تمثيلها مع السلطة الفلسطينية إلى مستوى "سفير" فيما استدعت سفيرها من تل أبيب للتشاور معه فيما يتعلق بالممارسات (الاسرائيلية).

وكان لموقف تركيا الرفض للسياسة الاسرائيلية اثره في توتر العلاقات التركية - الاسرائيلية، لاسيما بعد التصريحات التي أدلى بها وزير الخارجية التركي آنذاك عبد الله غول في ٢٦ / أيار / عام ٢٠٠٤ "إنه ينظر في رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي لبلاده في الاراضي الفلسطينية بتعيين سفير في الوقت الذي أعلن فيه أنه قد سيستدعي السفير التركي لدى إسرائيل لاجراء مشاورات"، وقد جاءت هذه التصريحات بعد يوم واحد من رفض رئيس الوزراء التركي آنذاك رجب اردوغان قبول دعوة إسرائيل لزيارتها، وما تردد من انتقاد مباشر للحملة التي شنتها إسرائيل في قطاع غزة خلال لقاء مع وزير البنى التحتية الاسرائيلي جوزيف باريتزكي، واصفا قيام إسرائيل بقتل الشيخ أحمد ياسين المرشد الروحي لحركة حماس الفلسطيني بأنه: إرهاب دولة^(١٦).

وبالرغم من حالة التوتر التي اصابه العلاقات الاسرائيلية التركية، سعت تركيا الى تبني سياسة متزنة مع (اسرائيل)، اذ قام رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان بزيارة رسمية إلى إسرائيل في الاول من أيار ٢٠٠٥ بهدف تحسين العلاقات المتوترة بين الطرفين وعقد صفقات عسكرية اقتصادية معها، فضلا عن (محاولة دفع ما يسمى) عملية السلام بين الفلسطينيين و(الاسرائيليين). وكانت تلك هي الزيارة الاولى لاردوغان إلى إسرائيل والاراضي الفلسطينية وفي إشارة إلى تخفيف التوتر بين أنقرة وتل أبيب أثر زيارة أردوغان قال وزير الخارجية الاسرائيلي سميفان شالوم أن هذه الزيارة تبين أن البلدين يقيمان علاقات مستقرة تكاد تكون حميمة، مشيرا إلى "أنه بإمكان تركيا أن تكون جسرا لعلاقتنا مع العالم العربي" ويبدو أن زيارة أردوغان (لاسرائيل) كان الهدف منها عقد صفقة سلاح بين (اسرائيل) وتركيا، من اجل قيام شركات عسكرية إسرائيلية بتحديث ٣٠ طائرة مقاتلة من طراز إف ١٤ فاننوم تابعة لسلاح الجو التركي^(١٧).

وهذا يدل على ان تركيا تسير وفق سياستها التي اتسمت بالاتزان في علاقاتها مع الدول التي تربطها معها علاقات وثيقة لذا نجدها استمرت بالتعاون العسكري مع (إسرائيل)، وأصدرت لذلك تصريحات رسمية ومواقف سياسية لتكسب إلى جانبها الرأي العام الداخلي والخارجي، وتعاونها مع (إسرائيل) يمثل ضمانة أكيدة لمنع بروز أية قوة عربية مناهضة لمصالحها. أي لمصالح (إسرائيل) في المستقبل، في الوقت نفسه تنسجم هذه الاهداف مع رغبات تركيا في مجال تحولها إلى قوة إقليمية مؤثرة في المنطقة^(١٨).

كما احتلت القضية الفلسطينية مركزا متقدما في أجندة تركيا الوطنية والإقليمية. وساهمت الأحداث الإقليمية آنذاك، ومن بينها العدوان على لبنان عام ٢٠٠٦، والعدوان على غزة ٢٠٠٨-٢٠٠٩ في وضع القضية الفلسطينية في الواجهة. اذ نلاحظ ان عدم تخلي تركيا عن دعم القضية الفلسطينية، سواء في المحافل الدولية، أو عبر دعم الفرقاء الفلسطينيين أنفسهم.

في تلك اللحظة، سادت قناعات في أوساط الفلسطينيين مفادها أن الموقف التركي من قضيتهم اقترن بدفع ثمن باهظ من قبل الأتراك، سواء بالدم أو بالسياسة عبر خسارة تركيا لتحالفها الإستراتيجي مع (إسرائيل)، وما رافق ذلك من خسائر اقتصادية وعسكرية واستثمارية، الأمر الذي منح الأتراك مصداقية أكبر في موقفهم من القضية الفلسطينية. في تلك الفترة بالذات، استفادت تركيا من القناة السورية في التواصل مع الفلسطينيين، وكذلك من القناة المصرية رغم الحساسيات الظاهرة بين الحين والآخر. وبدا واضحاً أنّ اللاعب الإيراني كان منزعاً جداً، وغير راض عن دخول تركيا بقوة إلى القضية الفلسطينية، ولا عن الأسلوب المختلف الذي اتبعته، ولا عن الهدف النهائي الذي تسعى إليه، وهو تحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة^(١)

ومع واقع الثورات العربية، وتدهور علاقات تركيا مع كل من (إسرائيل) وسوريا وإيران، أصبحت قدرتها في الدخول الفعال على القضية الفلسطينية أصعب، إلا أنّ وصول نظام جديد إلى الحكم في مصر أعاد التوازن إلى المعادلة من جديد، دون أن يحدث ذلك أي تعديل على جوهر مقاربة القضية الفلسطينية في الأجندة التركية، أو على ثوابت القضية الفلسطينية في سياستها الخارجية.

لكن وفي مقابل ذلك، لوحظ أنّ القضية الفلسطينية لم تعد تحتل الموقع المتقدم ذاته في الأجندة التركية، فقد تراجعت إلى الخلف نظراً لتقدم الأحداث الملتهبة، وتفاقم التحديات الخطيرة على صعيد السياسة الخارجية التركية، والتطورات الإقليمية، لاسيما العلاقة مع سوريا وإيران، وانعكاسات الأزمة السورية على الداخل التركي والسياسة التركية، لاسيما موضوع حزب العمال الكردستاني.

على الجانب الآخر من المعادلة، يرى الفلسطينيون أن التمسك بالدور التركي يظل ضرورة نظراً^(٢):-

- ١- موقع ودور تركيا الإقليمي، ولأنه يمثل جزءاً حاسماً من المجال الإقليمي.
- ٢- ما تحمله تركيا تجاه الحالة الفلسطينية من صلات دينية وخلفيات تاريخية ثقافية.
- ٣- كون القضية الفلسطينية إحدى القضايا المركزية في السياسة الخارجية التركية.
- ٤- بقاء الدور التركي تجاه الفلسطينيين أكثر زخماً عن غيره من دول المنطقة، المنشغلة بملفاتها الداخلية، وهو الأمر الذي يؤكد العديد من الأنشطة العملية في الضفة الغربية وقطاع غزة، لاسيما ما يتعلق بالمساعدات المالية الاقتصادية.
- ٥- إعطاء السياسة التركية للفلسطينيين دفعة معنوية ومادية لدعم صمودهم، وإشعار العالم أن هناك من يقف بجانبهم، ما يدفع إسرائيل دوماً للتفكير الجدي بعدم الاستفراد بهم، نظراً لخشيتها من التأثيرات السلبية الإضافية التي قد تطرأ على علاقاتها مع تركيا.

واخيراً، يمكن القول ان تركيا تدعم القضية الفلسطينية والحقوق الفلسطينية بما يتلاءم مع توجهاتها وتوجهات شعبيها، المتعاطف جداً مع القضية الفلسطينية. تفعل ذلك بشكل شفاف وسلمي، وتتعاطى مع القيادة الفلسطينية الشرعية، وتتعاون معها في المحافل الأممية، بما يتلاءم مع قناعاتها والتزاماتها والمواثيق والشرائع والقرارات الدولية ذات الصلة. كما انها

تدعم صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته السلمية في الداخل، لاسيما في القدس وغزة، وتحاول المساعدة قدر الإمكان.

الخاتمة :

يتضح من خلال الموقف التركي تجاه القضية الفلسطينية^(٢١):-

١- التزم الأتراك منذ البداية بالوقوف بجانب الفلسطينيين؛ وذلك من خلال تقديم الدعم المادي والسياسي للشعب الفلسطيني على المستويين الرسمي والشعبي وفي المجالات المختلفة، وقد عملت الدبلوماسية التركية على أكثر من ملف فلسطيني داخلي، فقدمت على سبيل المثال جهداً مهماً في إطار المصالحة الفلسطينية.

٢- انفتحت الدبلوماسية التركية على قوى المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركة حماس، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال الترحيب برئيس مكتبها السياسي خالد مشعل في أنقرة بعد الانتخابات التشريعية الفلسطينية الأخيرة، وقد استمرت تركيا في عقد المزيد من المشاورات مع حركة حماس، وتشير الكثير من التقارير الصحفية إلى علاقات طيبة بين الطرفين وبتقّة قيادة حركة حماس الكبيرة بالقيادة التركية.

٣- أصبحت تركيا مسرحاً للعديد من النشاطات والفعاليات الإسلامية - من العالم الإسلامي وليس الإسلاميين- المساندة للشعب الفلسطيني، فعلى سبيل المثال نُظِم في إسطنبول لقاء عالمي لنصرة القدس والمسجد الأقصى، كما نظم الأتراك وبتأييد رسمي علني العديد من الفعاليات المناصرة للفلسطينيين والمؤيدة لرفع الحصار عن غزة من بينها مظاهرات ومهرجانات وجمع تبرعات وإرسال مساعدات ... الخ.

٥- يبدو جلياً ان تركيا تقف مع الفلسطينيين في نضالهم المتواصل لنيل حقهم في الاستقلال، مستندة في ذلك إلى عدة اعتبارات في صلب التفكير الاستراتيجي التركي، يأتي في مقدمتها مصلحتها الإستراتيجية- وهي القوة الناعمة ذات التأثير الكبير- في الوقوف ضد أية دولة في المنطقة تمارس أقصى درجات العدوانية والوحشية ضد شعبٍ أعزل دونما اعتراض من أحد.

٦- تتطلع النخبة السياسية التركية لدور تركي محوري في المنطقة، وذلك من خلال الانخراط المباشر في معالجة الملفات الساخنة كجزء أساسي من استحقاقات هذا الدور، ولعل ملف الصراع في فلسطين هو قارورة اختبار لمدى فاعلية ووزن أية قوة ترغب بالقيام بدور بارز، وهذا ما يتطلب جهداً تركياً مضاعفاً واستغلالاً صحيحاً لرصيداها من التجربة التاريخية وامتدادها الجغرافي وشبكة علاقاتها المتشعبة مع دول الجوار والقوى الدولية .

٧- تنطلق تركيا في موقفها من القضية الفلسطينية من كونها دولة عضو في الأمم المتحدة ومن واجبها الدفاع عن قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالشعب الفلسطيني، وتتكبر إسرائيل لهذه القرارات خلق حالة من التناقض بين الموقفين التركي والإسرائيلي، ودفع تركيا نحو تذكير

إسرائيل بمخالفتها الصريحة لقرارات الأمم المتحدة ومطالبة الدول الكبرى القيام بواجبها اتجاه
القرارات التي اتخذتها وعدم الكيل بمكيالين.

٨- تلعب الخلفية الإيديولوجية للحزب التركي الحاكم دورًا في صياغة موقفه السياسي،
فالخطاب الإسلامي المتعلق بفلسطين والذي تتبناه الحركات السياسية الإسلامية، بما فيها
الحركة الإسلامية التركية، لا يشرعن احتلال فلسطين، ويرى فيه قمة العنصرية وجزء من
تأمر دولي تقوده الدول العظمى بالتحالف مع الصهيونية لضرب الإسلام واحتلال أرضه، وإن
كان من مفخرة يعتز بها المسلمون الأتراك فهي الموقف العثماني المدافع عن إسلامية
فلسطين، ودفع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) مستقبل بلاده السياسي
ثمنًا لهذا الموقف، لذا لا غرابة في الموقف التركي الجديد، الذي جاء منسجمًا مع ثقافة النخبة
السياسية الجديدة في تركيا.

المصادر :

- ١- شيماء معروف فرحان، خيارات تركيا نحو العراق بعد تحرير الموصل، مجلة المستنصرية
للدراسات العربية والدولية، لجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية،
العدد ٥٧، المجلد ١٤، آذار ٢٠١٧، ص ٤.
- ٢- عقيل سعيد محفوظ، السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية-التغيير، بيروت، المركز العربي
للبحوث ودراسة السياسات، ٢٠١٢، ص ٥١.
- ٣- شيماء معروف فرحان، المصدر السابق، ص ٥-٦.
- ٤- صوفيا بو علي ووفاء طولبي، الدور الاقليمي التركي في ظل المتغيرات الدولية الراهنة
٢٠١٠-٢٠١٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي
التبسي-تبسة، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٣٧.
- ٥- خالد بقاص، العلاقات التركية الافريقية بعد ٢٠٠٢: حكومة تركية جديدة وواقع ثنائي
مختلف، مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد ١٥، ٢٠١٧، ص ١٤١.
- ٦- المصدر نفسه، ص ١٤٢-١٤٣.
- ٧- المصدر نفسه، ص ١٤٤.
- ٨- احمد سعيد نوفل، الموقف التركي من القضية الفلسطينية
<https://www.mominoun.com/>
- ٩- درهم علي درهم القماش، السياسة الخارجية التركية تجاه القضية الفلسطينية ٢٠٠٢-
٢٠١٠، نقلا عن شبكة الانترنت (<https://jces.journals.ekb.eg/>)
- ١٠- المصدر نفسه

١١-المصدر نفسه

١٢-يسرى عبد الرؤوف يوسف الغول، اثر صعود حزب العدالة والتنمية التركي على العلاقات
التركية الاسرائيلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة الازهر
، غزة، ٢٠١١، ص ٢٠

١٣- احمد سعيد نوفل، الموقف التركي من القضية الفلسطينية

<https://www.mominoun.com>

١٤- عوني فارس، تركيا والقضية الفلسطينية.. تطلعات شعوب ومحددات ساسة...

<https://www.alzaytouna.net>

١٥- انور عز الدين ذنون، الموقف التركي من القضية الفلسطينية بعد عام ٢٠٠٢،

Tikrit Journal For Political Sciences 6 (3) (6106) 55-81

١٦-المصدر نفسه.

١٧-المصدر نفسه.

١٨-المصدر نفسه.

١٩- علي حسين باكير، تركيا والقضية الفلسطينية في ظل تحولات الربيع العربي

<https://studies.aljazeera.net/ar>

٢٠-المصدر نفسه.

٢١- عوني فارس، المصدر السابق.

الإطماع (الاسرائيلية) في الجنوب اللبناني

أ.م.د. لمياء احمد محسن
كلية التربية - الجامعة المستنصرية

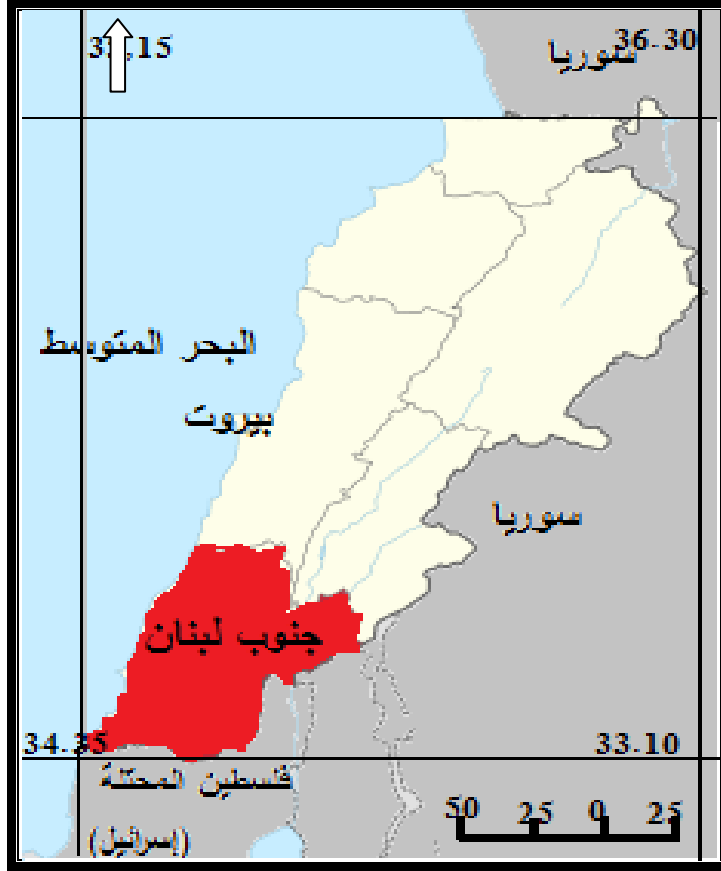
المقدمة :

يعد الجنوب اللبناني عقدة (إسرائيل) لما تلعبه هذه المنطقة من اهمية سوقية بالنسبة لكلا الطرفين وما تحتويه من موارد مائية هامة، فان الكيان الصهيوني (إسرائيل) قد وضع الجنوب اللبناني ونهر الليطاني خاصة من بين اهم اهدافه الجيوستراتيجية، ودراسة هذه المنطقة اصبح ضروريا لفهم طبيعة الفكر التوسعي الصهيوني اتجاه الدولة اللبنانية واعتبار ذلك مشكلة تعاني منها لبنان خاصة والأمة العربية عامة.

يهدف البحث التعرف على الاطماع (الاسرائيلية) في الجنوب اللبناني و ما هي اهم اهدافه التوسعية في المنطقة و الاسباب التي جعلت الجنوب اللبناني ضمن المخطط التوسعي (إسرائيل).

مشكلة البحث مفادها : ما هي اهمية الجنوب اللبناني في الفكر التوسعي (إسرائيل) ؟ وما هي اهم الاهداف التي تطمح (إسرائيل) تحقيقها من احتلال الجنوب اللبناني؟ وكانت الفرضية هي : كانت هناك اهداف توسعية تمثلت في الاستيلاء على الاراضي من خلال التوسع عبر الحدود البرية و الاستيلاء على المياه و كذلك تمركز الاعتبارات الامنية الصهيونية حول الجنوب اللبناني بضم مناطق استراتيجية امنة ، اعتمدت على المنهج الجغرافي الوصفي التحليلي في البحث ، تبلغ مساحة دولة لبنان (١٠٤٥٢) كم^٢ . وتبلغ مساحة الجنوب اللبناني (١٢٢٧) كم^٢ يشمل محافظتي الجنوب والنبطية كما يُلاحظ من خريطة (١) ، حدوده الغربية هي لساناً ساحلياً يمتد من مدينة صيدا شمالاً حتى مدينة الناقورة جنوباً، أما حدوده الشرقية هي سفوح جبل الشيخ على مثلث الحدود بين لبنان وسوريا و فلسطين المحتلة .

خريطة (١) موقع الدراسة الجغرافي



يحتل جنوب لبنان مكانا بارزا في الصراع اللبناني الإسرائيلي ، لتحقيق عدة أهداف هي:

أولاً: التوسع في الحدود:

ان الاحتلال والتوسع في الاراضي العربية يمثل هدفاً استراتيجياً في الفكر الصهيوني من خلال المطالبة بدولة يهودية امتدادها من نهر النيل الى نهر الفرات، فضلاً عن فكرة شعب الله المختار، أي ان التوسع على حساب الاراضي العربية المجاورة شيء موجود ومؤكد قبل تأسيس (دولتهم) في فلسطين وإعلانها عام ١٩٤٨^(١)، مُتمثلاً ذلك عندما اتخذت الحركة الصهيونية في مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ قرارها بجعل فلسطين وطناً لليهود لم يكن القصد جغرافيتها التي سترسم خريطتها (اتفاقية سايكس-بيكو ١٩١٦) بين بريطانيا وفرنسا، بل ان الصهاينة يسعون لإنشاء دولتهم اليهودية الكبرى السابقة الذكر ولكن اسلوب تحقيق هذه التطلعات يختلف من مرحلة الى اخرى في اطار استراتيجية مرتبهة ببقاء الدولة (الاسرائيلية) و استمرارها، وترتكز هذه التوسعات على منطلقات دينية تتمثل في اوصاف "ارض الميعاد" التي يسعون الى تحقيقها التي تضع الجنوب اللبناني ضمن حدود هذه الأرض لذلك فان أفضل الحدود المناسبة هي تلك التي تتوافق والمصالح الاقتصادية ذات الاهمية العظمى ، فهي الاساس المعنوي والسياسي للحصول على ارض جديدة للشعب اليهودي تحت السيادة (الاسرائيلية)^(٢).

وقد اعترض زعماء الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية على (اتفاقية سايكس-بيكو ١٩١٦) لأنها تحرم الوطن القومي اليهودي المزعوم من الحقوق الاستيطانية ومنابع

المياه و خاصة نهر الليطاني و مساقط المائية في جبل هرمون وكما ينبغي ان تشمل في جهة الشرق على سهل الجولان و حوران، وكما هو ثابت تاريخيا عشية ولادة دولة لبنان الكبير عام (١٩٢٠) غياب كل اثر للحدود مع فلسطين، بل كان قضاءي صور و مرجعيون (في اواخر السيطرة العثمانية) يشملان مناطق في الجنوب اللبناني الى جانب مناطق شاسعة في شمال فلسطين يعود معظم ملكيتها الى العائلات الاقطاعية البيروتية و لاسيما سهل الحولة، و حاولت الصهيونية النفاذ الى جنوب لبنان من خلال الالتباس الحدودي دون الاعتبار لحق ملكية اللبنانيين في تلك الاراضي^(٣).

ولقد تم تحديد الحدود في اتفاق ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ بين لبنان و فلسطين و أرفق بخريطة توضيحية من بانياس تتجه الحدود غرباً نحو منطقة المطلة على البحر المتوسط على طول المنطقة المائية الفاصلة بين حوض نهر الاردن و حوض الليطاني، و من ثم على طول المنطقة المائية الفاصلة بين الوديان الصغيرة التي تصب في البحر المتوسط قادمة من الجنوب راس الناقورة، و بين الوديان التي تصب في البحر المتوسط من شمال الناقورة، ثم مرت بسلسلة من التعديلات، اذ كانت الحركة الصهيونية تضغط على الجانب البريطاني من اجل اجراء التعديل، قد ادخلت تغييرات تكاد ان تكون جذرية على الحدود التي تم الاتفاق عليها بين الفرنسيين و الانكليز في عام ١٩٢٠ أهمها انه تم نقل منطقة مساحتها ١٩٢ كم^٢ بجميع من فيها من قرى (حوالي ٢٠ قرية) من اطار الحكم الفرنسي الى اطار الحكم البريطاني و قد شملت هذه المساحة مستوطنات اصبع الجليل و تل وان و مصادر مياه وادي دان^(٤).

وكان طول الحدود بين لبنان و فلسطين التي جرى ترسيمها تبلغ ١٨٧ كم، و قد وضع ٣٩ تلا حجريا ارتفاع الواحد منها متر و نصف المتر تقريبا و قد نصبت تلك التلال الحجرية في اماكن بارزة على طول الخط الحدودي و بشكل يمكن الناظر من رؤية احد التلال روية التلين الاخرين المجاورين له عن اليسار و اليمين، أي ان خط هذه الحدود واضح و يبعد كل تل عن الاخر حوالي كيلو مترين تقريبا باستثناء المناطق التي كانت هناك ضرورة لجعلها اقل ارتفاعاً، و ترتفع الحدود التي تركز في بدايتها على ساحل صخري و المنحدرات القريبة منه، حتى تصل الحدود الى ٣٥٦ م ثم تتجه نحو الشرق، صاعدة هابطة حتى تصل الى ارتفاع ١٠٠ م، ثم ترتفع الى ٨٧٤ م ثم تصل الى ارتفاع ٩٠٢ م في اسفل منطقة حرمون، ثم تنحرف شمال غرب المطلة و النازلة نحو منخفض الأردن ثم عاودت الحركة الصهيونية مطالبتها ببعض المناطق اللبنانية في الجنوب و اعتبرت ان ترسيم الحدود كما حصل سابقاً قد افقدها نهر الليطاني و نهر الاردن الاعلى و جبل الشيخ و حوران، و من هنا بدا سعيها للقيام بالاستيطان في هذه المناطق، الامر الذي عارضته السلطات الفرنسية بتشدد واضح^(٥).

وخلال الحرب العربية الصهيونية عام ١٩٤٨ لم يغيب جنوب لبنان عن دائرة اهتمامات الخطط الاستيطانية حيث اعتبر (بن غوريون)^(**) في مذكراته ان الحلقة الاضعف في التحالف العربي هو لبنان، و يجب اقامة دولة مسيحية فيه يكون نهر الليطاني حدها الجنوبي و سنعدد حلقاً مع هذه الدولة^(٦).

ومرت الحدود اللبنانية - الفلسطينية بتعديل الحدود عام ١٩٤٩ و جاء فيها احتلال المزيد من الاراضي اللبنانية الزراعية الخصبة للقرى الحدودية و نص اتفاق الهدنة الموقع في ٢٣ اذار ١٩٤٩ في مادته الخامسة انه يجب ان يتبع خط الهدنة الدائمة الحدود الدولية بين لبنان و فلسطين و الزم الاتفاق (الاسرائيليين) بالانسحاب من عدة مناطق شمال الحدود كانوا قد احتلوا ابان معارك ١٩٤٨، و قامت لجنة الهدنة اللبنانية - (الاسرائيلية) و بإشراف الامم المتحدة، بعملية مسح جديدة للحدود و تثبت نقاط الحدود و حصلت تباينات و خلافات في تفسير اتفاق بوله - بنو كامب الخاص بالحدود، خاصة شرق منطقة المطلة حتى ضفة نهر

الحاصباني ، وفي المرحلة اللاحقة وبخاصة بعد حرب ١٩٦٧، عقلت (اسرائيل) العمل بلجنة الهدنة وقامت باحتلال جبل الشيخ الذي يعد اهم مصادر المياه الجوفية في الجنوب اللبناني، و باحتلال جنوب لبنان بشكل كامل عام ١٩٧٨ ، سيطرت على (١٤) مزرعة تابعة لبلدة شبعاء اللبنانية على السفوح والهضاب الجنوبية الغربية لجبل الشيخ عام ١٩٨٩ التي تمتد من بلدة المجيدية الى بلدة شبعاء على مساحة ٤٠ كم^٢ وبعدها استولى (الاسرائيليون) على بلدتي بسطره وبشكول اللبنانيين بحيث اصبحت بلده شبعاء محرومة من ٢٠ الف دونم اخرى من الاراضي الزراعية الخصبة المزروعة بالآلاف من اشجار الزيتون والتفاح^(٧).

وقد نظمت (اسرائيل) ترتيباً أمنياً استندت اولاً الى تحسين تحصينات المستعمرات (الاسرائيلية) في منطقة الجليل بعميله سميت (الدرع) شملت بناء ملاجئ وقلاع ومواقع مختلفة وثانياً اعتمدت في جنوب لبنان نظرية امنية اساسها الدفاع عن الحدود (يقصد بتعبير الدفاع (عن) الحدود أي ان القطاعات المدافعة تنظم دفاعتها امام الحدود، أي من الحدود و الى الإمام ، ان اعتماد هذه النظرية يعني ضرورة احتلال جزء من الاراضي اللبنانية، وتم ذلك فعلاً عام ١٩٧٨ فاحتلت شريطاً حدودياً بعمق يتراوح طوله (١٥) كم ثم وسعته بعد غزو عام ١٩٨٢ واستعانت بجيش لبنان الجنوبي الموالي لتكثيف هذا الوجود ، الا ان المقاومة الوطنية اللبنانية بجانب مساندة حزب الله وبقايا المقاومة الفلسطينية مع مساندة الشعب اللبناني تبنت عمليات ناجحة ومؤثرة ضد الجيش (الاسرائيلي) وضد جيش لبنان الجنوبي وبالتالي ارغم الجيش (الاسرائيلي) على الانسحاب من الجنوب اللبناني في ايار عام ٢٠٠٠ لما تكبد من خسائر بشرية ومادية مع انهيار جيش لبنان الجنوبي^(٨).

ومع وصول مندوبي الامم المتحدة للتحقق من الانسحاب (الاسرائيلي) من كامل الاراضي اللبنانية ومطابقة خط الانسحاب مع الحدود الدولية والواقع المعتمد هنا هو خط الحدود الدولية للبنان ، فـ(اسرائيل) لم تحدد حدودها بسبب اطماعها وهي تحاول التلاعب بخط الحدود المرسومة بين لبنان وفلسطين وأكدتها اتفاقية الهدنة الموقعة بين لبنان و(اسرائيل) في ٢٣ اذار ١٩٤٩ على اعتبارها خط الهدنة ، وطبعاً ان وراء هذا التلاعب اغراضاً عسكرية امنية يتعلق بالاستفادة من هذه المناطق قد تستغله (اسرائيل) او ترتبه كغطاء لعودة عسكرية، والمهم هو الوعي باطماع اسرائيل والعمل على احباطها في المرحلة الراهنة^(٩).

و(اسرائيل) تبدو كأنها اخذه بمفهوم ازالة للحدود السياسية هذا المفهوم الايدولوجي الذي يركز على التوسع والاستيلاء على المناطق والأقاليم العامة في اطار اعلان سلطان الدولة وقوتها.

ثانياً : الاستيلاء على المياه

المياه مشكلة (اسرائيل) ادركتها الحركة الصهيونية منذ انطلاقتها نظراً الى المناخ شبه الجاف لفلسطين ، وضعف مواردها المائية ولاسيما ان كل المخططات والمشاريع الصهيونية كانت تلاحظ ضرورة توافر المياه كعنصر اساسي وحيوي لقيام الدولة العبرية المنتظرة، لسببين رئيسيين:

١- من اجل انجاح البرنامج لاستيطان اليهود في فلسطين حيث كانت الحركة الصهيونية تخطط لإسكان ثلاثة ملايين مهاجر يهودي ، والمياه شرط حيوي لإنشاء المستعمرات وتوطين هؤلاء فيها لتسهيل الحياة لهم.

٢- محاولة لإنجاح مخططات التنمية الزراعية الصناعية وإنتاج الطاقة الكهربائية لتحقيق الاكتفاء الذاتي في مرحلة أولى ومن ثم اللجوء الى التصدير في المرحلة الثانية لتدعيم وتوجيه اقتصاد (الدولة الموعودة) ، وتحقيق الهيمنة الاقتصادية على المنطقة^(١٠).

والأهداف الصهيونية كانت مستندة الى دراسة عميقة للجغرافية السياسية للدولة العبرية المنتظرة، اذ ان الحركة الصهيونية كانت تدرك جيداً ان هذه الدولة ستقوم وسط عربي معاد

وان حدودها ستكون مغلقة ومهددة من كافة الاتجاهات وبالتالي لا بد من تهيئة كافة السبل، والاستفادة من كل الموارد المتاحة في فلسطين و مناطق التي تجاورها ، لكي تستطيع ان تقيم الدولة، وتحت كل الظروف ان تضمن لنفسها الحماية الأمنية والاقتصادية الذاتية، وعدم الذوبان في محيطها وهو الخطر الاكبر الذي يرتقب منه الصهيوينيون، وانطلاقاً من هذا المفهوم كانت لمياه ضرورة قصوى في الاستراتيجية الصهيونية التي وجدت في التوراة بعدها الديني، وجند الصهيوينيون الخبراء اليهود والأجانب لإعداد الدراسات والمشاريع لتحقيق السيطرة على الموارد المائية العربية، وركزت معظم المطالب اليهودية والدراسات على المشاريع التي تفصح عن كيفية الاستفادة من مياه نهر اليرموك ونهر الاردن وروافده ومنها الحاصباني^(١١):

ففي نيسان ١٩١٧ بعث حايم وايزمن^(***) مذكرة الى رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج اكد له فيها رفض الحركة الصهيونية تخطيط الحدود الذي اقر في معاهدة (سايكس-بيكو) كأساس لمداورات مؤتمر باريس، لان الحدود المقترحة تحرم اليهود من مصدرين اساسين للمياه هما نهر الليطاني ونهر الأردن لذا نرى ضرورة ضم حدود فلسطين الشمالية الى وادي نهر الليطاني مسافة نحو ٢٥ ميلاً فوق هضبة ومنحدرات جبل الشيخ الغربية والجنوبية بهدف السيطرة على المياه العالية للأردن وللتمكن من الاستفادة منها في الري وتوليد الطاقة الكهربائية^(١٢).

ومن اهم الوثائق التي كشفت بوضوح عن نية المنظمة (الاسرائيلية)، واتخذت طابعاً رسمياً تلك المذكرة التي دفعتها في شباط ١٩١٩ الى المجلس الاعلى لمؤتمر السلام الذي انعقد في باريس وطالبت فيها الدول المشاركة في المؤتمر بالاعتراف بما اسمته المذكرة " الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين "، وحق اليهود في ان يعيدوا انشاء وطن قومي لهم فيها وجاء في المذكرة فيما يتعلق بالحدود للوطن المطالب به بما يأتي:

ان حدود فلسطين يجب ان تتبع الخطوط العامة المبينة فيما يأتي:

تبتدئ الحدود في الشمال بنقطة تقع على ساحل البحر المتوسط بجوار صيدا وتتبع مجاري مياه الجبال اللبنانية حتى جسر القرعون، ومنها الى البتير، متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم، ثم تسير في اتجاه جنوبي متبعة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبل الشيخ، حتى تصل الى جوار بيت الدين، ثم تتجه شرقاً متبعة الضفة الشمالية لنهر حتى تحاذي الخط الحديدي غرباً، وفي الشرق، خط محاذي للخط الحديدي الحجازي وغرباً منه ينتهي في خليج العقبة، والى الجنوب، خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية الى الغرب البحر المتوسط واية تعديلات تفصيلية للحدود يجب ان تتم بواسطة لجنة خاصة يكون لليهود تمثيل فيها، وتضيف المذكرة ان الحدود المبينة فيما تقدم، وهي ما نعتبره جوهرياً للأسس الاقتصادية اللازمة للبلد، يجب ان يكون لفلسطين مخارجها الطبيعية على البحار، وسيطرتها على انهارها ومنابع مياهها، وقد رسمت الحدود على اساس مراعاة الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلد، وهي عوامل لا بد بالضرورة ان تراعيها اللجنة الخاصة عندما تضع الحدود، ان الحياة الاقتصادية لفلسطين شأنها في ذلك شأن أي بلد شبه جاف، تعتمد على ما يتوافر من موارد المياه، لذلك فان من الامور الحيوية الا يكتف بتأمين جميع موارد المياه التي تغذي البلاد حالياً، بل ان يمكن ايضاً خزنها ايضاً والسيطرة على منابعها^(١٣).

وفي تشرين الاول ١٩٤١ اعد بن غوريون وثيقة سرية قال فيها "علينا ان نتذكر انه من اجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء لا بد ان تكون من جهة جيراناً للبنان المسيحي" ، ومن جهة اخرى يجب ان تكون اراضي النقب القاحلة وكذلك مياه نهري الاردن والليطاني في مشمولة

داخل حدودنا، وهذا يوضح مساعي (اسرائيل) لتقسيم لبنان طائفيًا وتكوين دولة مسيحية بجانب سرقة المياه العربية، حتى قبل اعلان قيامها في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨^(١٤). وتعاقبت التصريحات والتهديدات للمطالبة بالمياه العربية في اكثر من مناسبة منها اعلان بن غوريون في خطاب القاہ في ايار مايو ١٩٥٥ بمناسبة ذكرى قيام الدولة ان اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه وعلى نتائج هذه المعركة يتوقف كيان (اسرائيل) وفي ايلول من العام ذاته صرح بان "تنفيذ تحويل المياه العربية يمكن (اسرائيل) من انشاء ٢٥٠ مستوطنة على الحدود العربية"^(١٥).

قامت (اسرائيل) في نهاية الخمسينات من القرن الماضي بتعطيل المشروع الذي أقرته اللجنة الفنية للجامعة العربية لتحويل نهر الحاصباني اللبناني الذي يغذي نهر الليطاني وعده تهديدًا لأمنه، وفي بداية الستينات قام بضرب مشروع سد الوحدة السوري -الاردني وشن عدواناً عام ١٩٦٧ الذي كانت احدى نتائجه إيقاف هذا المشروع^(١٦).

ومع تفاقم ازمة (اسرائيل) المائية مع تلائم الاوضاع اللبنانية خاصة والعربية عامة قام بغزو لبنان في عام ١٩٧٨، بالعملية المعروفة بـ "الليطاني" وهذا يؤكد حقيقة واهداف ارتباط الغزو الصهيوني للجنوب اللبناني بإطماعه المائية بجانب الحملة الدولية الدعائية المصحوبة بالوثائق منذ عام ١٩٧٤ في امريكا الشمالية ودول غرب اوربا التي تقول ان مياه الليطاني تذهب هدرا الى البحر في وقت تعاني (اسرائيل) من قساوة الجفاف والعطش وقد قدمت الحكومة الاسرائيلية وثائق رسمية اكدت فيها ان ٧٠% من مياه الليطاني تذهب هدرا.

وهذا الطابع مميز للسياسة (الاسرائيلية) في تهيئة الاجواء لأي عمل عسكري تقوم به ضد الامة العربية وهكذا جاء الغزو (الاسرائيلي) للجنوب اللبناني عامي (١٩٧٨-١٩٨٢) تحت حجج وذرائع مختلفة في وقت تشير فيه طبيعة انتشار قواته والإعمال الهندسية التي باشر القيام بها بعيد الاحتلال ومد الانابيب الى حقيقة وأهداف هذا الغزو، فقد احتلت (اسرائيل) عام ١٩٨٢ كامل المنطقة الممتدة من بحيرة الفرعون اللبنانية والمنطقة الواقعة بين مرجعيون وادنون، وقد اعترف مسؤولون بان وحدات من سلاح الهندسة (الاسرائيلي) قد اجرت مسحا طوبغرافياً وزلزالياً، يستهدف دراسة امكانية حفر قناة بحر مياه الليطاني الى (اسرائيل) من اقرب نقطة ممكنة^(١٧).

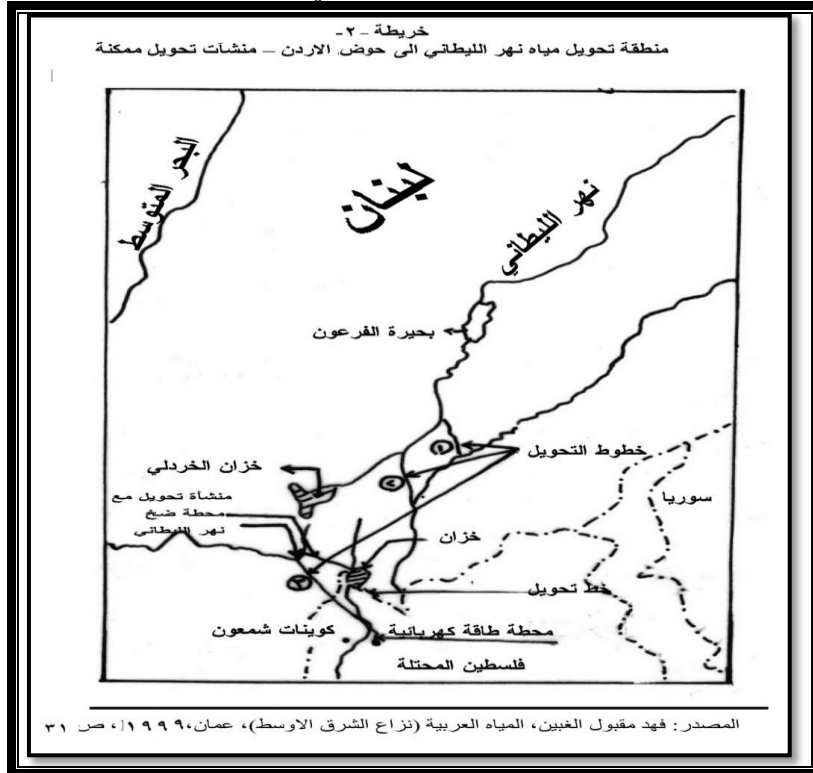
واحتلت (اسرائيل) الجنوب وأجزاء من البقاع الغربي وأنشأت ما أسمته الحزام الأمني وهو في الحقيقة حزام امنها المائي وليس العسكري، ان القوات (الاسرائيلية) بدأت اعمال الحفريات لاستغلال مياه الليطاني، وانها ركبت مضخة على صفة النهر وعلى مسافة (١٠٠٠ م) الى الجنوب من جسر الخردلي، وقد باشرت (اسرائيل) بسرقة مياه الليطاني عام ١٩٧٨ حيث قامت بتركيب مضخات كبيرة كما يلاحظ من خريطة (٢).

ثم مدت انابيب ضخمة بطول ١٠ كم من مجرى الليطاني مجاورا لبلدة سريان وحتى خزانات مشروع الطيبة مع حفرها نفقا من قرية كفر كلا حتى وادي ميماس في مرجعيون لسحب مياه نهر الليطاني الى اسرائيل ويبلغ طول النفق ١٨ كم لربط نهر الليطاني بالاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ على مساحة ٣ كم^(١٨).

ونشرت اسرائيل قواتها الغازية وأقامت خطاً دفاعياً جديداً شمل مواقع عسكرية محصنة قرب سد تحويل صغبر على نهر الاولي ومحطة اخرى تعطي القدرة على التحكم في حاجة بيروت والمدن الساحلية للماء^(١٩).

وسحبت (اسرائيل) مياه نهر الوزاني والحاصباني ايضا بوساطة انابيب ضخمة مدفونة تحت الارض بطول ٢٧ كم الى بحيرة مما يوفر لها ٤٠٠ مليون م^٣ سنويا، كما قامت بربط شبكة مياه ١٢ قرية لبنانية بمشروعاتها بهدف السيطرة والتحكم بكمية المياه ونتيجة لاحتلال

اسرائيل لجنوب لبنان ١٩٨٢ بشكل كامل حتى انها وصلت الى العاصمة اللبنانية بيروت، نتيجة لذلك سيطرت (اسرائيل) على اكثر من ٣٠ كم من مسار نهر الليطاني واستقرت قواتها عند انعطاف النهر غرباً عند أغزر جزء من مجرى النهر والمسماة بنهر القاسمية، وفي عام (١٩٨٤) بدأت اسرائيل بجر مياه الليطاني الى مستعمراتها في الجولان مستخدمة انابيب التابلاين الواقفة عن العمل ، وفي عام ١٩٨٦ قامت (اسرائيل) بتسييج عدة هتكرات قرب نبع نهر الوزاني ، وفي عام ١٩٨٩ مدت انابيب من عيار ٦ بوصة من نبع العين المتفرع عنها نهر الجوز احد روافد الحاصباني، وشهد عام ١٩٩٠ تطورا كبيرا في سرقة مياه لبنان حيث انجزت المرحلة الاخيرة من عملية جر مياه نهر الليطاني الى داخل فلسطين المحتلة^(٢٠).



وقد اكدت الامم المتحدة استيلاء (اسرائيل) على مياه لبنان في تقرير قدم الى الاجتماع الوزاري للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب اسيا "الاسكوا" التابعة للأمم المتحدة الذي انعقد في عمان اواخر شهر ايار في عام ١٩٩٤ اذ كشف التقرير ان (اسرائيل) استخدمت ٢١٥٠ م^٣ من المياه عام ١٩٩١ استولت على معظمها من نهر الاردن ونهر اليرموك ونهر الليطاني ونهر الوزاني ، وفي التقرير ذكر حجم المياه المأخوذة من نهري الليطاني و الوزاني تقدر ٧,٦ مليارات قدم مكعب سنويا وهي كمية تزيد عن ثلث المياه التي تحصل عليها (اسرائيل) من مياه نهر الاردن وبحيرة طبريا^(٢١).

ولكن رغم كل ما سبق، فان الدراسات والأبحاث تؤكد كلها ان لبنان فيه وفرة من المياه تكفي سكانه وزراعته، ولكن ليس لديه فائض يسمح بان تأخذ (اسرائيل) منه اية كمية ، فحسب تصريح وزارة الزراعة اللبنانية ان المساحة المرورية في لبنان لا تتعدى ٤٥ الف هكتار بينما المساحة المطلوبة ربيها تصل الى ٣٦٠ الف هكتار وخاصة بعد تراجع زراعة التبغ في الجنوب، ومنطقتا الجنوب والبقاع وحدهما في حاجة الى مليار م^٣ من المياه سنويا و ٨٠٠ مليون م^٣ للري و ٨٥ مليون م^٣ للشرب.

و تستهلك الصناعة نحو ١١٥ مليون م^٣ من المياه ، تحصل لبنان على المياه تصل كميتها الى ٦٦٠ مليون م^٣ من انهار الدامور والحاصباني والليطاني ، لكن تبقى بحاجة الى ٣٤٠ مليون م^٣ ، إذ هناك مناطق واسعة من لبنان تعاني شحة في المياه ليس للري فقط و انما للشرب ايضا ، ومع ملاحظة ان الانتاج الزراعي يعاني شحة في المياه ولذلك فهو لا يساهم باكثر مع من ١٥% من الدخل القومي وبالتالي لا يكفي لسد حاجات المواطنين الذين يعتمدون على استيراد المواد الزراعية من الخارج ، مع ما ينتج عن ذلك من بطالة اليد العاملة الزراعية ونضوب المداخل القومية، فالواضح ان لبنان بحاجة الى مياهه، ومنطقي ان يأخذ اولاً منها كل ما يحتاجه^(٢٢).

وقد حاول لبنان منذ وقت مبكر استغلال مياه نهر الليطاني والحاصباني لأجل سد ما يحتاجه من مياه عن طريق مشاريع الري وكان اهمها ما قامت به الحكومة اللبنانية لتنمية وصيانة نهر الليطاني عام ١٩٥٤ ويعد ذلك المشروع العربي لاستخدام مياه هذا النهر مع الحاصباني في الزراعة عام ١٩٦٤، فقد كان من المقدر ان يروي ٥٠٠,٠٠٠ هكتار وكانت من ضمن المشروع اقامة سد مدفون لتخزين مياه نهر الحاصباني ن وأضيفت تعديلات على المشروع لبناء سدود اخرى مثل سد الخردلي على الليطاني، وسد البيره على الاولي ولكن قيام حرب ١٩٦٧ والنكسة مع احتلال (اسرائيل) لأراضي العربية ادت الى توقف المشروع اعد مشروع جديد للمياه اللبنانية في الجنوب في بداية السبعينات ولكن الحرب الاهلية اندلعت في منتصف ذلك العقد فتعطل أيضا ، وفي بداية الثمانينات تحركت (اسرائيل) واحتلت جنوب لبنان و فرضت سيطرتها على مياه نهر الليطاني وحوالتها الى (اسرائيل) كما بينا سابقا^(٢٣).

والانسحاب (الاسرائيلي) من جنوب لبنان وما يرتبط به من ترتيبات اقتصادية لاحقة يرتبط معها تناول موضوع الموارد المائية بين الطرفين لاسيما ان حاجة (اسرائيل) من المياه قد بلغت عام ٢٠٠٠ نحو (٢١٥٠) مليون م^٣ وزادت الى ٣٠٠٠ مليون م^٣ عام ٢٠٠٢ هذا ما جعل (اسرائيل) تقوم بالاعتداءات على الاراضي اللبنانية عبر الحدود بشكل مستمر بشن غارات جوية يومية لأجل تعطيل مشروع جر مياه الوزاني من قبل مشروع مشترك بين لبنان وسوريا^(٢٤) مع ان لا يوجد هناك حق المعارضة (الاسرائيلية) لاستقلال مياه النهر بوصفها مياهاً عربية في ارض عربية من قبل دولة عربية.

ثالثاً ضم مناطق استراتيجية امنة:

ان تمرکز الاعتبارات الامنية الصهيونية حول الجنوب اللبناني، لكون منطقة الجنوب تقع على مسافة قريبة جداً من مراكز الكثافة السكانية والانتاج الصناعي (لإسرائيل) بشكل لا يتوفر في غيرها في مناطق الحدود بين البلدان العربية و (اسرائيل) ومثلاً على ذلك ان الارض التي ضمتها (اسرائيل) في منطقة العديسة في لبنان تجدها مهمة من حيث الموقع الاستراتيجي الدفاعي، كما يلاحظ من خريطة (٢) فهي تشرف على المستوطنة اليهودية (كريات شمعون) التي تعد مدينة مهمة بالنسبة لشبكة المستعمرات التي تحيط بها، فهي تؤمن الخدمات الصحية والاجتماعية والاقتصادي ، وكانت (اسرائيل) قد قامت باحتلال ١٨٠٠ دونم من ارض هذه المنطقة "العديسة"^(٢٥).

وهناك محاور طولية مهمة تسهل الحركة بين لبنان وفلسطين (وهي تبدأ من الحدود اللبنانية - الفلسطينية) وهي مهمة من الناحية العسكرية وتسهل انتقال الفلسطينيين المقاتلين الى شمال اسرائيل لضرب المستوطنات (الاسرائيلية) كما يلاحظ من خريطة (٣).
اهم المحاور العرضية في قطاع العمليات العسكرية هي :

اولاً: محور (راس الناقورة - صور - صيدا - بيروت) وهو محور يحاذي الساحل تقل فيه المرتفعات و تنبسط فيه التضاريس، وتتضح فيه نسبة سكانية عالية.
ثانياً: محور بنت جبيل - النبطية - جزين - الباروك - عيناتا - وهو محور يصعد على مرتفعات الغربية ويكون باتجاه انحدارها، وتكثر هذه الغابات وهو ما يسهل بالتالي عملية المناورة والاختباء.

ثالثاً: محور الخالصة - مرجعيون - القرعون

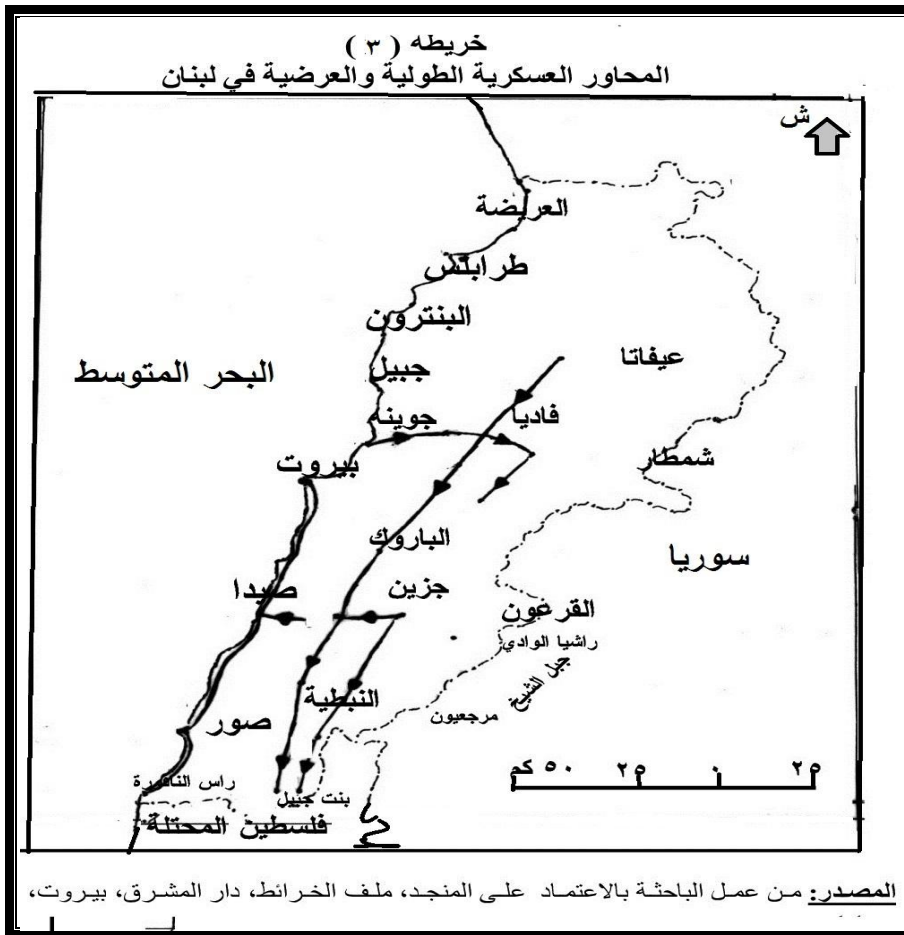
رابعاً: محور حاصبيا - راشيا الوادي - مجدل عنجر وهذا المحور و الذي يسبقه، يمتدان في سهل البقاع وعلى السفوح المتقابلة للسلسلتين الشرقية والغربية.

اما اهم المحاور العرضية في قطاع العمليات العسكرية وهي ثلاثة:

١. محور: شتورا - ظهر البيدر - بيروت

٢. محور: القرعون - جزين - صيدا

٣. محور: جونية - فاريا - شمسطار - رحلة



ويعد اتجاه العمليات العسكرية اللبناني جزءا مهما من مسرح عمليات الجبهة الشرقية والذي يضم اتجاه العمليات العسكرية لجبهة الجولان والأردن ، مع الاتجاه العمليات العسكرية البحرية، وهذه الاتجاهات الاربعة مهمة سواء بالنسبة للبنان او بالنسبة (لإسرائيل) وبهذه الاتجاهات يمكن التأثير بشكل كبير في سير الاعمال القتالية الجارية وبخاصة حركات

الالتفاف والتطويق ونظام السيطرة والإنذار ويمكن لاتجاه العمليات العسكرية اللبنانية ان يتخذ سلسلة مرتفعات جبال الشيخ قاعدة له^(٢٦).

اذ يعد الاتجاه العربي الوحيد الذي يحاور الاتجاه البحري المطل على سواحل البحر المتوسط والأقرب الى القواعد البحرية (الاسرائيلية) وبه يمكن رصد النشاط البحري (لإسرائيل) وإعطاء الإنذار المبكر عنه ، وهناك في هذا الاتجاه تضاريس جبلية وعرة يصعب التحرك على ارضها الا على محاور الطرق المحددة كما ان قسما من مغطى بالأشجار والغابات يساعد على العمليات الدفاعية ويفصل جدوى الحركة العالية التي تتميز بها قوات المدرعة المعادية كما يحدد في الوقت نفسه الى درجة كبيرة من تأثير ضربات الطيران (الاسرائيلي)^(٢٧)

وكما اوضحنا ان طول الحدود اللبنانية - الفلسطينية تبلغ ٧٩ كم ويعني هذا ان الطائرات (الاسرائيلية) تستطيع ان تبلغ اهدافها في الجنوب اللبناني في وقت يستغرق ٣ - ٥ دقائق كي تستطيع اجهزة الرادار المنصوبة في قمة جبل الشيخ ان تغطي القطاع على الارتفاعات الجوية كافر وترصد حركة الاليات حتى مدى ٤٠ كم^(٢٨).

والواقع ان الثورة الفلسطينية كانت قد دخلت لبنان منذ عام ١٩٦٧ وتمكنت من تنظيم صفوفها وتحولت الى شكلها العلني عام ١٩٦٩ فقد عقدت اتفاقية القاهرة^(****) التي نظمت عمل الثورة على الساحة اللبنانية، كان التواجد العسكري الرئيسي لقوات المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان^(٩٣) في التماس مع (اسرائيل) وسميت تلك المنطقة في تلك المرحلة (ارض فتح) ومنها انطلقت عملياتها ضد شمال (اسرائيل) والمستعمرات الكائنة في منطقة الجليل سواء بعمليات التسلسل او بضرب الصواريخ وتعدت ذلك الى عمليات في العمق وقد التحمت المقاومة الفلسطينية بالحركة الوطنية اللبنانية المساندة لها لتشكيل قاعدة قوية للعمل في ظل الاستراتيجية المعلنة انذاك وهي "تحرير فلسطين" والتي كانت نتيجتها رد فعل (اسرائيل) هو شن حرب شرسة ضد هذا الوجود وبكافة الاساليب لمنع هذه العمليات وكان ذلك بداية التفكير والعمل على احتلال شريط من الجنوب اللبناني يؤمن الحماية للشمال وبأعمق تبعد خطر التأثير في مستعمرات (الاسرائيلية) في منطقة الجليل^(٢٩).

الخاتمة

توصل البحث الى عدة استنتاجات كانت اهمها:

• لبنان دولة عربية من ضمن دول المشرق العربي ، وهي مركز اتصال بين الغرب والشرق ولها منفذ بحري يتمثل بالساحل المطل على البحر المتوسط يسهل لها تجارة الترانزيت، ولكن من محددات استراتيجية الموقع الجغرافي للبنان هي مجاورته لدولة (اسرائيل) بحدود تبلغ ٧٩ كم من الجنوب التي تشهد توتراً سياحياً وعسكرياً يهدد الامن اللبناني.

• موقع لبنان الجغرافي شديد الارتباط بأهميته الإستراتيجية هذا ما جعله ميداناً فسيحاً لصراعات دولية لنشر المبادئ والممارسات سواء كانت سياسية او اقتصادية كما غنى لبنان بالموارد المائية، اثار الاطماع (الاسرائيلية) اتجاهه، فأخذت (اسرائيل) بالعمليات العسكرية لتوسيع الحدود للهيمنة على المياه والأراضي اللبنانية في الجنوب.

• حاجة (اسرائيل) من المياه قد بلغت عام ٢٠٠٠ نحو (٢١٥٠) مليون م^٣ وزادت الى ٣٠٠٠ مليون م^٣ عام ٢٠٠٢ هذا ما جعل (اسرائيل) تقوم بالاعتداءات على الاراضي اللبنانية عبر الحدود بشكل مستمر بشن غارات جوية يومية لأجل تعطيل مشروع جر مياه الزواني من قبل مشروع مشترك بين لبنان وسوريا

- تركز الاعتبارات الامنية الصهيونية حول الجنوب اللبناني، لكون منطقة الجنوب تقع على مسافة قريبة جداً من مراكز الكثافة السكانية والإنتاج الصناعي (إسرائيل) بشكل لا يتوفر في غيرها في مناطق الحدود بين البلدان العربية و (اسرائيل).
- يعد اتجاه العمليات العسكرية اللبنانية جزءاً مهماً من مسرح عمليات الجبهة الشرقية والذي يضم اتجاه العمليات العسكرية لجبهة الجولان والأردن مع الاتجاه العمليات العسكرية البحرية، هناك محاور برية طولية و عرضية مهمة تسهل الحركة بين لبنان وفلسطين (وهي تبدأ من الحدود اللبنانية-الفلسطينية) وهي مهمة من الناحية العسكرية وتسهل انتقال الفلسطينيين المقاتلين الى شمال اسرائيل لضرب المستوطنات (الاسرائيلية).

الهوامش

١. مايكل جانس، الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبنان، ترجمة محمد برهوم، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٣، ص١٩٥.
٢. _____، جنوب لبنان، مأساة وصمود" دراسة وثائقية"، بيروت، ١٩٨١، ص٢٩.
٣. و راجع: نديم عيسى، خطر الفكر الاستيطاني الصهيوني على دول الطوق العربية، مجلة سياسية، عدد ١، تموز ١٩٩١، ص٤٩-٦٣.
٤. راجع سلام راسي، لثلاث تضييع، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٩٧، ص٦١.
٥. غسان ابو خليل، الحدود اللبنانية الجنوبية في دائرة الخطر الصهيوني، مجلة فلسطين الثورة، العدد ٦٨٩، كانون الاول/١٩٩٧، ص٢٥.
٦. صحيفة الانوار بتاريخ ٢٢/٤/٢٠٠٠.
٧. (** دافيد بن غوريون، المؤسسين لحزب العمل الإسرائيلي والذي تتبأ رئاسة الوزراء (الإسرائيلية) منذ تأسيس (إسرائيل) بين عامي (١٩٤٨-١٩٦٣)
8. www.moqawama.org/arabic/is-backg/Janob.htm.
٩. غسان ابو خليل، مصدر سابق، ص٢٧.
١٠. عبد المنعم السيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص١٠٤.
١١. عادل محمود، مظاهر الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان، الواقع-الابعد، محطات استراتيجية، العدد ٣١، ٢٠٠٠، ص٦-٧.
١٢. كلود جوليان، الامبراطورية الامريكية، بيروت، ١٩٧٥، ص٥٧.
13. www.maqawana.org/arabic/feautes/matmeh.htm.
١٤. (***) حمائم وايزمن أول رئيس لدولة (اسرائيل) للمدة (١٩٤٩-١٩٥٢)
١٥. مهدي العبيدي، ازمة المياه في المنطقة العربية، حويله العلوم السياسية، العدد(١)، ايلول/٢٠٠١، ص٩٣.

16. www.moqawana.org/arabic/resbackh/janob.htm.

١٧. لمزيد من تفاصيل راجع
١٨. ١. عطا الله سليمان الحديثي، الاطماع الصهيونية بالمياه العربية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٦٣.
١٩. ٢. عمر كامل حسن، النظام الشرق اوسطي وتأثيره على الامن المائي العربي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الانبار، ٢٠٠٢، ص ١٨٠-٢٠٠.
٤. حسين عليوي، مشكلة المياه في الوطن العربي واثرها على الأمن القومي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص ٥٩-٦٢.
٢٠. احمد ابراهيم العلي، الاطماع الصهيونية في المياه العربية، دار الصادر، بيروت، ١٩٩٣، ص ٨٩.
٢١. عادل محمود مظهر، المياه والحرب، لبنان والتهديدات الصهيونية، مجلة الراصد الدولي، العدد ٥٨، ٢٠٠٢، ص ١.
٢٢. عطا الله سليمان الحديثي، مصدر سابق، ص ١٩٣-١٩٤.
٢٣. بشير البرعوثي، الاطماع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول المجاورة، بيروت، ص ٢٢٨.
٢٤. فهد مقبول الفيين، حروب الماء العربية، (نزاع الشرق الاوسط)، عمان، ١٩٩١، ص ٣٠-٣١.
٢٥. المصدر نفسه، ص ٣١-٣٢.
٢٦. ولمزيد من التفاصيل راجع صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٠/٧/١٩٩٠، ص ٤.
27. www.moqawana.org/arabic/feauters/matamech.htm.
٢٨. بشير البرعوثي، مصدر سابق، ص ٢٢١.
٢٩. لمزيد من التفاصيل راجع:
٣٠. رغيد الصلح، هل زال العطش الاسرائيلي لمياه اللباني، صحيفة الحياة، ١١/٣/١٩٩٦.
31. (١) www.Thisissyria.net.
٣٢. لمزيد من التفاصيل راجع صحيفة اخبار الشرق ١٩/تشرين ايلول/٢٠٠٢.
٣٣. عادل اسماعيل، السياسة الدولية في الشرق الأوسط بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٨.
٣٤. غازي بشير، ازمة النظام السياسي اللبناني من الحرب الاهلية (١٩٧٥-١٩٧٦)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٧-٢٨.
٣٥. المصدر السابق، ص ٢٩.
٣٦. غازي بشير، مصدر سابق، ص ٣٠.
٣٧. **** (راجع الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩، نص اتفاقية القاهرة، المعقودة بين السلطات اللبنانية والمنظمات الفلسطينية، ص ٤٥٦.
٣٨. عادل محمود مظهر، مصدر سابق، ص ١.
٣٩. دراسات استراتيجية في الجمهورية اللبنانية، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، ٢٠٠٠، ص ٩.

موقف ايران من الحرب الاسرائيلية – اللبنانية عام ٢٠٠٦

ا.م.د. سوّدد كاظم مهدي
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة :

يعد موضوع سياسة ايران الخارجية تجاه الحرب اللبنانية – الاسرائيلية عام ٢٠٠٦ من المواضيع التي استحوذت على اهتمام دولي واسع المدى بحكم حجم التصريحات والدراسات التي اصدرتها دوائر صنع القرار التي جعلت من الدور الايراني أحد أهداف الحرب الاسرائيلية على حزب الله ، لما لأيران من دور في لبنان وفي تشكيل خريطة التحالفات الاقليمية في ظل مرحلة تستهدف فيها الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل منطقة المشرق العربي بمشاريع جديدة منها ما يسمى بالشرق الاوسط الجديد ، وهو طرح يروج له من اجل خلق شرق عربي خانع لاسرائيل تنتفي فيه روح المقاومة سواء كانت في الدول او في الشعوب ، وان يعاد تفكيك وحداته القومية وتركيبها في ظل فوضى منضبطة نوعا ما وعلى اسس قومية ودينية .

في مقابل ذلك تقدم ايران طرح اقليمي يرتكز على جوانب البعد الجغرافي والمذهبي لتحقيق سياسة تقوم على التمدد من خلال رؤية مشرق عربي يخلو من الاديولوجية الاسرائيلية والنفوذ الامريكي كمرحلة اولى تسبق زوال دولة اسرائيل من المنطقة العربية والاسلامية وهو ما تشير اليه ادبيات الثورة الايرانية ، وهو ما سبب ارتباكا في موقف ايران من الحرب اللبنانية – الاسرائيلية عام ٢٠٠٦ ، على الرغم من العلاقة الوثيقة المتعددة الابعاد الروحية والمادية والعسكرية مع حزب الله التي تجمعهما جذور تاريخية تعود الى ما يقرب من ربع قرن .

اتخذ قرار الحرب على لبنان في اسرائيل قبل اسابيع من واقعة اختطاف الجنديين الإسرائيليين من قبل حزب الله ، وكان الهدف من اعلان الحرب هو توجيه ضربة للمنشآت النووية الايرانية وقوى المقاومة في فلسطين ولبنان ، وان فكرة استعانة الولايات المتحدة باسرائيل تنبعث ليس لأنها الحليف الأكبر لها وانما لتصفية حساباتها مع حزب الله وايران ، وقد تلقى المسؤولون الاسرائيليون العرض الامريكي بكل ترحيب على اعتبارها ستكون " حرباً رخيصاً بمنافع كثيرة " .

أولاً: الخلفية التاريخية للعلاقات الإيرانية - اللبنانية .

عرفت العلاقات الإيرانية - اللبنانية عبر عقود مختلفة من القرن العشرين بمسار متعرج منذ بداية تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام ١٩٤٢ ، عندما قامت حكومة محمد رضا بهلوي شاه إيران (١٩٣٤ - ١٩٧٩) بتأسيس قنصلية إيرانية في بيروت (١) ، حيث تأثر هذا المسار بطبيعة الأحداث السياسية التي جرت في البلدين من تحولات مختلفة انعكس على المحيط الإقليمي بشكل مباشر ، وكان التأثير الأكثر أهمية في مسار تلك العلاقة المشتركة لم يكن ماجرى في تحولات أو تطورات داخلية في إيران وانعكاسه على لبنان وإنما كان ماجرى في لبنان من أحداث مختلفة في الدرجة الأولى الذي حدد طبيعة العلاقة في أحيان كثيرة ، على الرغم من التباين الكبير بين البلدين في الحجم والموقع والتوجهات الإقليمية والسياسية .

لم تستمر علاقة البلدين في المرحلة الأولى التي امتدت ما بين عامي (١٩٤٢-١٩٦٩) على حالة من الصداقة والتعاون ، فقد واجهتهما أزمة سياسية دفعت حكومة الشاه الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع لبنان عام ١٩٦٩ ، وكان السبب هو رفض السلطة اللبنانية طلب الشاه تسليم الجنرال تيمور بختيار أول رئيس للسافاك الذي عزل من منصبه قبل سنوات من ذلك واعتقل في بيروت عام ١٩٦٨ ، ولكن عادت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عندما توجه كميل شمعون الرئيس اللبناني (١٩٥٢-١٩٥٨) الى إيران في عام ١٩٧١ بهدف إعادة العلاقات المشتركة بين الطرفين ، وقد اثمرت تلك الزيارة الغاء حكومة طهران كل القيود المفروضة على لبنان واعادت سفيرها الى بيروت (٢) .

شهد الدور الإيراني تطوراً ملحوظاً في منطقة المشرق العربي عند قيام الثورة الإيرانية في شباط ١٩٧٩ وتأسيس جمهورية إيران الإسلامية في ظل نظرية الفقيه ، كان مبدأ تصدير النموذج الثوري الى الدول المجاورة الذي نص عليه الدستور هو احد المحاور الرئيسية في السياسة الخارجية الجديدة تجاه دول المشرق العربي ، وقد وجدت غايتها في الطائفة الشيعية في الدول العربية، بيد أن حدثين ستراتييين مهمين غيران طبيعة العلاقات اللبنانية - الإيرانية الرسمية في عقد الثمانينات من القرن العشرين وهما:

١ - الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨) التي جعلت من أولويات إيران هي الصمود والدفاع عن النفس ، فتراجعت بسبب هذه الحرب علاقات إيران مع معظم الدول العربية، لوقوفها الى جانب العراق ودعمها له بوسائل عديدة وكان من الطبيعي ان لا تهتم إيران كثيراً بتطوير علاقاتها الرسمية مع لبنان التي كانت في هذه المرحلة التاريخية لا تزال تعيش الحرب الأهلية (١٩٧٥ - ١٩٨٩) (٣) .

٢ - الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ . اثر هذا الحدث على تركيز العلاقات الإيرانية مع القوى غير الرسمية اللبنانية وعلى الاطراف المناهضة للاحتلال الاسرائيلي، بعد صدور فتوى من قبل المرشد الديني للثورة الإسلامية في إيران بتشكيل مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الاسرائيلي بدءاً من تاريخ الغزو الاسرائيلي لبيروت ، كما شهدت العلاقات الرسمية بين الطرفين تراجعاً مرة اخرى ، حيث بادرت الحكومة اللبنانية هذه المرة بقطع العلاقات مع إيران بسبب ما اعتبرته "تدخلاً في الشأن اللبناني" اثر رفض الادارة الإيرانية اتفاق ١٧ ايار ١٩٨٣ الذي وقعته الحكومة اللبنانية مع اسرائيل بعد الاجتياح الاسرائيلي لبيروت، وتتنديد الحكومة الإيرانية بالاتفاق ودعوته للمقاومة المسلحة (٤) ، التي اعلنت إيران

دعمها وتأسيسها لها منذ الاجتياح الاسرائيلي للبنان ، وهو ما كان له الاثر الكبير في المواجهة مع اسرائيل ومن ثم على العلاقات اللبنانية – الايرانية وعلى الساحة الداخلية في لبنان ايضا . حيث كان لهذا الحدث الاستراتيجي السبب المباشر في ظهور المقاومة المسلحة وفي ولادة تنظيم حزب الله الذي سددمه ايران في مختلف الاصعدة منذ التأسيس.

تعددت الدوافع الداخلية والخارجية الايرانية للتوجه نحو لبنان بعد عام ١٩٩١، ويعود هذا الاهتمام الايراني للأسباب الآتية:

١ - الدوافع الداخلية.
أ - تغير طبيعة نظام الحكم في ايران بعد وفاة خميني المرشد الديني (١٩٧٩-١٩٨٩) والاطاحة بالجناح الراديكالي الثوري لصالح الجناح الاصلاحى^(٥).
ب - الثورة الايرانية الاسلامية واهدافها الرامية نحو توحيد ومساندة الجماعات الشيعية في المشرق العربي.

٢ - دوافع خارجية وتتمثل بجملة التحولات الجذرية الى حدثت على الساحة الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وانعكاسها على الواقع الاقليمي في تلك المرحلة التاريخية الممتدة ما بين عامي ١٩٩٢ - ٢٠٠٠ التي شهدت استراتيجيات ايرانية جديدة في منطقة المشرق العربي وقيام الحملة العسكرية الدولية على العراق بعد غزو الكويت عام ١٩٩٠ وما تلاها من عقوبات وحصار^(٦).

استفادت ايران في عهد الرئيس محمد خاتمي بعد تحررها من تلك الضغوط الداخلية والخارجية في انتهاز استراتيجيات ايرانية جديدة تقوم على تشكيل شراكة ايرانية - سورية محمية بغطاء عربي - دولي، وكانت لبنان نموذجاً لتلك الاستراتيجية التي تجسدت بعد اتفاقية الطائف عام ١٩٩٠ التي انتهت بموجبها الحرب الاهلية اللبنانية (١٩٧٥ - ١٩٨٩) ورسمت بموجبها ابرز خصائص النظام السياسي في المرحلة المقبلة . من جانب اخر شهدت هذه المرحلة حالة احباط وتراجع تجاه المعادلة السياسية اللبنانية والوضع عموماً الذي بات يسمى بالوصاية السورية نسبة للاتفاق الامريكي - السعودي - السوري الذي نص على تسليم سوريه شؤون لبنان مكافأة لها على الموقف من العراق وتشجيعاً لها على الانخراط في المحور العربي الحليف لأمريكا^(٧).

استمرت الشراكة الايرانية - العربية - الغربية خلال مرحلة عهد الرئيس بل كلنتون (١٩٩٢ - ١٩٩٦) التي تعززت فيها قدرات ايران العسكرية في لبنان من خلال حزب الله نهج سياسة البناء في جنوب لبنان والضاحية الجنوبية من بيروت من حوزات ومستشفيات ومدارس وما الى ذلك وقد ادى هذا العمل تحول حزب الله الى اكبر واقوى تنظيم سياسي - عسكري - اجتماعي في لبنان والمنطقة العربية تابع لايران^(٨).

استأنفت مرحلة جديدة من المعادلات السياسية الدولية والاقليمية في منطقة المشرق العربي عموماً بعد وصول المحافظين الجدد (الييمين المتطرف) بقيادة جورج بوش (الابن) الى الادارة الامريكية (٢٠٠٠-٢٠٠٤ / ٢٠٠٤-٢٠٠٨) واليمين الاسرائيلي بقيادة اريئيل شارون في بداية عام ٢٠٠١ الى السلطة في اسرائيل ، وبدء الاعلان عن الحرب على الارهاب بعد تفجير تنظيم القاعدة برج التجارة العالمي في امريكا في ١١ ايلول عام ٢٠٠١ ، اذ منحت تلك الاحداث الادارة الامريكية فرصة ذهبية لوضع مشروعها عن (القرن الامريكي الجديد) ، كما اطلق عليه بعض الباحثين الامريكيين موضع التنفيذ في انفراد الهيمنة الامريكية على

العالم ، كما منحت تلك الاحداث الفرصة امام ارئيل شارون رئيس الوزراء (٢٠٠١-٢٠٠٦) التي كانت اسرائيل تنتظرها للانقضاض على المقاومة الفلسطينية المسلحة ومحاولة تصفيتيها عسكريا بعد اندلاع انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ ، لاجل الادعاء بعدم وجود شريك فلسطيني في عملية السلام ايضا ، هذا الى جانب محاربة المنظمات التي كانت تحمل السلاح ضد اسرائيل بما فيها حزب الله باعتباره تنظيم ارهابي لا يختلف عن تنظيم القاعدة^(٩) .
اطاحت تلك الاحداث بالتحالف العربي - الغربي الذي كان مظلة للمقاومة في لبنان وفلسطين في وقت تزامن مع قيادة المملكة العربية السعودية حملة عربية ضد النظام العراقي (٢٠٠١ - ٢٠٠٣) اسفر عن احتلال الولايات المتحدة الامريكية العراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣ ، الامر الذي **حسب** اجمالا في مصلحة كلا من ايران وحزب الله في تلك المرحلة ، عندما استمرت سياسة المهادنة مع امريكا والغرب، في وقت كان الخلاف السعودي - السوري يتفاقم معه الخلاف الفرنسي - السوري الامر الذي سهل عملية انضمام رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني (٢٠٠٠-٢٠٠٤) الى المحور السعودي - الفرنسي^(١٠) .
لتبدأ مرحلة جديدة من **الاستقطابات** والتجاذبات السياسية تترامن مع الانتخابات الرئاسية في ايران ٢٠٠٥ التي جاءت بالسيد محمود احمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣) الذي تقاطعت سياسته مع السياق الاصلاحى للمرشد الديني علي خامنئي (٢٠٠٥-الآن) ومع مرحلة المهادنة مع العرب وامريكا لتدخل السياسة الايرانية في لبنان منعطفاً جديداً في حرب تموز ٢٠٠٦ الى كانت مواجهة واختباراً بين امريكا وايران في لبنان^(١١) .
ثانيا : علاقة حزب الله بايران .

سبق الوجود التنظيمي لحزب الله في لبنان الذي تأسس عام ١٩٨٢ وجود فكري وعقائدي قبل هذا التاريخ ، الذي تعود جذوره الفكرية الى ما يعرف ب"الصحوۃ الإسلامية الشيعية" التي ظهرت في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين ، وشهدت نشاطا علميا شيعيا ومرجعيات دينية في جنوب لبنان كمرجعية الشيخ حسين فضل الله. جاء ظهور حزب الله ككيان سياسي وعسكري واجتماعي يتمتع بقاعدة شعبية كبيرة في لبنان في ظل ظروف حرب اهلية شهدتها الساحة اللبنانية في الاعوام ما بين ١٩٧٥-١٩٨٩ والغزو الاسرائيلي لبيروت عام ١٩٨٢ ، ومعطيات خارجية اقليمية ادت دورا بارزا في ظهور حزب الله بعد قيام الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين^(١٢) .
يحدد معظم الباحثين والمختصين في الشأن الايراني واللبناني " ان حزب الله ماكان ان يولد لولا الرعاية الإيرانية " خاصة وان الاساس العقائدي والتنظيمي للحزب يقوم على نظريه ولاية الفقيه هذا ما اكده السيد ابراهيم امين السيد الامين العام الاول للحزب آنذاك في هذا الصدد قائلا :

" نحن نستمد عمليه صنع القرار السياسي لدينا الا من الفقيه ،
والفقيه لا تعرفها الجغرافيا ان كان يعرفه الشرع الاسلامي
.. فنحن في لبنان لا نعتبر منفصلين عن الثورة في ايران... " ^(١٣)
وفي شروحات اخرى عن الجانب ذاته نقرا :

" لا علاقه لمواطن بمرجعيتيه،... كوالي على
المسلمين كان يحدد تكليف السياسة العامة للمسلمين في
البلدان المختلفة هذا والارتباط بالولاية تكليف والتزام يشمل
جميع المكلفين. " ^(١٤)

ما سبق ان حقيقه تاريخيه تؤكد ان حزب الله في لبنان يمثل الذراع العسكري لإيران في المشرق العربي، دون ان ينفي ذلك هويته اللبنانية في بلدان تعد الولاءات الأجنبية مع مختلف

المكونات والطوائف اللبنانية المختلفة شيء متعارف عليه منذ القرن السابع عشر الميلادي كصوره من صور الدعم لها ، فطائفة الموارنة تدعمها كلا من فرنسا والفايكان والدول الكاثوليكية ، اما الدروز والبروتستانت فكان إلى جانبهم بريطانيا في حين يقف الارثوذكس الى جانبهم روسيا ، أما الدول العربية فتدعمهم السنة .^(١٥)
على الرغم من العلاقات الوثيقة التي تربط إيران بحزب الله وهي علاقة متعددة الجوانب إلا أن تفاصيل تلك العلاقة تدور في دائرة التكهات حيث تشير بعض المصادر إلى أن الإدارة الإيرانية تدعم حزب الله بما لا يقل عن (١٠٠) مليون دولار سنويا ، وقامت بتزويده ما بين (١١-١٣) الف صاروخ من طرز مختلفة وإبعاد متعددة وان كان أكثرها قصير ومتوسط المدى ، كما تدعم تلك المصادر تفسير ان جنود الحرس الثوري الإيراني تتقاتل في جنوب لبنان .^(١٦)

ان الهدف السياسي المعلن للسياسة الإيرانية تجاه حزب الله خاصة ولبنان عامه هو احتفاظ حزب الله بقوته ونفوذه من خلال وزنه في الحياه السياسية اللبنانية والعمل على حفظ التوازن مع اسرائيل في حال تفكير توجيه ضربه أمريكية أو إسرائيلية لإيران ، حينذاك ستكون وجهه جنوب لبنان هي المرشحات للحرب والرد العنيف على اسرائيل .^(١٧)
كان الاجتياح الاسرائيلي لبيروت عام ١٩٨٢ له تأثيراً مباشراً على لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية من حيث ظهور تنظيم سياسي عسكري وهو حزب الله كرأس حربة في مواجهة المشروع الاسرائيلي، الذي شكلت مقاومته تحدياً أخطر من التحدي الذي شكلته منظمة التحرير الفلسطينية لإسرائيل في تحقيق اهدافها التوسعية او الامنية لحماية الحدود الشمالية لكيانها، علما ان اسرائيل في عملياتها العسكرية ضد لبنان كعملية تصفيه الحساب في عام ١٩٩٣ وعملية عناقيد الغضب عام ١٩٩٦ قامت بالعدوان من اجل تفكيك ابنية المقاومة والعمل على تحجيم دور حزب الله ونزع سلاحه وتقيد نشاطه داخل لبنان. هذا ما اكده يهود باراك وزير الخارجية الاسرائيلي (٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٥-١٨ حزيران ١٩٩٦) بعد عملية عناقيد الغضب بهذا الصدد قائلاً:

" أن العدوان السياسي للعملية هو الحكومة اللبنانية، والعدوان العسكري لها هو حزب الله ^(١٨). هذا بالإضافة الى العمل على تأمين المستعمرات الشمالية لإسرائيل والضغط على الادارتين السورية واللبنانية حول تعاملها مع حزب الله " ^(١٩).

ثالثاً: الحرب الاسرائيلية - اللبنانية عام ٢٠٠٦

مرت الحرب عمليا بمرحلتين رئيسيتين حددت بموجبها تطور احداث الحرب التي اندلعت في ١٢ تموز ٢٠٠٦ وتطورها على خلفية مواصلة حزب الله الحرب والاصرار على الاستمرار في اتجاه حرب اسرائيل والصمود في الحرب في الوقت ذاته .
المرحلة الاولى .استمرت (٨) ايام ركز الجيش الاسرائيلي على تحديد القدرات الاستراتيجية لحزب الله من خلال الهجوم على صواريخ بعيدة المدى . وتدمير قيادات حزب الله في الضاحية الجنوبية في بيروت مع منع وصول المساعدة الى حزب الله من سوريا وايران .
المرحلة الثانية . تعميق الضغط الاسرائيلي على حزب الله بهدف تدمير البنية التحتية للحزب في المنطقة .^(٢٠)

تحدد المشكلة الاسرائيلية من وجهة نظر اسرائيلية ان مسألة تعاضم نفوذ وقوة حزب الله كتنظيم عسكري قوي في قدرته على مهاجمة اسرائيل في الجهة الشمالية في أي وقت يشاء .

خاصة ان تلك القوة غيرت اعتباراته السياسية فيما بعد . وكان يتطلب تحقيق هذه الاهداف الاستراتيجية استخدم قوة عسكرية في داخل الاراضي اللبنانية^(٢١).
وعليه كانت اسرائيل تسعى من خلال عدوانها على لبنان عام ٢٠٠٦ الى تحقيق اهداف عديدة
لعل ابرزها:

١ - الهدف السياسي. وهو حفظ الامن القومي للكيان الصهيوني على حد تعبير المصادر
الاسرائيلية ، في منطقة عربية مسلمة والعمل على تامين حدود امانة لاسيما في الجبهة
الشمالية المحاذية للبنان ، هذا الى جانب تدمير القدرة الايرانية في لبنان (حزب الله) من
خلال تغيير قواعد اللعبة السابقة القائمة على توازن الرعب وخلق توازن جديد في لبنان
يؤدي الى حالة سلم على حدودها ، خاصة وان تنظيم حزب الله يشكل تهديداً امنيّاً ستراتيجياً
لها لسببين:

- أ - امتلاك حزب الله صواريخ تهدد شمال اسرائيل.
- ب - علاقة حزب الله وتبعيتها لإيران وسورية.
- ٢ - الهدف الاقتصادي. وهو ضرب البنية التحتية والمرافق الاستراتيجية وشل الاقتصاد
اللبناني والسياحي والخدماتي.
- ٣ - السيطرة على المياه في لبنان^(٢٢).

من العوامل المهمة التي سارعت في تجدد المواجهة العسكرية بين اسرائيل ولبنان في حرب
تموز عام ٢٠٠٦ ، هو قيام حزب الله بعملية أدت الى مصرع^(٢٤) جنود إسرائيليين واسر اثنين
اخرين، وقد وضح حسن نصر الله الامين العام لحزب الله (٢٠٠٥-الآن) ان هدف العملية هو
اجبار الادارة الاسرائيلية على اطلاق سراح الاسرى اللبنانيين في السجون الاسرائيلية، بينما
كان هدف اسرائيل كما حدده ستيفن هارولي مستشار الامن القومي قائلاً :

" اعتقد ان جزءاً من الحل هو تنفيذ قرار (١٥٥٩) الذي
سيفكك هذه المجموعة المسلحة الخارجة عن الحكومة،
ومساعدة لبنان في تحديد سيطرته على كل البلاد"^(٢٥).

ما يعنى ان اسرائيل كانت تنتظر منذ مدة طويلة الظروف الدولية لمواجهة ايران في لبنان،
هذا ما اكدته ايضا تانيا نيهارت الكاتبة الاسرائيلية عندما ذكرت مايلي :

" ان واشنطن وتل ابيب كانتا تريدان حرباً ضد حزب الله، اما عملية خطف
فكانت ذريعة اذ لم تكن هذه المرة الاولى التي يقوم بها حزب الله بخطف رهائن لمبادلتهم مع
سجناء لبنانيين في اسرائيل، لكن هذه المرة شعرت اسرائيل بالاهانة خاصة ان عملية الخطف
كانت ناجحة وتمت بعد فترة قصيرة من خطف جندي اسرائيلي في قطاع غزة من قبل
مجموعة فلسطينية"^(٢٦).

الى جانب ذلك كانت السياسية الامريكية بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ تسعى الى تنفيذ
مشروع امريكي يعرف بالشرق الاوسط الجديد الامر الذي شجع الاطراف اللبنانية بعد نجاح
القوات الدولية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية في حرب الكويت الى التخلص من الوجود
السوري في لبنان، وقد دعم هذا التوجه قرار مجلس الامن في ٢ ايلول ٢٠٠٤ بصدد قرار رقم
(١٥٥٩) الذي يقضي بانسحاب القوات الاجنبية من لبنان وتفكيك ونزع سلاح الميليشيات
اللبنانية وغير اللبنانية^(٢٧).

رابعا - علاقة ايران في عملية " الوعد الصادق " في جنوب لبنان .

يرى معظم المراقبون لاحداثيات الحرب اللبنانية - الاسرائيلية انه توجد ثلاثة تفسيرات لعلاقة ايران بعملية خطف الجنود الاسرائيليين في جنوب لبنان التي اطلق عليها عملية الوعد الصادق وما تلاها من عدوان اسرائيلي على لبنان في تموز ٢٠٠٦ ، وكان التفسير الاول يرى ان ايران كانت كمخطط لعملية خطف الجنود الاسرائيليين ، والثاني يجعل ايران هدفاً لتصعيد اسرائيلي في المنطقة ، والتفسير الاخير ينظر الى الامر على اساس ان ايران استفادت من الحرب ولم تتورط فيه.

يستند التفسير الاول الى العلاقة الوثيقة التي تجمع ايران بحزب الله، وهي علاقة ذات ابعاد روحية وعسكرية ومادية تعود جذورها الى الرابع الاخير من القرن العشرين. ويرى المسؤولون الامريكيون والاسرائيليون وعلى رأسهم جورج بوش (الابن) رئيس الولايات المتحدة (٢٠٠٠-٢٠٠٤ / ٢٠٠٤-٢٠٠٨) ويهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي (٢٠٠٦-٢٠٠٩) ان في مقدمة الاهداف الايرانية التي جرى تحديدها في حرب تموز ٢٠٠٦ هي ما يلي:

- صرف نظر المجتمع الدولي عن تطورات الملف النووي الايراني وعقد اجتماع مجموعة دول الثماني في بطرسبرغ .
- تعزيز النفوذ الاقليمي الايراني وهو هدف وثيق الصلة بأسس السياسة الخارجية الايرانية القائمة على التمدد خارج حدودها على مر الانظمة الملكية أو الجمهورية.
- احراج الانظمة العربية بوضع ايران في الصف الداعم لحركات المقاومة الاسلامية في فلسطين ولبنان^(٢٥).

اما التفسير الثاني فيجري التعامل مع ايران باعتبارها احد اهداف الحرب الاسرائيلية على حزب الله، وبعبارة اخرى هي الهدف الرئيس لها وان كلا من اسرائيل والولايات المتحدة كانتا تراقبان الظروف المناسبة لتحجيم دور ايران الاقليمي من خلال اضعاف حلفائها في المنطقة ، بهذا التفسير تصبح عملية اختطاف الجنديين الاسرائيليين مجرد ذريعة امريكية - اسرائيلية كما كانت احداث ١١ ايلول ذريعة للحرب على الارهاب في افغانستان عام ٢٠٠١ والصومال عام ٢٠٠٢ والعراق ٢٠٠٣^(٢٦).

ومن افضل المصادر التي طرحت بموضوعية التفسيرين السابقين، هو سيمور هيرش m.hersh seyour الصحفي الامريكي في مقاله المعنون " watching Lebanon " الذي استعان بعدد من المقابلات مع المسؤولين الامريكيين والاسرائيليين لتوضيح رؤيته حول العلاقة المشتركة بين واشنطن وتل ابيب عموماً في اجتماع عقد لقادة القوات الجوية الامريكية والاسرائيلية حول توجيه ضربه صادمة للمنشآت النووية الايرانية، وكان المحرضون على الحرب في الاجتماع المذكور كما يحددها سيمور هيرش هم مايلي :

" ان المحرضين على الاجتماع كانوا هم صقور الادارة الامريكية، وان فكرة الاستعانة بإسرائيل نبعث ليس فقط لأنها الحليف الاكبر للسلاح الجوي الامريكي... ولكن لان لها مصلحة مؤكدة في تصفية حسابها مع حزب الله وايران من ورائه، وعندما تلقى المسؤولون الاسرائيليون العرض الامريكي كان جوابهم، لماذا تعارض؟ انها ستكون حرباً رخيصة بمنافع كثيرة سنقصف الصواريخ والانفاق والمخابئ، من الجو وسيكون ذلك بمثابة نموذج لإيران"^(٢٧).

من هذا الجانب كان التحريض امريكي والتنفيذ اسرائيلي ليس فقط لاختبار قدرة الاسلحة الامريكية على اختراق القدرات العسكرية الايرانية في المستقبل ، لكن من اجل توجيه ضربة عسكرية قاضية لحزب الله لأسباب تتعلق بالحدود الامنية لإسرائيل من جهة اخرى ، وفي

ضوء هذا التنسيق الامريكي - الاسرائيلي وعلى حد قول هيرش ان قرار الحرب كان قد اتخذ في اسرائيل قبل اسابيع من حادثه اختطاف الجنديين الاسرائيليين وان المدة الزمنية للعدوان البالغة (٣٣) يوماً كانت بتنسيق امريكي - اسرائيلي^(٢٨).

في حين يقف التفسير الثالث حول مدى علاقة ايران بعملية " الوعد الصادق " الى اعتبار ان حزب الله هو المسؤول عن قرار اختطاف الجنديين من اجل تحرير اسرى لبنانيين في السجون الاسرائيلية، ويعود في ذلك الى سوابق تاريخية حدثت في الاعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٨ و ٢٠٠٤ . عندما وقعت اكبر صفقة لتبادل الاسرى بعودة (٤٣٦) اسيراً من لبنان وفلسطين وجنسيات عربية اخرى، مقابل استرداد اسرائيل اسيراً لها ورفات ثلاثة من جنودها. ومن الجدير بالذكر ان في نهاية حرب تموز اعلن حسن نصر الله الامين العام لحزب الله عن بدء المفاوضات غير المباشرة مع اسرائيل تمهيداً لعملية جديدة لتبادل الاسرى^(٢٩).

خامساً - ابرز معالم السياسة الايرانية تجاه الحرب على لبنان.

تصرفت الادارة الايرانية في عهد الرئيس احمدي نجاد تجاه تطورات الحرب الاسرائيلية - اللبنانية الثانية ضمن منطق الدولة وليس بمنطق الثورة ، عندما اكد عدد من المسؤولين الايرانيين في مواقع مختلفة على الحساب الوطني الدقيق ودعمها المستمر والشامل لتنظيم حزب الله قبل حرب تموز ٢٠٠٦ ودعمها السياسي والاعلامي له اثناء الحرب (٣٣) يوماً مدة العدوان الاسرائيلي، وبشكل عام كان هناك محاور عديدة اساسية تحركت عليها الدبلوماسية الايرانية منذ اندلاع الحرب. ومن ابرز تلك المنافذ الدبلوماسية الايرانية هو التأكيد على نفي التخطيط المسبق مع حزب الله لاختطاف الجنديين الاسرائيليين، وهو الاتهام الذي وجه لإيران من قبل الدوائر السياسية الامريكية والاسرائيلية وبعض الاطراف الغربية من اجل دفع الراي العام الدولي نحو صدور قرار دولي رقم (١٦٩٦) الخاص بالملف النووي الايراني، وهو ما انكره هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام في ٢١ تموز ٢٠٠٦ اية مسؤولية لإيران في الحرب ، وان ما يحدث هو جزء من خطة امريكية للشرق الاوسط^(٣٠).

اما الصعيد الثاني الذي تحرك فيه المسؤولين الايرانيين في موقفهم تجاه الحرب الاسرائيلية على لبنان ، كان يتمثل في نفي الجهات الايرانية المختلفة بوجود اي احتمال للتدخل العسكري في الحرب الى جانب لبنان لعدم وجود معاهدة دفاع عسكرية مشتركة بين ايران ولبنان ، وهو ما كان يشار ضمناً الى المعاهدة التي قد جرى عقدها بين سورية وايران في حزيران عام ٢٠٠٦ . عندما وقع حسن تركماني وزير الدفاع السوري مع قائد الحرس الثوري الايراني الذي يتولى تنسيق العلاقة مع حزب الله^(٣١).

من هذا المنطلق هدد احمدي نجاد بعد اندلاع حرب تموز انه اذا ما ارتكبت اسرائيل حماقة واعتدت على سورية ، سيشكل ذلك عدواناً على العالم الاسلامي وسيكون الرد قاسياً عليها ، وهو ما اثار شكوك قطاعات مختلفة حول موقف ايران العسكري تجاه الحرب الاسرائيلية على ابرز حلفائها في المنطقة وهو حزب الله في ظل اعلان قوات الحرس الثوري الايراني نفيه المتكرر مسؤولية ايران لفكرة محاربة بعض قوات الحرس الثوري مع مقاتلي حزب الله ، كما اعلنت وزارة الخارجية الايرانية وعلى لسان المتحدث الرسمي لها في ١٦ تموز عام ٢٠٠٦ ان حكومته تنفي مصدر الصواريخ التي اصابت البارجة الحربية الاسرائيلية ومحطه قطار حيفا كما ذكرت ذلك الاذاعة الاسرائيلية بهذا الصدد من اجل تأجيج الراي العام العالمي ، كما يؤكد الجانب الرسمي الايراني ان بلاده ماتقدمه لحزب الله يدخل في باب الدعم الانساني والسياسي والدبلوماسي^(٣٢).

كانت المجالات الثلاثة السابقة التي اعلنت الادارة الايرانية موقفها من الحرب الاسرائيلية على لبنان تصب في خانة الحياد السلبي من خلال الاعلان عن عدم التخطيط للعمل العسكري

ضد اسرائيل من اجل عدم ترسيخ نطاق الحرب لتشمل سوريا ايضاً من خلال فك الارتباط بينها وبين عملية الوعد الصادق التي قام بها حزب الله ، لكن في الجانب الاخر كانت ايران حريصة على عدم ترك حزب الله وحده في مواجهة اسرائيل . هذا مع استبعاد قيام ايران بأي تغيير في سياستها النفطية حتى في حال تعرض سوريا الى هجوم اسرائيلي ، وهو ماجاء على لسان وزير النفط الايراني كاظم وزيرى همانه في ٢٧ تموز ٢٠٠٦ على اساس انه تعين عدم ربط الصادرات النفطية بالقضايا السياسية التي يجب ان تحل بالوسائل السياسية .^(٣٣)

في المقابل قامت الادارة الايرانية من اجل تنسيق المواقف الدولية وحشدتها للمطالبة بصدور قرار دولي لوقف اطلاق النار، حيث قام متوشهر متكي وزير الخارجية الايراني بزيارة دمشق في ١٧ تموز ٢٠٠٦ والاجتماع مع الرئيس بشار الاسد و نائبه فاروق الشرع ووزير خارجيته وليد المعلم وطالب باعلان الهدنة وتبادل للأسرى ، كما قام علي لاريجاني مسؤول الملف النووي الايراني بزيارة دمشق والاجتماع مع كل من خالد مشعل وعبدالله شلح لتقييم الوضع في المنطقة ، كما قام متكي بجولة اقليمية شملت مصر واليمن وتركيا ، ودعى الى تشكيل موقف مصري - ايراني يدعم حزب الله في المرحلة القادمة وضرورة اتخاذ مواقف جديّة ضد اسرائيل وسياستها العدوانية في المنطقة^(٣٤)

هذا مع التحفظ على بعض الحلول السياسية المرتبطة بوقف الاعمال العدوانية ، وهو ما اورده متوشهر متكي في اب ٢٠٠٦ في بيروت حول موقف الادارة الايرانية الداعم لبعض النقاط التي تقدمت بها الحكومة اللبنانية برئاسة فؤاد السنيوره وهي وقف اطلاق النار الفوري وغير المشروط وتبادل الاسرى وعودة النازحين ، كما ابرى تحفظاً في النقطة الخاصة بالقوات الدولية .^(٣٥)

الخاتمة :

مثل العدوان الاسرائيلي على لبنان في حرب تموز عام ٢٠٠٦ نقطة تحول مهمة في علاقات ايران الاقليمية بعد التحولات الجذرية التي شهدتها الساحة الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم وتغيير موازين القوى الدولية والاقليمية ، عندما اصبحت ايران طرفاً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه في بحث القضايا المهمة في منطقة المشرق العربي بإحداثياتها المختلفة بشكل عام ، وكانت الحرب الإسرائيلية - اللبنانية مناسبة مهمة في استثمار ايران ذلك الحدث في تعزيز انطباعها الجدي الذي تشكل عن دورها الداعم لحزب الله في مواجهة اسرائيل مقابل الانطباع المضاد الذي ولدته سياستها في العراق .

شكلت الحرب الإسرائيلية - اللبنانية على مدى (٣٣) يوماً مناسبة للأطراف الاقليمية في منطقة المشرق العربي في القيام بأدوار مهمة خارج اراضيها وكانت الساحة اللبنانية بحكم نسجها الطائفي مشجعا لاستقطاب القوى الخارجية لاسيما بعد مرور اكثر من عقد من الزمن على اتفاق الطائف ، وايران كانت واحدة من تلك الدول التي دخلت على خط الصراع العربي - الاسرائيلي من جهة والمسألة اللبنانية من جهة اخرى .

تتفرد الحرب الاسرائيلية - اللبنانية او بالاحرى الحرب الاسرائيلية على حزب الله بمزايا فريدة من نوعها في الظروف والوسائل والنتائج ، بسبب ما الت اليه الحرب من نتائج فريدة على صعيد الحروب العربية - الاسرائيلية عندما خسرت الاستراتيجية والعسكر الاسرائيلي في استخدام القوة في خدمة السياسة ، فكان مشروعها تحرير الاسيرين الاسرائيلين لكن كان ضياع هيبة القدرة العسكرية الرادعة وضعف البنية الدفاعية في العمق الاسرائيلي ، في مقابل رجحان كفة حزب الله - ايران في منظومة الاستخبارات الميدانية والعسكرية .

الهوامش والمصادر :

- ١ - مجموعة باحثين ، العرب وايران مراجعة في التاريخ والسياسة ، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، ٢٠١٢ ، ص ٩١ - ٩٢ لبنان وايران : ثمانية وستون عاما من العلاقات الدبلوماسية ، جريدة الاخبار ، الاربعاء ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٨ .
www.al.akhbar.com
- ٢ - المصدر نفسه ، ص ٥٩٣ . لمزيد من التفاصيل ، مجموعة باحثين ، العلاقات العراقية - الايرانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ٣ - د.سعود المولى ، ايران والعالم العربي : لبنان نموذجا ، منتدى العلاقات العربية والدولية ، عمان ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٣ .
www.fairforum.org/research/23
- ٤ - نقلا عن : علي حسن باكير ، حزب الله والمشرع الاقليمي الايراني ، العلاقة والدور . الاردن .
www.Emarefa.net/ar/detail/bim-270126
- ٥ - العلاقات اللبنانية - الايرانية بدأت مطلع القرن الماضي وتوطدت في عهد (الجمهورية الاسلامية) ، جريدة الشرق الاوسط ، العدد ١١٦٤٢ ، الاربعاء ١٣ اكتوبر ٢٠١٠ ، .
<http://aawsat.com>
- ٦ - المصدر نفسه ، ص ٧ .
- ٧ - نيفين مسعد ، التداويات الاقليمية : ايران الحرب الاسرائيلية على لبنان وتداوياتها (ملف) ، مجلة المستقبل العربي ، لسنة التاسعة والعشرون ، العدد ٣٣٢ ، تشرين الاول ٢٠٠٦ ، ص ٥٥ .
- ٨ - سعود المولى ، المصدر السابق ، ص ٣٣
- ٩ - اودي ديكل ، حرب لبنان الثانية ، حدود التفكير الاستراتيجي ندوة عقدت بمرور عشر سنوات على الحرب في لبنان ٢٠٠٦ / ١٢ / ٧ / ٢٠١٦ ، ص ٨ .
www.lebarmy.gov.lb/ar/content
- ١٠ - نجلاء موسى ابو الحصين ، المتغيرات السياسية الإقليمية واثرها على مستقبل النظام السياسي اللبناني (٢٠٠٥ - ٢٠١٣) ، كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة الأزهر - غزة ، ٢٠١٧ ، ص ٤٩ .
www.alazhar.edu.ps/arabic/he/archive/
- ١١ - طلال عتريسي ، علاقات ايران مع دول المشرق العربي ودول الخليج ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر ، ٢٠١١ ، ص ٢ .
www.dohainstitute.org/LarLlistsLdocument
- ١٢ - المصدر نفسه ، سعد عزيز داخل ، ايران ودورها في فترة الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢ ،
www.arabsammit.net.com
- ١٣ - نقلا عن : علي حسن باكير ، المصدر السابق ، ص ١٣
- ١٤ - المصدر نفسه ، ص ١٤ .
- ١٥ - سعود المولى ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

- ١٦ - محمد عباس ناجي، الانكماش: مستقبل الدور الاقليمي لايران بعد الثورات العربية،
مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام، القاهرة، العدد
١٨٥، تموز ٢٠١١.
- ١٧ - سعود المولى، المصدر السابق، ص٢٣.
- ١٨ - نقلاً عن:- نجلاء موسى ابو الحصين، المصدر السابق، ص٥٦.
- ١٩ - المصدر نفسه، ص٢٤.
- ٢٠ - المصدر نفسه، ص٥، طلال عتريسي، المصدر السابق، ص٣.
- ٢١ - نقلاً عن: نجلاء موسى أبو الحصين، المصدر السابق، ص٤٨.
- ٢٢ - نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٥٩.
- ٢٣ - المصدر نفسه.
- ٢٤ - نيفين مسعد، التداعيات الاقليمية : ايران الحرب الاسرائيلية على لبنان وتداعياتها
(ملف)، مجلة المستقبل العربي، لسنة التاسعة والعشرون، العدد ٣٣٢، تشرين الاول،
٢٠٠٦، ص٥٧.
- ٢٥ - امين محمد حطيط، حرب ٢٠٠٦ على لبنان، خلفية واداء ونتائج، مجلة العلوم
السياسية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٥.
www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions
- ٢٦ - نيفين مسعد، المصدر السابق، ص٥٨.
- ٢٧ - نجلاء موسى ابو الحصين، المصدر السابق، ص٦٠.
- ٢٨ - خير الدين حسيب، حول الحرب الاسرائيلية على لبنان وتداعياتها، جريدة الشرق
الاوسط، السنة الثامنة عشر، العدد ٥٥٦٣، ٢٥ آب ٢٠٠٦.
- ٢٩ - طلال عتريسي، المصدر السابق، ص٦.
- ٣٠ - امين محمد حطيط، المصدر السابق، ص٣.
- ٣١ - محمد نور الدين، التداعيات الاقليمية تركيا والحرب الاسرائيلية على لبنان، مجلة
المستقبل العربي، العدد ص٥٨.
- ٣٢ - معن بشور، تداعيات الحرب الاسرائيلية على لبنان، مجلة المستقبل العربي، مركز
دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٣٢، تشرين الاول ٢٠٠٦، ص٦٧.
- ٣٣ - حسن نافعة، الدور الايراني في المعادلة اللبنانية المؤشرات والدلالات، المعهد الدولي
للدراسات الايرانية، ص٨٧. www.thesis.univ.biskra.dz/958.
- ٣٤ - المصدر نفسه، ص٨٨.
- ٣٥ - مصطفى اللباد، كومنترن الايراني يعزز حضوره الاقليمي بعد الحرب على لبنان،
جريدة الحياة، تاريخ ٢١-٨-٢٠٠٦.

المشرق العربي في الاشتراتيحيات الدولية العراق انموذجاً

م.د منار عبد المجيد عبد الكريم
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة:

ما زالت منطقة الشرق الاوسط عموماً ، والمشرق العربي خصوصاً، تمثل بؤرة الصراع الدولي ، اذ ان الدول الكبرى، ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية والمملكة المتحدة البريطانية وفرنسا، يعتقدون ان استقرار العالم يتوقف على استقرار هذه المنطقة، والعكس صحيح بالبداهة، بتعبير اوضح، ان الكيان الصهيوني مازال يؤكد على ان امنه القومي مرتبط بسيطرة حليفه الاستراتيجي ، ونقصد به الولايات المتحدة الامريكية على دول المشرق العربي عموماً، وتحديداً العراق لما يمتاز به من اهمية استراتيجية واقتصادية وسياسية.

قسم هذا البحث الى مبحثين ، الاول يحمل عنوان " المشرق العربي واهميته الاستراتيجية" اذ يتناول هذا المبحث ، مصطلح المشرق العربي واقطاره ومدى حيوية واهمية هذه المنطقة بالنسبة لدول العالم لما تمتلكه من حضارة وموقع استراتيجي وامكانيات اقتصادية وبشرية .

اما المبحث الثاني، فقد جاء عنوانه "العراق في الاستراتيجية الدولية" فقد ركزنا فيه على، موقع العراق المهم وامكانياته البشرية والاقتصادية اللا محدودة والتي جعلته محط انظار الدول المستعمرة وتسابقها للسيطرة عليه واستغلال خيراته . اعتمد البحث على مصادر ذات رؤى متنوعة، غربية وعربية وعراقية، وذلك من اجل ان تتكامل الصورة عن موضوع بحثنا من كافة الجوانب.

المبحث الاول

المشرق العربي واهميته الاستراتيجية

تعد منطقة المشرق العربي من المناطق الحيوية في منطقة الشرق الاوسط، الامر الذي يحتم علينا ان نسلط الضوء ، ولو بشكل موجز عن اهمية الشرق الاوسط حتى نفهم حيوية منطقة المشرق العربي واهميتها الاستراتيجية والدوافع العنانية والخفية وراء تسابق الدول الاستعمارية للتنافس في السيطرة على منطقة المشرق العربي.

- الشرق الاوسط واهميته الاستراتيجية:

يقصد بمصطلح الشرق الاوسط جميع الاقطار التي تدخل ضمن الشرق الادنى ويقصد بالشرق الادنى الامبراطورية العثمانية بما فيها ممتلكاتها الاوربية، فضلاً عن ، اقطار القسم الغربي من اسيا والقسم الشمالي الشرقي من افريقيا، وبالتحديد مصر والسودان والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن وشبه الجزيرة العربية مع اقطار وجزر الخليج العربي وتركيا وقبرص^(١)، لذا تعد منطقة الشرق الاوسط من المناطق الملتهبة في العالم، اذ ان المنطقة مازالت قليلة الثبات، كثيرة المتغيرات، مليئة بالاحداث والمفاجات^(٢)، حتى وصفها احد الباحثين الغرب بانها:

" اكبر منطقة ازمات على الاطلاق"^(٣).

ومن الجدير بالذكر، ان القيمة الاستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط من الناحية العسكرية تكمن في انها " متاخمة للاتحاد السوفياتي " اما من الناحية الاقتصادية، فهي تعد "مركز اكبر احتياطات معروفة من البترول في العالم"^(٤). وهذا ما اكده رئيس اركان الجيش الامريكي الاسبق الادميرال ارثر راد فورد Arthur.R.Ford، عندما تحدث بهذا الجانب مانصه:

" ان اهمية الشرق الاوسط للعالم الحر بالغة الى حد لا يحتمل المغالاة، من الناحيتين العسكرية والسياسية. اولاً: ان موارده النفطية الهائلة تسد اليوم معظم حاجات اوربة، وخسارة هذه الموارد خليف بها ان تكون كارثة. وثانياً: ان مركزه الجغرافي يقع على خطوط المواصلات بين الغرب و الشرق. وثالثاً: في هذه الرقعة فقط ليس للسوفيات دولة حاجبة..."^(٥).

مما سبق يبدو واضحاً، ان الشرق الاوسط، كان " احد المناطق الحيوية في العالم " اذ تلخصت الاستراتيجية الامريكية في "بناء خط عسكري دفاعي يضم المنطقة بأسرها"، و"تلبية مطالب الصهيونية بأنشاء دولة لها في فلسطين"^(٦)، و"الوصول الى النفط"^(٧).

- لمحة موجزة عن منطقة المشرق العربي:

يقصد بمصطلح المشرق العربي، هو الحدود الشرقية للوطن العربي، الممتدة من المحيط الاطلسي حتى الخليج العربي، اذ يتكون من العراق وسوريا والاردن والكويت لبنان شمالاً والمملكة العربية السعودية والبحرين والامارات العربية المتحدة وقطر وعمان واليمن جنوباً^(٨). اما سكانه فهم يتكلمون اللغة العربية وتجمعهم ارض واحدة، ولغة وثقافة واحدة ولهم مصالح مشتركة^(٩)، اذ يؤلف سكان المشرق العربي، اكبر تجانس في العالم العربي الكبير، على الرغم من، اختلاف طبيعة الحياة في اقطاره سواء على المستوى الاقتصادي او السياسي^(١٠).

من جهة اخرى، يتميز المشرق العربي بموقع استراتيجي مهم اذ يربط القارات الثلاث اسيا وافريقيا واوربا والبحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندي، فضلاً عن، تحكمه بمضيق هرمز وباب المندب، الامر الذي يؤكد على، ان "منطقة المشرق العربي تتحكم منذ قديم الزمان في المسالك التجارية والممرات العسكرية المهمة" مما دفع جميع الدول الاستعمارية ان تتسابق فيما بينها للسيطرة على هذه المنطقة، خصوصاً بعد ان تأكد لها ان النفط قد اكتشف فيها منذ اواخر القرن التاسع عشر، لذا تمثل هذه المنطقة مورداً مهماً لاقتصاد الدول الاستعمارية^(١١)، لاسيما بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية اللتان كانتا " تستخدمان كافة الوسائل للسيطرة على منابعه والتحكم في انتاجه وتكريره وتصريفه" وذلك من اجل، "ضمان الحصول على ارباح احتكارية ضخمة" فضلاً عن، "ابعاد الشركات المنافسة الاخرى" من دخول منطقة المشرق العربي مثل الشركات اليابانية والاطالية والالمانية وغيرها^(١٢).

ومن هنا، ادركت الدولة العثمانية منذ وقت مبكر ان امبراطوريتها لا يمكن ان تتقدم وتزدهر وتصمد امام التحديات الاوربية الا بالسيطرة على الوطن العربي وتحديدًا المشرق العربي، لما يتميز به من اهمية استراتيجية حيث احتلت الدولة العثمانية بغداد عام ١٥٣٤ وتبعتها اقطار مصر وفلسطين ولبنان والاقطار الاخرى من المشرق العربي. وعلى الرغم من، كل المقاومة العربية في المشرق العربي للادارة العثمانية السيئة، الا ان الاخيرة ظلت مهيمنة على مقدرات العرب ما يقارب الاربعة قرون تقريباً^(١٣).

وخلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨^(١٤)، تنافستا كل من بريطانيا وفرنسا على اقتسام هذه المنطقة بموجب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦^(١٥).

المبحث الثاني العراق في الاستراتيجية الدولية

يتميز العراق بموقع جغرافي مهم ، اذ يقع في النصف الشمالي من الكرة الارضية، يحده من الشمال تركيا، ومن الغرب الاردن وسوريا والمملكة العربية السعودية ومن الجنوب الخليج العربي والكويت، ان موقعه هذا وكثرة موارده الاقتصادية ، ولاسيما النفط، فضلاً عن موارده البشرية، جعله ان يكون محط اهتمام الدول الغربية ، ولاسيما، بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية^(١٦)، فقد اشار اللورد كيرزن Kerzen^(١٧) صراحة الى ضرورة ايجاد موطن قدم لبلاده في العراق ، ننقل نصاً ماقاله بهذا الخصوص:

" ان من الخطأ ان نظن ان مصالحنا السياسية
تنحصر في الخليج. انها ليست منحصرة فيه
ولا بين بغداد والبصرة بل تتعدى ذلك حتى
تصل بغداد نفسها"^(١٨).

وفي السياق ذاته، كان له ايضاً تصريح اخر جاء به:

"بغداد تقع ضمن موانئ الخليج ويجب
ان تدخل ضمن السيادة البريطانية التي
لاتنازع"^(١٩).

من جهة اخرى، ارسل المقيم البريطاني في بغداد برقية في حزيران عام ١٩١٣ الى حكومة الهند البريطانية والى السفير البريطاني في القسطنطينية ذكر فيها:

"وما نجده في الوقت ذاته من نشأة

تمهيدية لمناطق نفوذ اجنبية فأنه على ما يظهر لابد للحكومة البريطانية من ان تحتفظ بما احرزته حتى الان من ارجحية

في بلاد ما بين النهرين، منطقتها

الطبيعية في الدولة العثمانية"^(٢٠).

ينبغي ان نشير هنا الى، ان العراق لم يكن كياناً سياسياً موحداً عندما كان واقعاً تحت السيطرة العثمانية ، اذ كان موزعاً على ثلاث ولايات وهي بغداد والبصرة والموصل، ولكن عندما احتلته بريطانيا وحدت هذه الولايات في كيان سياسي واحد اطلق عليه العراق، اذ مازال العراق يمثل "قلب الشرق الاوسط" فهو "جسر يربط اسيا وافريقيا ، وطريق يصل ما بين البحر المتوسط والمحيط الهندي" ، ولان "بغداد كانت مركزاً مهماً لتجارة الترانزيت، فقد كانت تمر من خلالها القوافل المتجهة الى

تركيا ، وبلاد فارس، وبلاد الغرب، وغير ذلك من الاصقاع" فضلاً عن ذلك، فأُن
البصرة كانت " مركزاً مهماً لتجارة التوابل والعقاقير المستوردة من الهند عن طريق
جزيرة هرمز" (٢١).

بحكم هذه الأهمية الاستراتيجية ، فكرت بريطانيا بشكل جدي ان يكون " العراق
منطقة نفوذ بريطانية" (٢٢).

بمعنى أكثر دقة ووضوحاً، ادركت بريطانيا ان رغبتها بنيل "مركزاً لايباري في
الشرق الاوسط" لا يتم الا بالسيطرة على بلاد ما بين النهرين لنقل نصاً ما دونته
وثيقة بريطانية بهذا الخصوص:

**" لقد كان من احد العوامل التي تسيرنا
في بلاد ما بين النهرين قلقتنا على سلامة
الهند" (٢٣).**

ان نظرة ممعنة الى ما جاء في الوثيقة البريطانية يؤكد على ان الهند تحتل حيزاً
واسعاً في الاستراتيجية البريطانية فهي تمثل "درة التاج البريطاني" (٢٤)، لذا كانت
بريطانيا تبذل كل ما بوسعها بعدم السماح لاية دولة لتهديد امن وسلامة الهند، لذا اكد
السير ارثر هرتزل Arthur Hartzil سكرتير الشؤون الخارجية في الهند ان "ترك
رأس الخليج سادراً مهجوراً ، وهو امر "فاجع" (٢٥)، ويقصد برأس الخليج هو
العراق، الامر الذي يؤكد اهمية العراق بالنسبة لبريطانيا لذا وقفت بريطانيا بشكل
حازم امام المشروع الالمانى عام ١٩٠٣ حول سكة حديد برلين - بغداد (٢٦). حيث
كانت المانيا تنظر الى "بلاد بابل اغنى بلد في الماضي واكثر المناطق ملائمة
للاستعمار في الحاضر" اذ كانت بريطانيا تهدف من مشروع سكة برلين - بغداد
"تقسيم العراق الى قسمين " ، الاول شمالي "يسكنه النازحون الالمان " والثاني
جنوبي "يسكنه السكان العرب المحليين... كي يهيئوا لنا ، نحن الالمان ، الكثير الكثير
من القمح" (٢٧).

كان امراً طبيعياً ان تبذل بريطانيا كل ما بوسعها لعرقلة تنفيذ ذلك من اجل،
الحفاظ على مواردها الاقتصادية في العراق، لان الاخير غني بالمواد الأولية ،
ويمثل سوقاً لتصريف منتوجاتها، فضلاً عن، استثمار رؤوس اموالها فيه (٢٨).
نقل نصاً ما قاله احد اعضاء مجلس الشيوخ البريطاني حول هذا الموضوع
تحديداً:

**" العراق على درجة من الأهمية والغنى،
وهو احد المناطق القليلة في العالم،
اذ تفيض الموارد الطبيعية على السكان
بدلاً عن فيض السكان على هذه الموارد" (٢٩).**

ووفق هذه الرؤية ، احتلت بريطانيا العراق عام ١٩١٤ ، وادركت منذ البداية ان
احتلالها لا يكتب له النجاح مالم تكسب ود السكان العراقيين، لذا سعت جاهدة في "
اتخاذ الاجراءات الصارمة لحفظ الامن واشاعة الاستقرار"، وتقديم "الخدمات" التي
كانت مفقودة في العهد العثماني (٣٠). ولكن مع ذلك بدأ الشعب العراقي يتلمل من
سوء ادارة الاحتلال البريطاني ، خصوصاً فيما يتعلق بفرض الضرائب الثقيلة التي
اثقلت من كاهله كثيراً مما دفع بريطانيا الى ، ان تستبدل احتلالها بانتداب على العراق
في نيسان عام ١٩٢٠ ، الامر الذي اثار حفيظة الشعب العراقي الذي ادرك منذ
البداية ان "الانتداب" و "الاحتلال" وجهان لعملة واحدة، لذا ثار الشعب العراقي في

ثورته المعروفة بثورة العشرين في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠ لجبر بريطانيا بتغيير سياستها في العراق، وذلك عن طريق، تشكيل حكومة عراقية في العام ١٩٢١، لكن بريطانيا بقيت هي المسيطرة على مقدرات العراق حتى بعد دخول العراق عصبة الأمم^(٣١) عام ١٩٣٢^(٣٢) وحصوله على الاستقلال، الذي كان استقلالاً شكلياً إلا أنه استطاع ان يؤدي دوراً كبيراً في تأسيس جامعة الدول العربية^(٣٣) عام ١٩٤٥^(٣٤)، فضلاً عن، دوره في تأسيس هيئة الأمم المتحدة، في العام ١٩٤٥^(٣٥)، ودعم أكثر من قطر عربي في حصوله على الاستقلال كـ تونس على سبيل المثال حصار^(٣٦)، وكذلك دوره في دعم حركة عدم الانحياز عام ١٩٥٥^(٣٧).

من جانب آخر، ان تدخل بريطانيا في شؤون العراق على الرغم من، حصوله على الاستقلال كما ذكرنا، دفع الجماهير الى القيام بالعديد من الانتفاضات في الاعوام ١٩٤١ و ١٩٤٨ و ١٩٥٢ و ١٩٥٦ ضد السياسة الاستعمارية في البلاد لتتوجه هذه الانتفاضات بثورة عملاقة في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، ولكن هذا لا يعني ان الدول الاستعمارية تركت العراق ليقرر مصيره وحده، اذ رأت الدول الاستعمارية ولاسيما، بعد افول مجد الامبراطورية البريطانية في ستينيات القرن العشرين، عندما انسحبت من المنطقة العربية عام ١٩٦٧، حيث رأت هذه الدول الاستعمارية ان افضل سبيل لاضعاف طاقات العراق البشرية والعسكرية والاقتصادية هو، جره في حروب كما في حرب ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ومن ثم توريثه في حرب مع ايران دامت ثمان سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨) ومن ثم غزو الكويت في العام ١٩٩٠، ومن ثم فرض حصار اقتصادي عليه في تسعينيات القرن العشرين، لينتهي به الامر بأحتلال العراق عام ٢٠٠٣، من قبل قوات التحالف الدولي برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، كل ذلك كان من اجل مصلحة (اسرائيل) حتى تطمئن على حدودها على اعتبار ان العراق كان يمثل العمق الاستراتيجي لمواجهتها، حيث دمر الاحتلال الأمريكي الجيش العراقي من خلال حله تماماً، اذ اكدت الادارة الأمريكية ان "استمرار وجود العراق كدولة موحدة مهدداً الى حد بعيد"^(٣٨). ويقصد هنا بالتهديد، تهديد المصالح الأمريكية في المنطقة لذا عملت جاهدة لتقسيم العراق الى طوائف وقوميات. وقد صدق جراهام فولر Graham Fuller وهو باحث امريكي عندما تنبأ ان العراق سيكون "ضحية محتملة في العقد الواحد والعشرين للتدخل الامريكي واحتلاله"^(٣٩). وهذا ما حدث بالفعل، اذ مازال العراق منذ العام ٢٠٠٣ فاقداً هويته. بتعبير اوضح، ان وحدة العراق تهدد امن اسرائيل والعكس صحيح، فان تقسيم العراق الى دويلات طائفية وقومية سوف يعزز من الامن القومي لاسرائيل^(٤٠)، وهذا هو احد الاهداف التي دفعت الولايات المتحدة الأمريكية الى احتلال العراق عام ٢٠٠٣ متحججة بذرائع اثبتت فيما بعد، وحسب اعتراف الامريكان انفسهم وحلفائهم، بأن هذه الذرائع كأمتلاك العراق اسلحة الدمار الشامل كانت ذرائع وهمية، الغرض منها خداع الرأي العام العالمي من اجل تبريرهم احتلال العراق.

الخاتمة:

بينت المعلومات الواردة في هذا البحث، ان اهمية العراق الاستراتيجية والاقتصادية، اعطت الدوافع للدول المستعمرة من احتلاله في كل قرن جديد يحل

على العالم، فقد احتل من قبل بريطانيا في العقد الثاني من القرن العشرين ، كما احتل من قبل الولايات المتحدة في العقد الاول من القرن الواحد والعشرين. ومهما يكن من امر هذين الاحتلالين، فكلاهما قد اتفقا في الاسلوب والهدف، فالاسلوب كان عسكرياً، والهدف كان تدمير العراق وسرقة ثرواته الاقتصادية، وذلك من اجل تهيئة المناخ السياسي الملائم ، موضوعياً وذاتياً بغية انجاح مشروع بريطانيا الذي صرح به وزير خارجيتها عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين (تصريح بلفور) .

بتعبير ادق، ان بريطانيا ادركت منذ وقت مبكر ان انشاء وطن قومي لليهود لا يمكن ان يتم الا بتطويق العراق بأحلاف استعمارية وذلك من اجل، مصادرة ارادته السياسية، وقد نجحت بريطانيا في ذلك ، حيث كانت الطبقة الحاكمة مرتبطة بها، لحماً وعظماً كما يقال، الامر الذي ساعد بريطانيا كثيراً بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، وانشاء (اسرائيل) عام ١٩٤٨ . ولكن مما قلب الامور رأساً على عقب هو سقوط الملكية في العراق على اثر انتصار ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ ، حيث استطاعت هذه الثورة ان تحرر العراق من الاحلاف الاستعمارية، وتتبنى ارادة وطنية مستقلة مما اقلق الدول الاستعمارية ولاسيما ، الولايات المتحدة الامريكية التي اخذت على عاتقها استكمال ما بدأت به بريطانيا في العراق ، حيث رأت الولايات المتحدة ان افضل سبيل لتدمير العراق واضعاف قدراته العسكرية والاقتصادية هو توريثه في حروب ونزاعات مع الدول الشقيقة والصديقة لينتهي الامر باحتلال العراق عام ٢٠٠٣ ، وذلك من اجل الحفاظ على الامن القومي لاسرائيل.

والسؤال الذي نثيره في هذا البحث هل الاحتلال قدر مكتوب ومحتوم على العراق ؟ والاجابة، حسب تقديرنا المتواضع ،ان احتلال العراق كان لسبب سوء سياسة الانظمة الحاكمة التي تعاقبت على حكمه، حيث ان استبدالها السياسي هو الذي فتح ابواب البلاد امام المحتلين لذا ان الاوان ان يشرع دستور دائم للبلد ، يكون الانتماء الى الوطن على اساس المواطنة وليس على اساس الطائفة او القومية ، وان يكون هناك تداولاً سلمياً للسلطة عبر انتخابات حرة نزيهة وذلك من اجل تجنيب البلاد والعباد من كل احتلال اجنبي مهين، واستبدال سياسي بغض.

الهوامش والمصادر:

١. كمال مظهر احمد، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨، ص٩-١٣.
٢. ينظر : رولف شتى ينغر، المانيا والشرق الاوسط منذ زيارة القيصر فيل هلم الثاني الى المشرق في العام ١٨٩٨ حتى الوقت الحاضر، ترجمة: لورنس الحناوي، مراجعة: رضوان السيد، ط١، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٨، ص١٣.
٣. المصدر نفسه، ص١٥.
٤. محمد عزيز شكري ، الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٧٨، ص٦٥.

٥. الفريد ليلينثال، هكذا يضيع الشرق الأوسط، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧، ص٢٤.
٦. فاضل زكي محمد، الاستراتيجية الامريكية في الشرق العربي. دراسة تحليلية للتطورات التي مرت بها الاستراتيجية الامريكية في الشرق العربي وموقفها من عدوان السويس ٥ حزيران، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٥.
٧. " السياسة الامريكية في الشرق الاوسط". نيكسون- فورد - كارتر - ريغان، اشرف على اعداده: ليلي بارودي ومروان بحيري، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شركة الخدمات النشرية المستقلة، قبرص، ١٩٨٤، ص١٠٢.
٨. شفيق عبد الرزاق السامرائي، القسم الاول: المشرق العربي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٠، ص٣١-٣٣.
٩. مور بيرجر، العالم العربي اليوم، نقلها الى العربية: محي الدين محمد، ط١، مطبعة سميا، بيروت، ١٩٦٣، ص١٧.
١٠. المصدر نفسه، ص١٩.
١١. علي المحجوبي، العالم العربي الحديث والمعاصر تخلف فاستعمار فمقاومة، ط١، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٦-٦٧.
١٢. محمد صبحي عبد الكريم واخرون، الوطن العربي ارضه وسكانه وموارده، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص٤٣٥-٤٣٦.
١٣. للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص٧-٤٢.
١٤. الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨: على اثر اغتيال ولي عهد النمسا والمجر على يد احد الشبان من البوسنة في ٢٨ تموز عام ١٩١٤، بدأت الحرب العالمية الاولى بين دول الحلفاء بزعامة بريطانيا وفرنسا، ودول الوسط بزعامة المانيا وايطاليا والنمسا والمجر وروسيا ثم انضمت اليها دول اخرى، انتهت الحرب عام ١٩١٨ بانتصار دول الحلفاء على دول الوسط للمزيد من التفاصيل ينظر: جلال يحيى، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر منذ الحرب العالمية الاولى الفترة المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩١.

١٥. للتفاصيل عن اتفاقية سايكس- بيكو: سميت بهذا الاسم نسبة الى موقعها السير مارك سايكس المندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الادنى، وفرانسو جورج بيكو القنصل الفرنسي في بيروت للمزيد من التفاصيل ينظر: متي عقراوي ، العراق الحديث تحليل لاحوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية واهميته الاجتماعية والتربوية ، تعريب: مجيد خدوري، ج١، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٦، ص٣٠-٣١؛ بسام عبد القادر النعماني ، الوطن العربي بعد قرن على سايكس- بيكو، -" المستنقبل العربي"(مجلة) ، بيروت، العدد ٤٤٦، نيسان ٢٠١٦، ص٧-٣٢.
١٦. نوار حازم العجيلي، دور العراق السياسي في الشرق الاوسط ١٩٣٢-١٩٥٨، مراجعة: سلمان خيرى الحديثي، ط١، مؤسسة تائر العصامي، بغداد، ٢٠١٨، ص٤٣-٤٧.
١٧. اللورد كيرزن Kerzen: سياسي بريطاني بارز عين وكيلاً لوزارة الهند عام ١٨٩١- ١٨٩٢، ووزيراً للخارجية عام ١٨٩٢-١٨٩٨ ، ثم نائب للملك في الهند حتى العام ١٩٠٥ للمزيد من التفاصيل ينظر: فيليب ويلارد ايرلند، العراق دراسة في تطوره السياسي .كتاب يبحث في نشوء الدولة العراقية وتقدمها، نقله للعربية: جعفر خياط، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٤٩، ص١٧-١٨.
١٨. فاضل حسين واخرون، تاريخ العاق المعاصر، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص١١.
١٩. صالح خضر محمد، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤ دراسة تاريخية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠، ص٣٨.
٢٠. نقلاً عن: فاضل حسين واخرون، المصدر السابق ، ص١١.
٢١. زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤. دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري ، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨، ص٣٥-٤٢.
٢٢. ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج١، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي ، ط١، منشورات الفجر، بغداد، ١٩٨٨، ص١٣٩.
٢٣. فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي . كتاب يبحث في نشوء الدولة العراقية وتقدمها، نقله الى العربية: جعفر خياط ، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٤٩، ص٦٥.
٢٤. المصدر نفسه، ص ب.

٢٥. نقلاً عن : سر ارنولد تي. ولسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولأئين خواطر شخصية
وتاريخية ، نقله للعربية وقدم له وعلق عليه: فؤاد جميل، تقديم ومراجعة: الدكتور علاء
نورس ، ج١، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١، ص٣٣.
٢٦. للتفاصيل عن سكة حديد برلين - بغداد ينظر: زكي صالح ، المصدر السابق،
ص٢٤٢-٢٥٣.
٢٧. بوند داريفسكس ، سياستان ازاء العالم العربي، ترجمة: خيرى الضامن ، دار التقدم،
موسكو، ١٩٧٥، ص ١٥٥.
٢٨. مجيد خدوري ، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق ، مطبعة الشعب، الموصل،
١٩٣٣، ص٧-٧٠.
٢٩. نوار حازم حافظ العجيلي ، المصدر السابق، ص٤٣-٤٧.
٣٠. تتظر مقدمة الاستاذ الدكتور هاشم التكريتي في : اسامة عبد الرحمن الدوري، تاريخ
العراق في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٧-١٩٢٠، ط١، دار الشرق للطباعة والنشر
، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٦.
٣١. عصبة الامم: هي اول منظمة عالمية للحفاظ على الامن والسلام الدوليين. تأسست عام
١٩٢٠. تكون ميثاقها من ٢٦ مادة. بلغ عدد اعضائها ٦٣ دولة. يقع مقر العصبة في
جنيف بسويسرا. لم تعمر العصبة اكثر من ١٩ عاماً، حيث انهارت بأندلاع الحرب
العالمية الثانية عام ١٩٤٥، وحلت محلها هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٦ للتفاصيل
اكثر عن عصبة الامم ينظر: صادق حسن السوداني، صفحات من تاريخ عصبة الامم
، ط١، دار الجواهري للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
٣٢. تتظر مقدمة الاستاذ الدكتور هاشم التكريتي في : اسامة عبد الرحمن الدوري، تاريخ
العراق في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٧-١٩٢٠، ط١، دار الشرق للطباعة والنشر
، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٦.
٣٣. جامعة الدول العربية: تأسست جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥، حيث وقع على
ميثاقها جميع الاقطار العربية. اذ نقلت الجامعة العربية الاقطار العربية من حالة
التعامل الفردي مع الاحداث السياسية الى حالة التعامل الجماعي، ولكن مع كل ذلك لم
تستطع الجامعة العربية من ان تقضي على الخلافات العربية الناشبة بين الاقطار
العربية . كان عبد الرحمن عزام اول امين عام للجامعة العربية للمزيد من التفاصيل

- ينظر: احمد فارس عبد المنعم ، جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٨٥ دراسة تاريخية
سياسية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
٣٤. للتفاصيل عن دور العراق في الجامعة العربية ينظر: عبد الله كاظم الدلفي، دور
العراق السياسي في جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٥٨، ط١، مكتبة الرائد العلمية،
الاردن، ٢٠٠٦.
٣٥. هيئة الامم المتحدة: وهي هيئة دولية تأسست عام ١٩٤٥. تعنى بحفظ السلم والامن
الدولي وذلك عن طريق حل المنازعات الدولية وفق مبادئ العدل والقانون الدولي للمزيد
من التفاصيل عن ميثاق الامم المتحدة ينظر: "ميثاق الامم المتحدة والنظام الاساسي
لمحكمة العدل الدولية"، نيويورك، ١٩٦٩؛ للتفاصيل عن دور العراق في هيئة الامم
المتحدة ينظر: رحيم كاظم محمد الهاشمي، محمد فاضل الجمالي ودوره السياسي
ونهجه التربوي حتى العام ١٩٥٨، مراجعة: كمال مظهر احمد، ط١، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص ٩٥؛ وعن الفروقات بين عصابة الامم وهيئة
الامم ينظر: صادق حسن السوداني ، المصدر السابق، ص ١٤-١٦.
٣٦. رحيم كاظم محمد الهاشمي ، المصدر السابق، ص ٤٣٢.
٣٧. حركة عدم الانحياز : تهدف هذه الحركة الى المحافظة على السلام الدائم ، والتزام
جانب الحياد تجاه المعسكرين الشرقي والغربي، عقد هذا المؤتمر في باندونغ عام
١٩٥٥، بدعوة من وزير خارجية اندونيسيا للتفاصيل عن هذا المؤتمر ينظر: عبد الرزاق
الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٩، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،
١٩٨٨، ص ١٩٧-٢٠٤.
٣٨. جراهام فولر، العراق في العقد المقبل: هل سيقوى على البقاء حتى عام ٢٠٠٣ ؟ ،
مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، د.ت، ص ٩.
٣٩. المصدر نفسه، ص ١٠٩.
٤٠. المصدر نفسه ، ص ١٢٩.

مخطط المستشرق برنارد لويس وأثره في منطقة المشرق العربي بعد عام ٢٠١١م

م.د. ضمياء عبد الرزاق خضير
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة :

إذا ما انطلقنا من الفرضية القائلة بأن الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، هي من أفرزت الدول العربية بعد تحريرها من قبضة الدولة العثمانية. إلا أننا نشهد في السنوات الأخيرة عملية تفتيت وتجزئة لتلك الدول وإثارة الاقتتال الداخلي فيها، أي تحويل المشرق العربي من العراق إلى لبنان إلى عقد ودويلات صغيرة محاطة بجيران كثر وأقوياء، لا تتمكن من إيجاد موطئ قدم لها مستقل في ظل النظام الدولي، وتكون عرضة باستمرار لتدخلات الخارجية وتنافسها ووصايتها.

منذ أوائل القرن العشرين، وهناك العديد من سرديات الهوية والحركات الإيديولوجية التي حاولت أن تطرح إجابة على التدخل الغربي بشؤون الدول العربية، وإن كان أكثر المتفقين العرب يواجه واقعه عبر المنظار الثقافي، فيلخص المشكلة على أنها فشل ديمقراطي، أو يختصر القرن الماضي بأكمله تحت عبارة "الاستبداد"، أو بسبب تخلف الأنظمة العربية. إلا أن كل تلك التفسيرات تختلف مع التفسير التاريخي الذي يسرد الكثير من الأنظمة الاستبدادية عبر التاريخ، أنظمة صادرت السياسة وقمعت المجتمعات المدنية، إلا أنها لم تنتج حروباً طائفية ودولاً قاصرة، لذلك لا يمكن لحجة الاستبداد، وحدها، أن تشكل تفسيراً، ولا هي، في ذاتها، تشرح شيئاً كثيراً عن تاريخنا ووضعنا الحالي ومشاكلنا.

ولكن بعد أن جاءت اتفاقية سايكس بيكو في عام ١٩١٦ لتقسيم المشرق العربي إلى دويلات وحدود صنعتها الدول الغربية لاسيما بريطانيا، وفرنسا. إلا أن وبعد مئة عام ظهرت نظرية ومخطط اخطر من تلك الاتفاقية، مخطط استعماري صاغته وأعلنته الصهيونية العالمية لتفتيت وتجزئة العالم الإسلامي وتحويله إلى فسيفساء تكون فيه إسرائيل هي من تملك السيادة العليا. وهنا ظهرت الوثيقة والنظرية التي أعدها المستشرق اليهودي برنارد لويس، وصادق عليها الكونغرس الأمريكي عام ١٩٨٣، ونظريته تقوم على أساس تقسيم المشرق العربي إلى أكثر من ثلاثين كيان على أساس طائفي، مذهبي، وقومي، متنافر وضعيف عن طريق نشر ما يعرف بالفوضى الخلاقة. إن التدخل والسطوة الأمريكية للمنطقة دون استئذان، ما هو إلا عوارض تعكس تفتت السيادة لمعظم دول المشرق العربي، كما انه نتيجة طبيعية ومنطقية لتحقيق هدفهم الأكبر بالتقسيم.

يهدف هذا البحث إلى دراسة المخطط والنظرية التي طرحها المستشرق برنارد لويس، ومن هو، وكيف وما هي نظريته للدين الإسلامي والدول العربية، وما هي نظريته وكيف يمكن تطبيقها، وما مدى تأثيرها على الثورات العربية التي قامت بعد عام ٢٠١١. لذلك، ارتأينه الكتابة عن هذه النظرية في البحث المعنون "مخطط المستشرق برنارد لويس وأثره على منطقة المشرق العربي بعد عام ٢٠١١". قسم البحث إلى أربعة مباحث، فضلاً عن المقدمة والخاتمة التي تضمنت أبرز ما نتج عن هذه النظرية. إذ تضمن المبحث الأول برنارد لويس

حياته ونشأته، أما المبحث الثاني الذي تناول نظرية برنارد لويس نشأتها وتطورها، وناقش المبحث الثالث تطبيق النظرية أو المخطط الاستعماري على واقع المشرق العربي، فيما تضمن المبحث الرابع ثورات عام ٢٠١١ في عدد من الدول العربية، وما مدى تأثيرها مخطط برنارد لويس عليها، وما نتج عنها.

المبحث الأول: برنارد لويس حياته ونشأته

ولد برنارد لويس في لندن لأسرة يهودية من الطبقة الوسطى عام ١٩١٦، ومنذ صغره اجتذبه اللغات والتاريخ، إذ انه اكتشف عندما كان شابا اهتمامه باللغة العربية ومن ثم انتقل بدأ بدراسة اللغة الآرامية والعربية، ثم بعد ذلك اخذ بدراسة اللغات الأخرى كاللأينية، اليونانية، الفارسية، والتركية. تخرج من جامعة لندن كلية الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٣٦، في حقل التاريخ مع تخصص في الشرق الأدنى والأوسط. وبعد ثلاث سنوات حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من الكلية ذاتها. ويذكر الكاتب عادل الجوجري في كتابه "برنارد لويس" أن المستشرق الإنكليزي تتلمذ على يد اثنين من أهم المستشرقين المعروفين في زمنه، وهما الإنكليزي هاميلتون جب والفرنسي لويس ماسينيون. ولم يتوقف عند هذا بل اخذ بدراسة القانون، إلا انه لم يكمل دراسته فيها، وفي عام ١٩٣٧ التحق بجامعة السوربون في باريس ليكمل دراساته العليا في الدراسات السامية، وفعلا حصل على الدبلوم فيها. ومن ثم رجع إلى كليته السابقة كمساعد محاضر في التاريخ الإسلامي^(١).

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، خدم في الهيئة الملكية المدرعة وهيئة الاستخبارات التابعة للجيش البريطاني، ثم نسب إلى وزارة الخارجية. وبعد انتهاء الحرب عاد إلى كلية الدراسات الشرقية والأفريقية إذ عين أستاذا في تاريخ الشرقيين الأدنى والأوسط. ويذكر الدكتور مازن مطبقاني في كتابه "من آفاق الاستشراف الأمريكي المعاصر"، أنه اشتهر عن لويس في ذلك الوقت ترحيبه بالطلبة العرب والمسلمين على يديه في جامعة لندن، وكان يساعدهم بكل الوسائل الممكنة. ومن أهم الطلبة المسلمين الذين درسوا على يدي لويس في تلك المرحلة، الدكتور سهيل زگار الذي أشرف لويس على رسالة الدكتوراه الخاصة به. ويذكر زگار أن لويس كان متسامحاً بشكل كبير مع الطلبة العرب والمسلمين الذين يشرف على أبحاثهم، إلى الحد الذي جعل سبعة عشر طالباً مسلماً يطلبون أن يسجلوا معه تحديداً ليُشرف على رسائلهم وأبحاثهم^(٢).

في عام ١٩٧٤، انتقل لويس للتدريس في قسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون الأميركية. ولأن عقده تطلب منه التدريس لفصل واحد خلال السنة، استطاع تخصيص وقت طويل لأبحاثه وظهرت معظم كتبه في تلك المدة. وفي أمريكا التي حصل على جنسيتها عام ١٩٨٢، عُرف لويس بكونه أحد أهم المتخصصين في التاريخ الإسلامي، بعدما نشر عشرات المقالات والأبحاث المهمة، فضلا عن قراءة الثلاثين كتاباً. وحظيت العديد من كتابات لويس بقبول كبير سواء في أوروبا أو في أمريكا، كما أن عدداً من كتبه مثل "أزمة الإسلام" و"أين يكمن الخطأ؟" استطاعت أن تتصدر مبيعات الكتب في الولايات المتحدة لوقت طويل. ولانجازاته العلمية ومقالاته، كرم من قبل المؤسسات العلمية وحصل على العديد من الجوائز. كان لبرنارد لويس تأثير على المجتمع ككل ليس بوصفه الاكاديمي فحسب، بل كباحث اجتماعي واقتصادي، إذ ابتدأ بدراسة عرب القرون الوسطى، لاسيما تاريخ سوريا. إلا أن اندلاع الصراع العربي الإسرائيلي اضطره للاتجاه إلى الدراسات التركية، لأنه منع من الدخول لمعظم الدول العربية. لذلك كرس معظم محاضراته للثقافات المهنية لمسلمي القرون الوسطى واعتمدت تلك المحاضرات كمادة أساسية لأكثر من ثلاثين سنة. وأدت سلسلة الأبحاث

والمحاضرات التي نشرها إلى تثوير تاريخ الشرق الأوسط عبر تقديمه صورة واسعة للمجتمع الإسلامي، تشمل الحكومات والاقتصاد والجغرافية السكانية^(٣). برزت آراء برنارد لويس خلال منتصف ستينيات القرن العشرين كمعلق وخبير على الشؤون الحديثة لمنطقة الشرق الأوسط وتحليله للصراع الفلسطيني الإسرائيلي قال عنه المؤرخ الأمريكي جول بنين من جامعة ستانفورد والمختص بدراسات الشرق الأوسط بأنه "لربما أكثر مناصري الصهيونية المتعلمين ذوي اللسان المبين في الأوساط الأكاديمية المعنية بالدراسات الشرق الأوسطية على قارة أمريكا الشمالية"^(٤)، وكان لاستشارات لويس تأثيرها الملحوظ بفضل سلطانه العلمي بمجاله البحثي. فقال عنه نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني: "إن صانعي السياسة والدبلوماسيين وأقرانه من الأكاديميين والإعلام الجديد يسعون يومياً إلى حكمته في هذا القرن الجديد".

لقد كان لبرنارد لويس آراء ماركسية تجلت في أول مؤلفاته الذي حمل عنوان أصول الإسلام السياسي، إلا أنه أصبح فيما بعد من أشد الناقدين للاتحاد السوفيتي والماركسية وتخلّى عن كل آراءه المناصرة لها. إذ ركز في أعماله اللاحقة والتي كانت رد فعل على مدرسة العالم الثالث والتي أصبحت من مدارس الفكر الرئيسة في الدراسات الشرق أوسطية. كما دعا لويس إلى توطيد وتقوية أوامر علاقات العالم الغربي مع دولتين من دول المنطقة وهما تركيا وإسرائيل والتي عدهما هامتان ولاسيما في ضوء المد الشيوعي السوفيتي في الشرق الأوسط آنذاك. ولدولة تركيا الحديثة مكانة خاصة من وجهة نظر لويس إزاء المنطقة بأكملها بسبب جهودها للانضمام إلى دول العالم الغربي المتقدمة. وكان لويس زميلاً شرفياً في معهد الدراسات التركية، وقد مُنحت له هذه العضوية على بناءً على تميزه في العمل البحثي وخدمته المتفانية في مجال الدراسات التركية^(٥).

المبحث الثاني: نظرية برنارد لويس نشأتها وتطورها

هنا كان يجب علينا أن نستعرض تاريخ ومواقف كل من الثلاثي البرناري، بداية ببرنارد لويس مُنظر فوضى وترسيم الشرق الأوسط الجديد، مروراً ببرنارد كوشنير وزير الخارجية الفرنسي المثير للجدل داخل فرنسا وخارجها، وصولاً إلى برنارد هنري ليفي عراب ما سمّي بالربيع العربي. صحيح أن الثلاثة يختلفون في مكان المولد والمهنة ولكن كان يجمعهم قاسم مشترك آخر بجانب الاسم والديانة وهو الانتماء للصهيونية، وتعبّر عقلية وفكر كل منهما عن مراحل مرّ بها وطننا العربي بعد انتهاء الحرب العالمية وحتى يومنا هذا.

في عام ١٩٤٠، عندما أعير برنارد لويس أثناء خدمته في الجيش البريطاني إلى وزارة الخارجية، أظهر براعته في رسم خرائط للشرق الأوسط على غرار خرائط سايكس بيكو، ولكن في هذه المرة كان التقسيم على أسس مذهبية وليس على حدود جغرافية، حتى قسّمت خرائطه وطننا العربي إلى دويلات مذهبية صغيرة، واعتبر ذلك هو تصحيح لأخطاء تقسيم سايكس بيكو. وبعد أن اختمرت أفكار برنارد لويس في عقول الكثيرين من أصحاب القرار في الغرب، أصدر بريجنسكي مستشار الأمن القومي الأميركي في أواسط السبعينات كتابه "بين جيلين"، والذي قال فيه "إن الشرق الأوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة يجمعها إطار إقليمي، فسكان مصر ومناطق شرق البحر المتوسط غير عرب، أما داخل سوريا فهم عرب، وعلى ذلك فسوف يكون هناك شرق أوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة على أساس مبدأ الدولة أو الأمة، فتتحول إلى كاتنونات طائفية وعرقية يجمعها إطار إقليمي كوندراي، وهذا سيسمح للكاتنونات الإسرائيلية أن يعيش في المنطقة بعد أن تنتهي فكرة القومية. وقبل ترك بريجنسكي لمنصبه بعام واحد أثناء حرب الخليج الأولى قال: "إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية

ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران، تستطيع أميركا من خلالها تصحيح حدود سايكس-بيكو^(٦).

وفي عام ١٩٨٣م اعتمدت الولايات المتحدة المشروع الذي قدمه برنارد لويس لتفتيت المشرق العربي ووافق عليه الكونغرس الأميركي بالإجماع في جلسة سرية، وفي العشرين من أيار عام ٢٠٠٥م، أثناء مقابلة إعلامية مع برنارد لويس قال الآتي بالنص "أما أن نضع العرب تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، فلا مانع من احتلالهم"^(٧). وعندما دعت أميركا عام ٢٠٠٧م إلى مؤتمر أنابوليس^(٨) للسلام كتب برنارد لويس في صحيفة وول ستريت "يجب أن لا ننظر إلى هذا المؤتمر ونتائجه إلا باعتبارها مجرد تكتيك مؤقت غايته التآلف ضد الخطر الإيراني، وتسهيل تفكيك الدول العربية والإسلامية ودفع الأتراك والكرد والعرب والفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضاً، كما فعلت أميركا مع الهنود الحمر"^(٩). من الواضح إن برنارد لويس من أوائل الذين نصحوا الولايات المتحدة بالتعامل والتقرب من جماعات الإسلام السياسي.

ومن هنا ننقل للبرنار الثاني ألا وهو برنار كوشنار أحد مؤسسي منظمة أطباء بلا حدود عام ١٩٧١، التي ترأسها حتى عام ١٩٧٩، ثم انتقل من الطب إلى السياسة وتولى منصب وزير الخارجية عام ٢٠٠٧، بمساعدة اللوبي الصهيوني في باريس في عهد الرئيس الفرنسي ساركوزي، وفور تسلم كوشنير وزارة الخارجية تلقى بهذه المناسبة الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية في القدس، فكانت فرحة الإسرائيليين كبيرة بتولي كوشنير ذلك المنصب، ولذلك لم يتأخر كوشنير في تقديم الشكر والعرفان لإسرائيل، وذلك عندما صرح قائلاً: "تسيبي ليفني^(١٠) صديقتي والإسرائيليون أهلي وأنا لا أريد أكثر من مساعدتهم"^(١١).

وبدأ استكمال المخطط بأهم حلقات الوطن العربي، ألا وهي لبنان الذي زاره كوشنير عشر مرات، ولم يتخل عن مهمته حتى بعد تركه مقر وزارة الخارجية الفرنسية. كما كان الأب الروحي لمؤتمر دعم المعارضة السورية الذي أقيم في باريس جالساً في الصفوف الأولى بين مندوب جماعة الإخوان المسلمين وأستاذه عراب الربيع العربي برنار هنري ليفني^(١٢)، وأينما تواجدت إسرائيل في مؤتمر كان كوشنير حاضراً، وهذا ليس غريباً على كوشنير الملقب بالحاخام^(١٣).

ومن برنار الحاخام تنتقل إلى البرنار الثالث برنار هنري ليفني، الملقب بـ برنار الجنرال، عراب عام ٢٠١١م عام الربيع العربي، سواء كان في تونس أو ليبيا أو مصر أو اليمن أو سوريا، وأحد أهم الجسور بين التنظيم الدولي لجماعة الإخوان وقادة الغرب. فبعد أن شارك العرب في ميادين ثوراتهم، صرّح علناً "إن الربيع العربي على أبواب الجزائر، وأنه يفعل هذا خدمة للصهيونية، وليس من أجل العرب". كانت بدايته في تموز عام ٢٠٠٤، عندما خاض حملة التحالف من أجل إنقاذ دارفور بمشاركة نجوم هوليوود، والتي رفعت شعار "العرب يذبحون السود"، مروراً بإقناع ساركوزي بالتدخل العسكري في ليبيا، وصولاً لدعمه تقسيم سوريا، وصارت كتبه عن تجربة كل ربيع في الشرق الأكثر مبيعاً في العالم^(١٤).

إن الهدف الرئيس من هذا المخطط الاستعماري، تفتيت العالم الإسلامي، وتجزئته وتحويله إلى كيانات ضعيفة ليكون فيه الكيان الصهيوني السيد المطاع، وذلك منذ إنشاء هذا الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام ١٩٤٨^(١٥). وعندما نبحت هذه الوثيقة الخطيرة لـ برنارد لويس فإننا نهدف إلى تعريف المسلمين بالمخطط، وخاصة الشباب الذين هم عماد الأمة وصانعوا قوتها وحضارتها ونهضتها.

نشرت صحيفة "ول ستريت جورنال" مقالاً قالت فيه: إن برنارد لويس المؤرخ البارز للشرق الأوسط وقد وقر الكثير من الذخيرة الأيدلوجية لإدارة بوش (الأب) في قضايا الشرق

الأوسط والحرب على الإرهاب؛ حتى إنه يُعتبر بحق منظوراً لسياسة التدخل والهيمنة الأمريكية في المنطقة. ونفس الصحيفة ذكرت، إن لويس قدم تأييداً واضحاً للحملات الصليبية الفاشلة، وأوضح أن الحملات الصليبية على بشاعتها كانت على الرغم من ذلك رداً مفهوماً على الهجوم الإسلامي خلال القرون السابقة، وأنه من السخف الاعتذار عنها. على الرغم من أن مصطلح "صدام الحضارات" يرتبط بالمفكر المحافظ "صموئيل هنتينجتون" فإن لويس هو من قدم التعبير أولاً إلى الخطاب العام، ففي كتاب "هنتينجتون" الصادر في ١٩٩٦ يشير المؤلف إلى فقرة رئيسية في مقال كتبها لويس عام ١٩٩٠، بعنوان جذور الغضب الإسلامي، قال فيها: "هذا ليس أقل من صراع بين الحضارات، ربما تكون غير منطقية، لكنها بالتأكيد رد فعل تاريخي منافس قديم لتراثنا اليهودي والمسيحي، وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لكليهما"^(١٦).

ولم يكتفي لويس بالتنظير السياسي، بل اخذ يطور روابطه الوثيقة بالمعسكر السياسي للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين؛ حيث يشير كريشت من معهد العمل الأمريكي إلى أن لويس ظل طوال سنوات رجل الشؤون العامة، كما كان مستشاراً لإدارتي بوش الأب والابن. وفي الأول من أيار عام ٢٠٠٦، ألقى "ديك تشيني" نائب الرئيس "بوش الابن" خطاباً يكرم فيه لويس في مجلس الشؤون العالمية في فيلادلفيا؛ حيث ذكر تشيني أن لويس قد جاء إلى واشنطن ليكون مستشاراً لوزير الدفاع لشؤون الشرق الأوسط، تمييزاً لمؤلفاته التي كانت نحو عشرين مؤلفاً عن الشرق الأوسط من بينها "العرب في التاريخ"، "الصدام بين الإسلام"، "الحداثة في الشرق الأوسط الحديث"، "أزمة الإسلام"، و"حرب مندسة وإرهاب غير مقدس"^(١٧).

لم يقف دور برنارد لويس عند استنفار القيادة في القارتين الأمريكية والأوروبية، وإنما تعدها إلى القيام بدور العراب الصهيوني الذي صاغ للمحافظين الجدد في إدارة الرئيس بوش الابن إستراتيجية في العداء الشديد للإسلام والمسلمين، وقد شارك لويس في وضع إستراتيجية الغزو الأمريكي للعراق؛ حيث ذكرت الصحيفة الأمريكية أن "لويس" كان مع الرئيس بوش الابن ونائبه تشيني، خلال اختفاء الاثنين على إثر حادثة ارتطام الطائرة بالمركز الاقتصادي العالمي، وخلال هذه الاجتماعات ابتدع لويس للغزو مبرراته وأهدافه التي ضمّنها في مقولات "صراع الحضارات" و"الإرهاب الإسلامي"^(١٨).

في مقابلة أجرتها وكالة الإعلام الأمريكية في العشرين من أيار ٢٠٠٥ معه قال الآتي "إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات، وتقوض المجتمعات، ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة؛ لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقدم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية- دون مجاملة ولا لين ولا هوادة- ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة، ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات

العرقية، والعصبية القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها،^(١٩)

المبحث الثالث: مخطط برنارد لويس لتقسيم الدول العربية

رحل المؤرخ والمستشرق في تاريخ الشرق الأوسط والشرق العربي، برنارد لويس عام ٢٠١٦، عن عمر ناهز ١٠١ أعوام، بعد عمر طويل في العمل الأكاديمي ومخطط مشروع سايكس بيكو الثانية، لتقسيم الدول العربية والإسلامية. وحسب صحيفة واشنطن بوست، فقد شكلت أعماله وجهة النظر الغربية تجاه قضايا الشرق الأوسط، وصراع الحضارات، وعلى مدار سنواته عمله، نتج عنه أكثر من ثلاثين مؤلفاً ومئات المقالات والمحاضرات بأكثر من عشر لغات، تحدث معظمها عن خطوط ومعالم المشرق العربي والشرق الأوسط الحديث، كالانقسامات الطائفية، وعود "الإسلام الراديكالي"، و"الدكتاتورية الراسخة" المدعومة نسياً من الغرب. وقد اكتسبه مشروعه مكانة مرموقة بين الساسة، بدءاً من إسرائيل ومروراً باهتمام المخابرات البريطانية به، واستقبال البابا يوحنا بولس الثاني، وانتهاء باستقطاب ساسة واشنطن له حينما انتقل إلى الولايات المتحدة للتدريس في جامعة برنستون عام ١٩٧٤، كما ذكرنا سابقاً. وهو المعروف تاريخياً بمهندس تقسيم المشرق العربي إلى دويلات صغيرة ضعيفة على أساس عرقي وطائفي ومذهبي في سبيل تحقيق حلم دولة ما يسمى "إسرائيل الكبرى"، والسيطرة على الأماكن الغنية بالنفط والثروات الطبيعية^(٢٠).

يعد برنارد صاحب أول مخطط لتقسيم المنطقة العربية، وصاحب نظرية أن الاستعمار للشعوب العربية نعمة تخلصهم من آفة الجهل والتخلف التي زرعتها الأديان السماوية ولاسيما الإسلام، وبرز اسمه بقوة عندما وضع أول مخطط مكتوب مدعماً بالخرائط لتقسيم الدول العربية، حيث وضعه عام ١٩٨٠ في أعقاب تصريحات أدلى بها مستشار الأمن القومي الأمريكي بريجيسينكي، قال فيها: "إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة الأمريكية من الآن فصاعداً هي كيف ستشعل نيران حرب خليجية ثانية تستطيع خلالها تصحيح حدود سايكس بيكو في المنطقة". ولتحقيق الحلم الأمريكي، كلفت وزارة الدفاع الأمريكية برنارد لويس لوضع مخطط التقسيم، وجاء في هذا المخطط: تقسيم ١٨ دولة عربية إلى مجموعة دويلات صغيرة تعيش إلى جانب دولة إسرائيل الكبرى. وفي هذا المخطط ظهرت الدول العربية والإسلامية مقسمة إلى عدة دويلات صغيرة^(٢١).

فدولة مصر مقسمة على أربع دويلات، دولة تضم سيناء وشرق الدلتا تحت النفوذ الإسرائيلي، وثانية مسيحية عاصمتها الإسكندرية، أما الدولة الثالثة فهي الدولة النوبية وتضم القرى النوبية في جنوب البلاد إلى مناطق من جنوب السودان لتكون عاصمتها أسوان، فضلا عن دولة رابعة إسلامية عاصمتها القاهرة. أما العراق فمقسم إلى ثلاث دويلات، دولة شيعية في الجنوب حول البصرة، وأخرى سنية، وثالثة كردية تفتتح أراضي عراقية وسورية وإيرانية. وسوريا قسمت إلى أربع دويلات على أساس ديني ومذهبي، وهي دولة علوية على امتداد الشاطئ، وأخرى سنية في منطقة حلب، وثالثة سنية أيضا في منطقة دمشق، ورابعة درزية في الجولان ولبنان. أما السودان فقد تحققت رؤية برنارد لويس في تقسيمها حيث انفصل جنوبها في ٢٠١١ بعد استفتاء شعبي، وما زال إقليم دارفور يسعى للانفصال منذ اشتعال النزاعات به عام ٢٠٠٣، على خلفيات عرقية وقبيلة ليحقق كامل مخططه في تقسيم الدول إلى ثلاث دويلات^(٢٢).

أما شبه الجزيرة العربية فقد ظهرت في الخرائط، وقد تم إلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية من الخارطة ومحو وجودها، إذ تضمنت شبه الجزيرة والخليج ثلاث دول فقط هي دولة الإحساء الشيعية وتضم الكويت، الإمارات، قطر عمان، والبحرين، ودولة نجد السنية، ودولة الحجاز السنية. وبعد أن أتم رسم خارطة الدول العربية، صرح قائلاً: "أن العرب والمسلمين قوما فاسدين ومفسدون وفوضيون لا يمكن تحضرهم، وإذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات، ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافتهم الدينية"^(٢٣). في عام ١٩٨٣م وافق الكونكرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع برنارد لويس، وبذلك تمّ تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية. تفاصيل المشروع الصهيوني لتفتيت العالم العربي في ضوء نظرية برنارد لويس، كالتالي:

- أ- جمهورية مصر العربية أربع دويلات،
- ١- سيناء وشرق الدلتا، تحت النفوذ الإسرائيلي لتحقيق الحلم اليهودي من النيل إلى الفرات.
 - ٢- الدولة النصرانية، عاصمتها الإسكندرية، وتمتد من جنوب بني سويف حتى جنوب أسيوط، وتتسع غربا لتضم الفيوم لتمتد في خط صحراوي عبر وادي النطرون ليربط بالإسكندرية.
 - ٣- دولة النوبة، المتكاملة مع الأراضي الشمالية السودانية وتكون أسوان عاصمتها، إذ تبدأ من الجزء الجنوبي الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان، ومن ثم تربط بمنطقة الصحراء الكبرى مع دولة البربر التي تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر.
 - ٤- دولة مصر الإسلامية، عاصمتها القاهرة^(٢٤).
- ب- السودان، أربع دويلات
- ١- دويلة النوبة، التي تتكون من دويلة النوبة في الأراضي المصرية.
 - ٢- دويلة شمال السودان.
 - ٣- دويلة جنوب السودان المسيحي.
 - ٤- دويلة دارفور^(٢٥).
- ج- دول الشمال الإفريقي، أي ليبيا، الجزائر، والمغرب لتصبح ثلاث دول.
- ١- دولة البربر وتمتد على امتداد دويلة النوبة في مصر والسودان.
 - ٢- دويلة البوليساريو.
 - ٣- وما تبقى من أراضي المغرب وليبيا والجزائر وتونس يصبح دولة بمفرده^(٢٦).
 - د- شبه الجزيرة العربية، إلغاء كل من الكويت، قطر، البحرين، سلطنة عمان، اليمن، والإمارات العربية من الخارطة وإلغاء وجودها الدستوري إذ تصبح الجزيرة العربية والخليج ثلاث دويلات.
 - ١- دويلة الإحساء الشيعية، وتضم الكويت، الإمارات، قطر، عُمان، والبحرين.
 - ٢- دويلة نجد السنية
 - ٣- دويلة الحجاز السنية^(٢٧)
 - هـ - العراق تقسيمه على أسس دينية وعرقية ومذهبية إلى ثلاث دول.
 - ١- دولة شيعية في الجنوب حول البصرة
 - ٢- دولة سنية في وسط العراق حول بغداد
 - ٣- دولة كردية^(٢٨) في الشمال الشرقي حول الموصل تبنى على أجزاء من الأراضي العراقية الإيرانية والسورية التركية^(٢٩).
 - ع- سوريا يتم تقسيمها إلى أربع دويلات متميزة عرقيا، ومذهبيا، ودينيا.
 - ١- دولة علوية شيعية
 - ٢- دولة سنية في حلب
 - ٣- دولة سنية حول دمشق
 - ٤- دولة الدروز في الجولان ولبنان وتمتد من الأراضي الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضي اللبنانية^(٣٠).
 - غ- لبنان يتم تقسيمها إلى ثمان كانتونات عرقية ومذهبية ودينية.
 - ١- دويلة سنية في الشمال عاصمتها طرابلس
 - ٢- دويلة مارونية شمالا عاصمتها جونيه
 - ٣- دويلة سهل البقاع العلوية عاصمتها بعلبك
 - ٤- بيروت

٥- كانتون فلسطيني حول صيدا وحتى نهر الليطاني يكون تحت نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية.

٦- كانتون كتائبي في الجنوب يضم مسيحيين وشيعة

٧- دولة درزية تمتد من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية

٨- كانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي^(٣١).

المبحث الرابع: ثورات الربيع العربي عام ٢٠١١

يعد عام ٢٠١١ عاما مفصليا في تاريخ الوطن العربي الحديث، إذ تفجرت فيه الاحتجاجات الشعبية التي أدت إلى سقوط أنظمة قائمة، وإلى صعود قوى سياسية وجماعات تنظيمية متطرفة، فضلا عن قيام حروب أهلية.

انطلق الربيع العربي من تونس في السابع عشر من كانون الأول عام ٢٠١١، وانتهى بسقوط نظام الرئيس زين العابدين بن علي. ولكن سقوط النظام التونسي قاد البلاد إلى صراع داخلي بين القوى السياسية الإسلامية والأحزاب السياسية والقوى المجتمعية مما ادخل البلاد في صراع سياسي داخلي تمكن فيه الإسلاميين من الفوز بسدة الحكم^(٣٢). أما في مصر فقد وقعت ثورة الخامس والعشرين من كانون الثاني (ثورة يناير)، والتي كانت نتيجتها تنحي الرئيس محمد حسني مبارك عن الحكم. وفي خلال الفترة الانتقالية تمكن حزب الإخوان الإسلامي من استلام سدة الحكم فيها، إلا أن حكمهم لم يستمر أكثر من عام إذ ثار الشعب المصري بمساندة الجيش ضد حكمهم في الثالث من تموز عام ٢٠١٣، وتم عزل محمد مرسي^(٣٣).

وفي السابع عشر من شباط عام ٢٠١١، اندلعت ثورة في ليبيا ضد نظام العقيد معمر القذافي، وتولى الحكم مؤقتا المجلس الوطني الانتقالي. ألا أن ليبيا لا تزال تعيش حالة الانقسام وتصادت النزاعات الانفصالية وانتشار تنظيم داعش الإرهابي، فضلا عن تدمير البنى التحتية^(٣٤). ولكن على الرغم من أن هذه الثورات قامت ضد استبداد الحكام وطغيانهم، إلا أن في الوقت ذاته أدت إلى انهيار اقتصادي وتشريد شعوب الربيع العربي ما بين لاجئ ومفقود.

وقد اصدر المنتدى الاستراتيجي العربي تقرير وضح فيه الانهيار الاقتصادي للشعوب العربية التي انتفضت ضد أنظمتها الحاكمة، إذ بلغت حجم الخسائر ٨٣٣,٧ مليار دولار شاملة تكلفة إعادة البناء وخسائر الناتج المحلي، كما تناول التقرير نتائج هذه التداعيات وانعكاسها السلبي على التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة. كما أشار التقرير فضلا عن الخسائر المادية إلى الخسائر البشرية بنحو ١,٣٤ مليون ما بين قتيل وجريح بسبب الحروب والعمليات الإرهابية^(٣٥).

هنا يمكن طرح سؤال بعد تسع سنوات من ثورات الربيع العربي، التي اجتاحت بشكل متزامن أحيانا ومتعاقب أحيانا أخرى دولاً عربية عدة، وبحساب ما آلت إليه الأمور، هل ما حدث كان أمراً عفويًا، أم أن هناك أياد خفية كانت تحرك الأحداث أو تشعل الشرارة؟ كما تتصاعد شكوك كثيرة حول دور من وراء الكواليس، لدول وأجهزة مخابرات وشخصيات لعبت أدواراً ثم اختفت. على الرغم من أن هناك من يعد الحديث عن أيدي خفية، يعني تجريد الشعوب من إشعال الاحتجاجات أو الثورات ونسبته إلى جهات أخرى غير وطنية، أو من خارج المنطقة.

لكن ما هو ثابت بالأدلة أن هناك دول بما بينها عربية لعبت دوراً كبيراً في ثورات الربيع العربي، لا سيما الباحثة عن دور إقليمي أكبر من حجمها، لذلك سخرت أموالها وإعلامها لدعم ومساندة الجماعات المتطرفة. هناك من وجه أصابع الاتهام لدولة قطر، على الرغم انه يمكن

عدها مجرد مشارك في مخطط أكبر منها، وهي تنفذ الدور المطلوب منها فقط. ومحركها الأساسي هو الانفراد بدور إقليمي أكبر منها حجماً، بحيث تبقى قطر الحليف الموثوق به لدى الغرب لا سيما الولايات المتحدة، والتقدم خطوة إلى الأمام بالاعتراف بإسرائيل وقيادة العرب نحو التطبيع وفق الشروط الإسرائيلية. هذا الدور المرسوم يقود إلى الحديث عن المحرك الرئيس ألا وهي إسرائيل باعتبارها المستفيد من ثورات الربيع العربي لأن كل ما يسهم في إضعاف القومية العربية والوحدة العربية ومؤسساتها ومشروع النهضة العربية، يصب في مصلحتها. فما شهدته الوطن العربي بعد ثورة شعوبه من تنامي العنف، وتأجيج الصراعات الدموية، والحروب القائمة على أساس الطائفية والدين والمذهب والإثنيات، يؤكد صحة ما كشف النقاب عنه من مخططات دبرت في الخفاء، لاستهداف العرب إقليمياً وقومية بعد مئة عام من المخطط الأول لتقسيم المنطقة (اتفاقية سايكس-بيكو)، لا سيما بعد أن أيقظت ثورات التحرر العربي الأمل في أحياء الوحدة السياسية والجغرافية، تمهيداً لمواجهة إسرائيل واجتثاثها من المنطقة، ولاسيما أن الأخيرة كانت تعول بعد كامب ديفيد، ووادي عربة، ومؤتمر مدريد واتفاقية أوسلو، على أن تكون جزءاً من المنطقة منزوعة الصفة العربية، مفضلة مصطلح الشرق الأوسط لتكون وحدها من تمتلك القوة الاقتصادية والعسكرية فيها^(٣٦).

وعقب فشل المشروع الذي طرحه رئيس الوزراء الأسبق شمعون بيريز، وتولت المشروع مراكز بحثية في جامعات أمريكية، أخرجته بصيغة جديدة ورعته اللوبيات الإسرائيلية النافذة في الولايات المتحدة، ويقوم على تقسيم الدول العربية بحدودها الحالية، بحيث تفتت هذه الدول إلى دويلات صغيرة متشرذمة، تقوم على أسس طائفية دينية ومذهبية وإثنية، وهو الوضع الذي يسمح لإسرائيل بأن تكون دولة في المنطقة شرعية الوجود والحضور، إلى جانب امتلاكها القوة والمال والنفوذ والديمقراطية المزعومة، لتقود المنطقة وتلحقها بعجلتها الاقتصادية. وقد كشف النقاب منذ مطلع الألفية الثالثة عن مخطط لإعادة ترتيب الشرق الأوسط والمشرق العربي. وتحدث نائب الرئيس الأمريكي الأسبق ديك تشيني، عن إعادة خلق المنطقة العربية، وتحدثت وزيرة الخارجية ومستشارة الأمن القومي السابقة في البيت الأبيض كوندوليزا رايس، في عهد الرئيس جورج بوش (الابن) عن الفوضى الخلاقة، لإعادة رسم خرائط المنطقة وإعادة تشكيل الشعوب على الأسس الطائفية الدينية والمذهبية والإثنية، وفق قواعد مدروسة ودقيقة تضمن بقاء إسرائيل وتفوقها النوعي اقتصادياً وعسكرياً. وكما اشرفنا سابقاً أقر الكونجرس الأمريكي في ١٩٨٣ ما بات يعرف بـ وثيقة برنارد لويس، مُنظر السياسة الأمريكية في المنطقة العربية والتي تعد أخطر مخطط طرح في القرن العشرين لتفتيت المشرق العربي والشرق الأوسط، إلى أكثر من ثلاثين دويلة إثنية ومذهبية. وقد نشرت الوثيقة أول مرة بمجلة وزارة الدفاع الأمريكية، مرفقة بمجموعة من الخرائط التي توضح تقسيم كل دولة عربية، والهدف النهائي هو تحويل المنطقة العربية إلى فئات مذهبي وطائفي وعرقي متنافر، بما يقود إلى إخضاع المنطقة نهائياً لإسرائيل^(٣٧).

وما يؤكد الدور الضليع لإسرائيل في كل تلك الثورات، الحضور اللافت لبرنارد هنري ليفي على الدوام في ثورات ٢٠١١ العربية، فقد أنزل العلم الأخضر الذي اعتمده ليبيا، رداً على اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٧، ورفع العلم الملكي، ووضع خريطة التقسيم الجاهزة المعالم لليبيا. وكان يتجول في ضواحي بنغازي، ومصراتة، وطرابلس، وتكرر ظهوره في الجزائر، مع زعيم حزب التجمع من اجل الثقافة والديمقراطية سعيد سعدي، كما كان له حضور في التظاهرات التي اجتاحت شوارع تونس، قبل سقوط زين العابدين بن علي، وفي ميدان التحرير وسط القاهرة، وأعادت صحف ومجلات أمريكية مثل فاينانشال تايمز، ونيويورك تايمز، وواشنطن بوست، ومجلة تايم، نشر الخرائط في خطة برنارد لويس، الذي يؤكد فيها، أن

الطبيعة والتركيبية القبلية والعشائرية للدول العربية على مر السنين، تجعل من المستحيل على العرب بزعمه تكوين دولة بالمعنى الحديث، وذلك لأنهم مؤسسون على مجتمع محكوم بالنظام الطائفي. ويرى أن على أمريكا استثمار هذه التناقضات العرقية والعصبيات القبلية والطائفية، لتصب في مصالحها الإستراتيجية بالمنطقة، بالتزامن مع استخدام السياسة الاستعمارية البريطانية «فرق تسد»^(٣٨).

يعتقد الكثير من المفكرين العرب أن واحدة من النتائج الكارثية التي نجمت عما يسمى ثورات الربيع العربي، كانت استهداف الدولة المدنية الحديثة، وتفكيك الدولة القائمة على التعاقد الاجتماعي، وتدمير كل المكتسبات الوطنية، وتدمير المشروع النهضوي العربي، والعودة بالبلاد العربية إلى قرون سالفة، ومن هذه الظواهر التي طفت على المسرحين الجغرافي والسياسي، طغيان الأحزاب الدينية والمذهبية، وبروز جماعات تتبنى العنف باسم الدين لتحقيق الدولة الثيوقراطية، مثل تنظيم داعش الإرهابي والأحزاب التي تدعي الإيمان بالديمقراطية والتعددية للوصول إلى سدة الحكم، وعندما تبلغ غايتها تتبنى مناهج الاستئصال والإبعاد والتمكين لنفسها، ونسف المؤسسات الديمقراطية.

إذا كان الدافع الأول للانتفاضات الشعبية إعلاء شأن الدولة المدنية الحديثة ورفض دولة الطغيان، فإن إحدى النتائج التي ترتبت على هذا الهدف، النكوص عنه ومحاولة العودة بالدولة الحديثة إلى عهد الظلامية. أي إن الهدف جاء بنتيجة عكسية لا تتماشى مع الطموحات التي حركت الجماهير للنزول إلى الشوارع للمطالبة بالتغيير، واسترداد الدولة الحديثة التي تقوم على التعاقد الاجتماعي والمؤسسات، وسيادة القانون، والفصل بين السلطات، والتعددية، وتداول السلطة، والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان.

وقد حاولت أحزاب دينية وطائفية ومذهبية ومناطقية، وجماعات إرهابية اختطاف ثورات الربيع العربي وتجيرها لصالحها، ولصالح مشروعاتها التي تضاد الدولة المدنية الحديثة. ولتجنب هذا المصير، المطلوب نظام ديمقراطي حقيقي يقوم على التداول السلمي للسلطة، التعددية التي تتنافس الأحزاب السياسية فيها عبر برامج واقعية تحترم النظام الديمقراطي، ولا مكان في هذا النظام للأحزاب العفانية غير السياسية، وإعلاء ثقافة المجتمع المدني، والدستور القوي الذي يمنع إفراغ النظام السياسي من محتواه المدني، ويقدم المؤسسات التي يحتكم إليها الجميع في إطار القانون الأساسي للدولة. إن الدولة المدنية الحديثة الديمقراطية، القائمة على المؤسسات الحقة تكفل الحقوق للجميع، وتسهم في ترقية التطور الحضاري والترقي الاجتماعي والتقدم الاقتصادي، بالقيم المدنية والعدالة الاجتماعية والتعليم والعلم والتكنولوجيا، وتحقيق الرفاهية للشعب وخدمته ومستقبله^(٣٩).

الخاتمة :

سار برنارد لويس على منهج الاستشراق التقليدي في دراسته للعقيدة الإسلامية، والفرق الإسلامية، إلا أنه توسع في مجال تخصصه، فقد لوحظ اهتمامه بالدراسات الإقليمية وبالواقع العربي المعاصر وبالقضايا السياسية والدينية والاقتصادية في المشرق العربي، لا سيما مسألة الصراع العربي الإسرائيلي. ما يوضح ارتباطه العميق بالصهيونية العالمية لأن من خلال طرحه لنظريته التي تهدف إلى تقسيم العالم العربي الإسلامي إلى دويلات ضعيفة ما هو إلا انحياز واضح وصريح لمذهب سياسي واحد وهو الصهيونية.

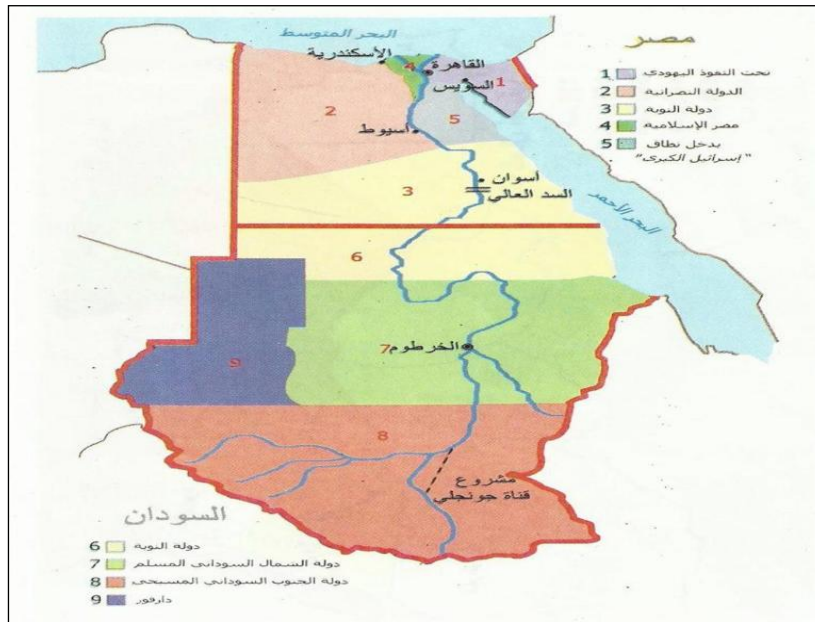
اهتم برنارد لويس في السنوات الأخيرة بالقضايا المعاصرة، وكان من أهم المواضيع التي تناوله في معظم بحوثه ومؤلفاته المذاهب الفكرية ومنها القومية، والتي لم يخرج فيها عن النظرة الأوروبية البحتة دون النظر بعمق مع اعترافه بتركيز المسلمين على رابطة العقيدة.

لذلك ركز في طرح نظريته على أسلوب تحذير الغرب من الولاء الديني في العالم الإسلامي، فضلا عن استخدامه لمنهج التحريض ضد العقيدة الإسلامية والاستهزاء بالرابطة الدينية التي تجمع العالم الإسلامي. لذلك يمكن عده من المساهمين في انتشار الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام، لأنه وبحسب نظريته الاستعلانية، إن الأمم الأخرى غير مؤهلة للوصول إلى مستوى الشعوب الغربية، ولا سيما المسلمين الذين لم يعرفوا طوال تاريخهم التمثيل النيابي والمجالس الدستورية، إذ لم يعرفوا سوى الحكم الاستبدادي. لذلك، كان يؤكد دائما أن أوربا هي المركز الأول في كل شيء.

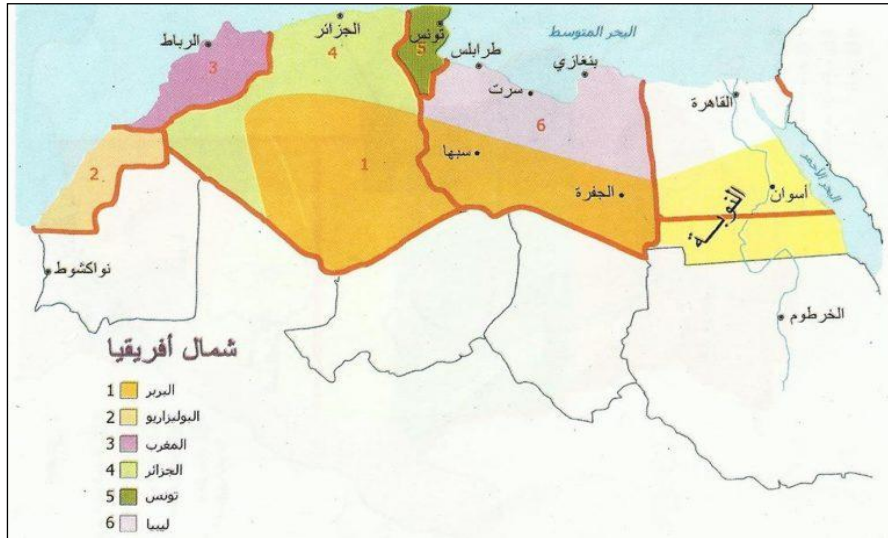
كما يلاحظ في منهجه ابتعاده في تناول القضايا المعاصرة عن تسمية المنطقة بالعربية الإسلامية، بل كان يصر على إطلاق تسمية مسمى الشرق الأوسط، وذلك لكي يفسح المجال لإسرائيل لأخذ دورها فيها.

ارتبط اسم المستشرق برنارد لويس بالأحداث والمتغيرات السياسية التي وقعت في الشرق الأوسط، ولاسيما بعد اندلاع ثورات الربيع العربي عام ٢٠١١. فقد عدت غالبية القوى الرافضة لتلك الثورات توقعاته ضمن خطة غربية أمريكية ممنهجة لتقسيم الشرق العربي والشرق الأوسط وتفتيت الكيانات السياسية، والدول القومية الموجودة فيه. تلك الآراء أعلنت أن المستشرق البريطاني اليهودي، صاحب الجنسية الأمريكية، هو المنظر الفكري الأول لتلك الخطة الامبريالية، التي قصد بها إضعاف الدول العربية، عن طريق اختلاق النزاعات العرقية والمذهبية والأثنية، وتركها في النهاية لتكون فريسة لأتون الحرب الأهلية والنزاعات الطائفية المدمرة. والآن بعد أكثر من ٣٠ عامًا من ظهور خرائطه ومخططه لم تعد هذه الخرائط دربًا من الخيال وإمعانًا في نظرية المؤامرة، فبعض الدول قسمت بالفعل كالسودان، وأخرى تم تقسيمها عرقيا ومذهبيا دون اعتراف رسمي، ودول عربية على حافة الانهيار والتقسيم كسوريا وليبيا واليمن.

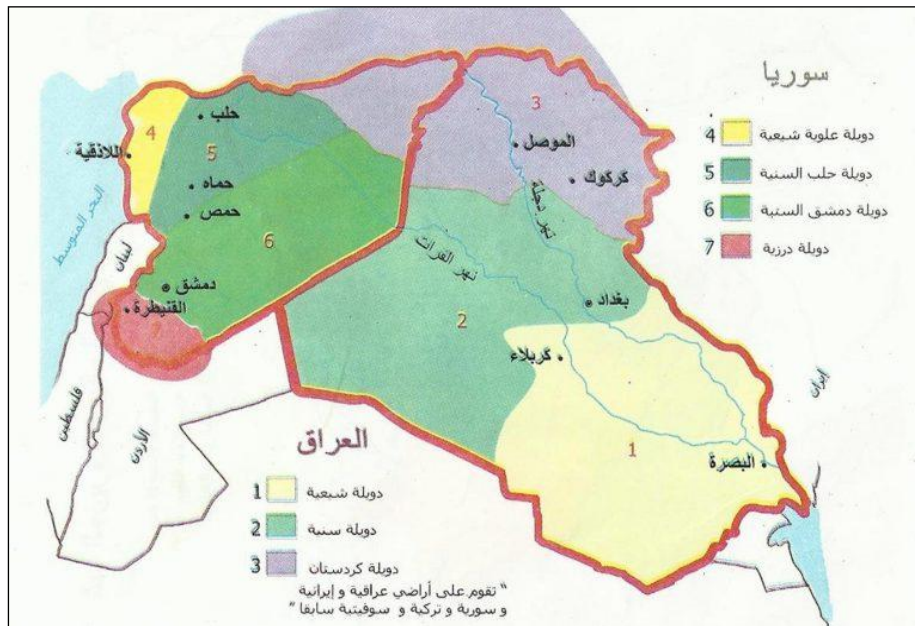
الملحق رقم (١)



ملحق رقم (٢)



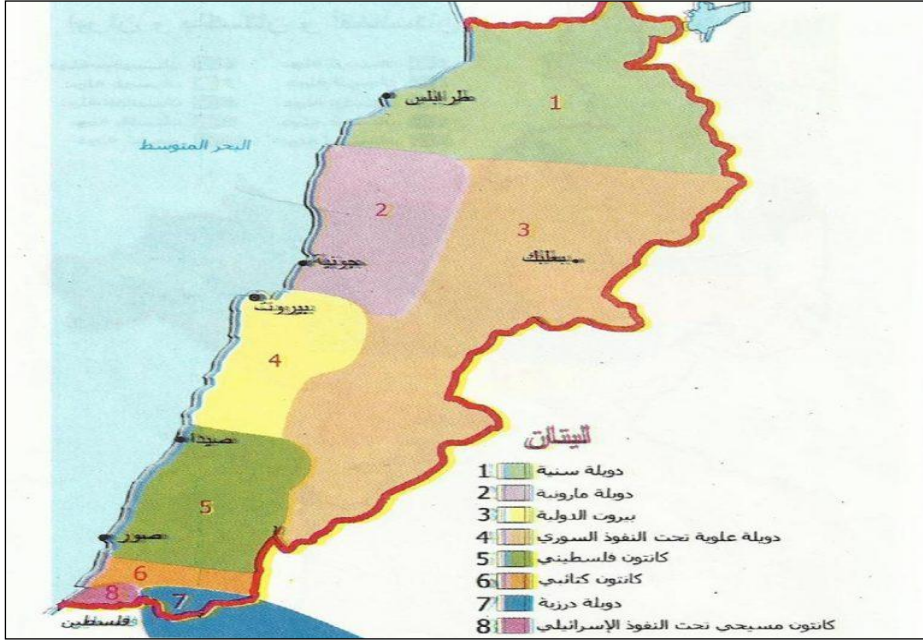
ملحق رقم (٣)



ملحق رقم (٤)



ملحق رقم (٥)



المصادر والهوامش :

١. مازن صلاح مطبقاني، منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، الرياض، ١٩٩٣، ص ١٩.
٢. ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مالطا، ١٩٩١، ص ٢٢.
٣. عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون باللغة الانكليزية، ترجمة، قاسم السامرائي، الرياض، ١٩٩١، ص ٦٥.
4. Beinin، Joel "Review of Semites and Anti-Semites: An Inquiry into Conflict and Prejudice by Bernard Lewis". MERIP Middle East Report (147) (July 1987) P. 42-45.
٥. يعتبر أحد أبرز منكري الإبادة الجماعية الأرمنية حيث تغير موقفا جذريا من الاعتراف بوقوع المجازر التي أودت بحياة أكثر من مليون ونصف إنسان على يد العثمانيين إلى رفض تسمية ما حدث بالمجزرة واعتبارها "أعمال مؤسفة أودت بحياة أتراك وأرمن على حد سواء، أدى موقفه هذا إلى محاكمته في فرنسا حيث قررت المحكمة كونه مذنبا بتهمة إنكار مذبحه الأرمن وتغريمه مبلغ رمزي قدره فرنك فرنسي واحد. للمزيد انظر: محمد الخير عبد القادر زكنة، نكبة الأمة بسقوط الخلافة العثمانية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٣١.

٦. جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة عمر الاسكندراني، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤٦.
٧. عاصم حمدان، ملامح التأثير الصهيوني في الفكر الاوربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣، ص ٢٢.
٨. مؤتمر انابوليس: في السابع والعشرون من تشرين الثاني عام ٢٠٠٧، دعت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أربعين دولة ومنظمة دولية، لحضور مؤتمرها في كلية البحرية للولايات المتحدة في انابوليس ماريلاند. وقد سعت فيه إلى التوصل إلى اتفاقية سلام فيما بين الحكومة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية، وأحياء خارطة طريق جديدة. انتهى المؤتمر بإصدار بيان مشترك بين الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود اولمرت، يقضي ببدء مفاوضات لتوصل إلى حل نهائي فيما بينهم. للمزيد انظر:
<https://ar.wikipedia.org/wiki>
٩. فؤاد فرسوني، بين الدراسات الإقليمية والدراسات الاستشراقية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٣.
١٠. تسيبي ليفني: ولدت عام ١٩٥٨ في تل أبيب، وكان والداها أعضاء في الارجون، انضمت في بداية مشوارها السياسي إلى حركة بيتار اليمينية. خدمت في معهد التأهيل العسكري وحصلت على رتبة ملازم، ومن ثم التحقت بالموساد، إذ قامت بالعديد من العمليات الخاصة. تدرجت في المناصب السياسية من عضو في الكنسيت إلى أن أصبحت حتى أصبحت وزيرة خارجية إسرائيل ومن ثم زعيمة حزب كاديما. للمزيد انظر:
<https://www.alarabiya.net/articles/2009/01/14/64228.html>
١١. فؤاد فرسوني، المصدر السابق، ص ٨١.
١٢. برنار هنري ليفي: وهو من عائلة يهودية جزائرية ثرية ولد في مدينة بني صاف في شمال الجزائر، انتقلت عائلته من الجزائر إلى فرنسا. أكمل دراسته في ثانوية لويس لوجراند بباريس ومن ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا وتخرج منها عام ١٩٨٦، في تخصص الفلسفة. وقد عرف بتعصبه القوي لإسرائيل عندما يتعلق الأمر بمصالحها وأمنها، فقد رفض وصف حروبها على غزة بالإبادة، وصرح عام ٢٠١٠ إثر العدوان الإسرائيلي المدمر على غزة بأن "الجيش الإسرائيلي أكثر الجيوش أخلاقية وديمقراطية"، وهو القائل إن الجولان "أرض مقدسة" كما أنه يوظف ثقافته الفلسفية والأدبية لصالح "المحرقة اليهودية". احتل ليفي صدارة الأحداث في فرنسا والعالم لا سيما خلال ثورات الربيع العربي التي انطلقت من تونس مطلع عام ٢٠١١، حيث ظهر في عدد من بلدان الربيع العربي. للمزيد انظر:
[.https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/11/26](https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/11/26)
١٣. رضوان السيد، اليهودية والصهيونية في الاستشراق، لبنان، ٢٠١٥، ص ٢٣.
١٤. عاصم حمدان، المصدر السابق، ص ٦٣.

١٥. رضوان السيد المصدر السابق، ص ٤٥.
١٦. ادوارد سعيد، تحديد السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، مجلة المجلة، العدد ٢٥٧، آب ١٩٩٥، ص ٢٥.
١٧. مازن صلاح مطبقاني، المصدر السابق، ص ٨٦.
١٨. عبد اللطيف الطيباوي، المصدر السابق، ص ٧١.
١٩. <https://www.raialyoum.com/index.php>.
٢٠. ماجد كيلاني، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي، تونس، ٢٠١٧، ص ٥٤.
٢١. المصدر نفسه، ص ٦١.
٢٢. ديفيد فرومكين، سلام ما بعده سلام ولادة الشرق الأوسط، ترجمة مؤمن سنحون، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٥٢.
٢٣. المصدر نفسه، ص ١٦١.
٢٤. انظر الملحق رقم (١) خارطة توضح تقسيم دولة مصر والسودان.
٢٥. انظر الملحق رقم (١).
٢٦. انظر الملحق رقم (٢) خارطة توضح تقسيم دول شمال أفريقيا.
٢٧. انظر الملحق رقم (٣) خارطة توضح تقسيم شبه الجزيرة العربية والخليج العربي.
٢٨. صوّت مجلس الشيوخ الأمريكي كشرط انسحاب القوات الأمريكية من العراق في ٢٠٠٧/٩/٢٩ على تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات المذكور أعلاه وطالب مسعود برزاني بعمل استفتاء لتقرير مصير إقليم كردستان العراق واعتبار عاصمته محافظة (كركوك) الغنية بالنفط محافظة كردية ونال مباركة عراقية وأمريكية في أكتوبر ٢٠١٠ والمعروف أن دستور "بريمر" وحلفائه من العراقيين قد أقر الفيدرالية التي تشمل الدويلات الثلاث على أسس طائفية: شيعية في (الجنوب) سنية في (الوسط) كردية في (الشمال)، عقب احتلال العراق في مارس ٢٠٠٣. للمزيد انظر:
- <https://www.marefa.org>
٢٩. انظر الملحق رقم (٤) خارطة توضح تقسيم العراق وسوريا .
٣٠. انظر الملحق رقم (٤).
٣١. انظر الملحق رقم (٥) خارطة توضح تقسيم لبنان.
٣٢. راغب السرجاني، قصة تونس من البداية إلى ثورة ٢٠١١، بيروت، ٢٠١٥، ص ١١.
٣٣. فاطمة نصر، الثورة العربية والثورة العربية المضادة أمريكية الصنع، الدوحة، ٢٠١٣، ص ٢٢.
٣٤. المصدر نفسه، ص ٧٦.

٣٥. عبد القادر الهواري، الثورات العربية بين المصالح الأمريكية والأحلام الإيرانية والقبطية،
بيروت، ٢٠١٥، ص ٤٤.

٣٦. عبد القادر الهواري، المصدر السابق، ص ٩٤.

٣٧. سعيد الحسين عبدولي، الفوضى الخلاقة ثنائية الأنا والآخر من خلال إشكالية الإسلام
والديمقراطية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١١، تونس، جوان ٢٠١٣، ص ٢٢.

٣٨. حسين عمر، الطاهر بن جلون، الشرارة: انتفاضات في البلدان العربية ويليها بالنار، تونس،
٢٠١٦، ص ٧٥.

٣٩. حسين عمر، المصدر السابق، ص ٨٣.
